المكان وجمالياته في القصة العربية القصيرة

إعداد

كرم خليل محمد طبنجة

المشرف

الدكتور ابراهيم خليل
جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير

في اللغة العربية و آدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيلول ٢٠٠٢

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ٢٠٠٢/٩/٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٣/ ٩ / ٢٠٠٢م وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور / إبراهيم محمود خليل	(مشرفاً).....
الأستاذ الدكتور / أحمد يعقوب المجدوبة (أستاذ الأدب الأمريكي)	(عضواً).....
الدكتور / سمير بدوان قطامي (أستاذ الأدب الحديث)	(عضواً).....
الأستاذ الدكتور / علي أحمد الشرع (أستاذ الأدب الحديث/ جامعة اليرموك)	(عضواً).....

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من أشرقت بنور وجهه الأرض وأكتست برسالته حلل الهدى

رسولنا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين

الى كل من أضاء شمعة ونزع شوكة وأقال عثرة :

جميع الحقوق محفوظة
والدي ووالدتي الحبيبين براد عرفانا
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إخوتي وأخواتي [illegible] فاتن عبد)

رفيقات الدرب ايمان علي - تمام - منال - ساندي - نوال - آمال - هيفاء - كوثر

حبات القلب وأمل المستقبل طالباتي الحبيبات

اليهم جميعهم منجليبي بروحها التي رافقتني وقلبها الذي كان مكانا احتضنني.

الى بيضاء القلب والوجه الى الروح التي غادرت المكان ولم تغادر القلب

(جدتي الحبيبة)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

الشكر لله - عز وجل- أولاً وأخيراً على تيسيره وتوفيقه وأسأله -تعالى- أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه متقبلاً عنده ، إنه على كل شيء قدير ، وبالاستجابة جدير ، وبعد،،

فإنني أتقدم بخالص الشكر والتقدير ، لأستاذي الفاضل الدكتور إبراهيم خليل الذي تشرفت بالتلمذ على يديه في مرحلة الماجستير فكان مثالاً للعطاء والدقة والحرص والاهتمام بطلبته. وهو الذي لم يبخل بنصح أو متابعة أو توجيه ما كانت هذه الدراسة مجرد فكرة إلى أن استوت على ما هي عليه .

وأتوجه بخالص شكري وعظيم تقديري إلى أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة هذه الرسالة وإغنائها بملاحظاتهم القيمة التي ستكون لها بإذن الله أثر كبير في إثراء نصي وفي إظهار هذه الرسالة بالمستوى اللائق .

ولا يفوتني أن أتقدم بشكري وتقديري إلى الأخ باسم فاروق على ما قدمه لي من مساعدة في سبيل إنجاز هذه الرسالة .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة من	الصفحة الى
قرار لجنة المناقشة		ب
الإهداء		ج
الشكر والتقدير		د
المحتويات	هـ	ز
الملخص بالعربية	ح	ط
المقدمة	١	٨
التمهيد :	٩	٣٩
– المكان من وجهة نظر فلسفية	٩	١٨
– المكان من الوجهة الاجتماعية	١٩	٢٣
– المكان في الأدب (القصة)	٢٣	٣٩
الفصل الأول : المكان المعيش	٤٠	١٦٤
أ– البيت	٤٠	٨٠
– البيت (الذكريات والطفولة)	٤٨	٥٠
– البيت ملاذا	٥٠	٥٢
– البيت المؤنس	٥٣	٥٦
– البيت وعداوة المكان	٥٦	٦٢
– البيت البديل (المنفى)	٦٢	٦٦
– البيت باعتباره علاقة اجتماعية	٦٦	٧٠
– البيت رمز الوطن	٧١	٧٣
– البيت وتقنية الوصف	٧٣	٨٠
ب– المقهى	٨١	٩٢
ج– السجن	٩٣	١٠١
د– المكان الديني	١٠٢	١٠٧
الفصل الثاني : المكان المفتوح :	١٠٨	١٤٦
أ–المدينة	١٠٨	١١٢

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– المدينة القاسية (المعادية)	١١٣	١١٧
– المدينة الحلم والذكرى	١١٨	١٢٢
– جدلية المدينة والصحراء	١٢٣	١٢٥
– المدينة الرمز	١٢٦	١٢٩
– المدينة الفكرة	١٢٩	١٣٢
ب– الشارع	١٣٣	١٤٣
ج– الصحراء	١٤٤	١٥٤
د–البحر	١٥٥	١٦٤
الفصل الثالث : علاقة المكان بالعناصر الفنية للقصة:	١٦٥	٢٥٣
ا–علاقة المكان بالشخصية:	١٦٧	١٩٥
١– علاقة المكان المغلق بالشخصية:	١٦٩	١٨٠
أ – البيت	١٦٩	١٧٤
–المقهى	١٧٤	١٧٦
ج – السجن	١٧٦	١٧٩
– المكان الديني	١٧٩	١٨٠
٢– علاقة المكان المفتوح بالشخصية:	١٨١	١٩٥
– المدينة	١٨١	١٨٥
– الشارع	١٨٥	١٨٩
– الصحراء	١٩٠	١٩٢
– البحر	١٩٣	١٩٥
ب– علاقة المكان بالزمان	١٩٦	٢١٨
ج– علاقة المكان باللغة :	٢١٩	٢٥٣
– المشهد المكاني بين الوصف والصورة الفنية	٢٢١	٢٢٦
–الألفاظ	٢٢٦	٢٢٩
– مستويات اللغة	٢٢٩	٢٣١
– السرد والحوار	٢٣١	٢٣٦
– تيار الوعي	٢٣٧	٢٣٩
– الضمائر	٢٣٩	٢٤١
– الرمز	٢٤٢	٢٤٦

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الأسطورة	٢٤٦	٢٤٩
- التضمين	٢٤٩	٢٥٣
الخاتمة	٢٥٤	٢٥٥
ثبت المصادر والمراجع	٢٥٦	٢٦٣
الملخص باللغة الإنجليزية	٢٦٤	٢٦٥

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص

المكان و جمالياته في القصة العربية القصيرة

(دراسة في خمس عشرة مجموعة مختارة)

إعداد

كرم خليل محمد طبنجة

المشرف

الدكتور ابراهيم خليل

جميع الحقوق محفوظة

مركز ايداع الرسائل الجامعية

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن جماليات المكان في القصة العربية القصيرة وذلك بدراسة المختارات القصصية في بلاد عربية مختلفة وتستند هذه الدراسة إلى معطيات النقد الأدبي الحديث لا سيما المنهج البنيوي الذي يركز على دراسة البنية المكانية دراسة جمالية تتجاوز المفهوم التقليدي (الهندسي) للمكان ، بالإضافة إلى دراسة علاقة المكان بغيره من عناصر البناء القصصي .

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول.عرضت في التمهيد لمفهوم المكان من وجهة النظر الفلسفية،والاجتماعية ،والأدبية.

وعرضت في الفصل الأول للمكان المغلق ولا سيما البيت ، والمقهى ، والسجن ، والمكان الديني. أما الفصل الثاني فقد عرضت فيه للمكان المفتوح ولاسيما المدينة،والشارع،والصحراء،والبحر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينما عرضت في الفصل الثالث لعلاقة المكان بمفرد من عناصر البناء القصصي على أساس أن البناء القصصي يشكل وحدة واحدة يُعد المكان بنية هامة من بنياتها ولا يمكن ان يؤدي وظيفته الدلالية والفنية ما لم يتفاعل مع عناصر البناء القصصي لا سيما الزمان والشخصيات، واللغة .

حاولت هذه الدراسة تجاوز الوصف الظاهر والخالص للأمكنة سواء المغلقة او المفتوحة، او علاقتهما بعناصر البناء القصصي الأخرى، مستندة الى استنطاق النصوص من داخلها عبر التفسير، والتحليل والتأويل للظاهرة المكانية، وما تكشف عنه من قيم جمالية وفنية .

وخلصت هذه الدراسة الى ان المكان في القصة العربية القصيرة ليس عنصراً ثانوياً أو مجرد مساحة هندسية ذات حيز فراغي مادي محدود، وإنما هو ذات فاعلة متسمة بالوعي والإدراك حياً، وفكرة سياسية واجتماعية حياً

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــة

تعود أهمية المكان باعتباره أحد عناصر البناء القصصي إلى أنه الإطار الذي تنتظم فيه بقيـــة العناصر،فتكتسب التلاحم والتماسك مما يحقق للبناء القصصي القوة ، والمتانة ، والقدرة علـــى تحقيق التواصل والتأثير في المتلقين.

ومما يؤكد أهمية المكان ما يتجلى في علاقته مع غيره من عناصر البناء القصصي، ولا سيما الزمان الذي لا يمكن أن ينفصل بحال من الأحوال عن المكان، بالإضافة إلى ما يترتب على هـذه العلاقة من دلالات فنية وجمالية، والمكان في القصة ليس مجرد شـخصية دون مكـان تتفاعل معه ويؤثر فيها وتؤثر فيه ، ويصوغها وفقا لنوايـه حيث يكتسب جدلية العلاقة بينهما أبعاداً موضوعية وذاتية ، ونكتشف كذلك عن جماليات ورؤى ما كانت لتتجسد إلا من خـلال تلك العلاقة.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ونظراً لاتجاه النقد الحديث إلى دراسة المكان واستراتيجياته باعتباره مفتاحاً يساعد في فـتح مغاليق النص، واستنطاقه، ومعبراً للولوج إلى أعماقه . والوقوف على ما يحمله من أبعاد جماليـة نظراً لذلك كله عمدت هذه الدراسة إلى اختيار المكان دون غيره من عناصر البناء القصصـي ، موضوعاً تدور حوله

أما عن أسباب اختيار المكان في القصة القصيرة دون غيرها من فنون الأدب فيرجع إلى عـدة أسباب منها ذاتية تتمثل في قرب القصة القصيرة من نفسي ، وممارستي لها قراءة وكتابة علـى سبيل الهواية ولقناعتي بأنها هي المناسب لحياة المعاصرة التي تميل إلى الاختزال المكثـف في كـل شيء فالقصة فن مكثف غني بالدلالات وزاخر بالجماليات . أما لماذا المكان في القصة العربيـة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القصيرة فإن ذلك يعود إلى كونها أحد الفنون الأدبية التي كان لها حضورها التاريخيـــة في الأدب العربي مما يعني أنها ظهرت قبل الرواية بفترات طويلة إلا أن تراجعها في الفترة الأخـــيرة يعـــود باعتقادي إلى أن النقد العربي قد عمطها حقها واتجه إلى الرواية التي حلت محل القصة وظفـــت عليها . فكان من أهم أهداف هذه الدراسة إعطاء القصة العربية القصيرة شيئاً مـــن حقـــها ، ومحاولة إعادتها إلى دائرة الضوء والاهتمام النقدي .

ولم يخل طريق هذه الدراسة من الصعوبات والعقبات ، التي بدأت الاصطدام بها منـ خطـــة اختيار الموضوع وكان من أهمها صعوبة تحديد الإطار الذي ستـــير ضمنه هذه الدراســـة ، لأن موضوع جماليات المكان في القصة العربية القصيرة واسع شاسع، وقد تم تذليـــل هـــذه العقبـــة باللجوء إلى أسلوب [illegible] الدقيق ولكنها نجحت فيمـــا يسمى بالمختارات القصصية من بلاد عربية مختلفة حرصت أن تكون شاملة بنسبة كبيرة جـــداً، وهذه المختارات التي تم انتقاؤها بدقة بحيث تمثل كبار كتاب القصة في العالم العـــربي يشـــعرنا بالاطمئنان إلى مستوى النماذج المختارة وهذه المختارات هي:

مختارات من القصة القصيرة في الأردن

ضم مجموعة من القصص المختارة لكتاب أردنيين عمقت احساسنا ببيئتنـــا الأردنيـــة ، وعكست العديد من الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... الخ.

مختارات من الإمارات:

ضم الكتاب بعض المختارات من الأدب الإماراتي نثرا وشعرا ، واتبع هذا كله بنمـــاذج قصصية مختارة كان لها دورها في تصوير البيئة الإماراتية . والوقوف على جوانب تميزها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مختارات قصصية لكتاب تونسيين

وهو عبارة عن مجموعة كبيرة من القصص التونسية التي شكلت بمجموعها مرآة عكست صورة البيئة في المغرب العربي ولا سيما في تونس . وعرضت للعديد من الجوانب السياسية والاجتماعية حال غيرها من المختارات القصصية في البلاد العربية الأخرى.

قصص جزائرية:

وهي عبارة عن إحدى عشرة قصة جزائرية أتاحت بمجموعها للقارئ أن يقف على جوانب تميز البيئة الجزائرية عن غيرها من البيئات العربية، ولا سيما البيئات المجتمعات العربية، بالإضافة إلى العديد من الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فن القصة في الأدب السعودي:

وهو كتاب نقدي يختص بالأدب السعودي ، فقد تحدث فيه مؤلفه عن جوانب التجديد في الأدب السعودي بين الحربين . كما تناول فن الرواية السعودية وتطورها. بالإضافة الى أنه تناول القصة القصيرة ومسيرها وتطورها وألحقها بنماذج مختارة عمّقت فهمنا للبيئة الخليجية ولا سيما السعودية

مختارات من الأدب السوداني:

يضم هذا الكتاب بين دفتيه مختارات من الأدب السوداني ، وقد جاء في ثلاثة أبواب ضم الباب الأول مجموعة من المقالات الأدبية المختارة . بينما ضم الباب الثاني مجموعة من القصائد ، أما الباب الثالث فقد خصص لنماذج مختارة من القصص السودانية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خمس عشرة قصة سورية:

وهي عبارة عن منتخبات قصصية لخمسة عشر كاتبا سوريا وهذه المجموعة وعلى قدمها إلا أنها ساهمت في إبراز العديد من جوانب البيئة السورية.

موسوعة القصة الجديدة في سورية:

وتقسم هذه الموسوعة الى قسمين تناول الكاتب في القسم الأول جوانب من القصة القصيرة المعاصرة في سورية ، وقدم قراءات متعددة حولها. بالإضافة الى إلقاء الضوء على التيارات الجديدة في القصة السورية بينما ضم القسم الثاني مختارات قصصية بلغت اثني عشرة قصة لكتاب سوريين

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

في القصص العراقي المعاصر: دراسة ومختارات

وهو كتاب يقوم على تقديم مجموعات قصصية لعدة كتاب عراقيين ، ويتم اتباع كل لقد بقصة من قصص المجموعة وقد شكلت هذه القصص وسيلة في الكشف عن البيئة العراقية وابعادها المختلفة

أنطولوجيا القصة الفلسطينية:

وتضم هذه المختارات ثلاثين قصة مجموعة من الكتاب الفلسطينيين من داخل الأرض المحتلة ومن خارجها، تنطلق جميعها من قضية الصراع العربي الصهيوني، وتبرز خصوصية المكان الفلسطيني الذي يرزح تحت الاحتلال. فكانت مرآة عكست الرؤية الفلسطينية للواقع والمستقبل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لغة الطفولة والحلم (قراءة في ذاكرة القصة المغربية . تحليل نماذج قصصية) .

تسعى هذه الدراسة الى الوقوف على التطور الذي طرأ على القصة المغربية، وما فيها من تنوع في الطرائق وتعدد اللغات. وقد اشتملت هذه الدراسة على مجموعة مختارة من القصص المغربية الوان من القصة اليمنية المعاصرة

وهو كتاب قدم فيه مؤلفه نُبذة عن مسيرة القصة اليمنية في مختلف مراحلها. واتبع هذا التقديم بخمسة وعشرين قصة تمثل أجيالا من كتاب القصة في اليمن ، قدمت بمجموعها صورة عن البيئة اليمنية.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

القصة ديوان العرب (قضايا وخصائص) الجامعة الاردنية

وهو كتاب نقدي اشتمل في جزئه الأول على دراسة عامة عن القصة العربية القصيرة وجذورها في الأدب العربي ، ومسيرة تطورها وقدم فيه نماذج مختارة من القصص القصيرة من عدة بلاد عربية.

القصة القصيرة في فلسطين والأردن منذ نشأتها حتى جيل " الأفق الجديد" :

يتناول الكتاب تطور القصة العربية القصيرة في فلسطين والأردن، ودور مجلة الأفق في مسيرة القصة العربية القصيرة في فلسطين والأردن واشتمل الكتاب على قسم للمختارات القصصية من فلسطين والأردن.

مختارات من القصص القصيرة في ثمانية عشر بلدا عربيا:

ويضم هذا الكتاب احدى وعشرين قصة من عدد من البلاد العربية وقد قدم الطاهر مكي لهذه المختارات بمقدمة عرف فيها القصة باعتبارها نوعا ادبيا . وتحدث عن واقع القصة في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العالم العربي عدا عن الحديث بشيء من الخصوصية عن واقع القصة في كل بلد عربي ، بالاضافة الى التعريف بالقصص المختارة

ومن أهم الصعوبات ما تمثل في ندرة الدراسات المكانية ، ولعل ذلك يعود إلى حداثة هذا النوع من الدراسات النقدية في العالم العربي ومما لاحظته اتجاه الدراسات المكانية في معظمها نحو الرواية العربية التي نالت نصيبا جيدا من هذه الدراسات ، أما فيما يتعلق بالقصة فلم أجد دراسة –حسب ما تناهى إلى علمي– تدور حول المكان في القصة العربية القصيرة وما وجدته تمثل في دراسات عامة حول القصة العربية في بلد ما أو عند قاص ما يشار فيها إلى المكان إشارات بسيطة وعامة ولذلك حاولت هذه الدراسة محاولة للقيام بمقاربة مكانية في القصة العربية القصيرة هدفها الوقوف على مفهوم المكان الشعري وعلاقته النصية وما يترتب عليها من جماليات و طوابع [illegible] الوقت ذاته التعرف على خصوصية بعض الأمكنة العربية

جميع الحقوق محفوظة
يمكن استخدام الرسائل الجامعية بشكل عام وفقط لأغراض التعليم والبحث العلمي

ومن الدراسات المكانية التي كان لها الفضل من قريب أو بعيد في تبديد شيء من ضبابية الرؤية حول مفهوم المكان القصصي ومفهوم الجمالية في الوقت ذاته كتاب (إشكالية المكان في النص الأدبي ١٩٨٦) لياسين النصير الذي تعرض فيه لمفهوم المكان وجدليته في الشعر والقصة والرواية . بالإضافة إلى ما أضاءته دراسة عبد الحميد الحادين (جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية ٢٠٠١) في فهم خصوصية البنية المكانية بالإضافة إلى العديد من الدراسات التي تدور حول المكان الروائي منها ما أشار إليه د. إبراهيم خليل في العديد من مؤلفاته حين تناول المكان في روايات جبرا وقصصه القصيرة وذلك في كتابه " جبرا ابراهيم جبرا الأديب الناقد ٢٠٠٠" وكتاب (جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا ٢٠٠١) لأسماء شاهين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يخل الأمر من الاطلاع على بعض الدراسات والمقالات .

أما بخصوص المنهجية المتبعة في هذه الدراسة فهي منهجية تتمثل في مجموعة من الإجـــراءات منها:-

- القراءة العميقة للظاهرة المكانية مثلما تجلت في المحكيات
- تحليل النماذج المكانية واستنطاقها من داخلها
- الوقوف على جدلية علاقة المكان بغيره من عناصر البناء القصصـــي ولا ســـيما الزمـــان والشخصية واللغة ومحاولة استجلاء ابعادها

فهذه مجموعة إجراءات منهجية تنشد بلوغ منهجا بعينه بل هي أبعد ما تكون عن حريتي وبقيد رؤيتي لذلك حاولت القيام بمقاربة منهجية تمتح من تلك الإجراءات بالإضافة إلى محاولة التركيز على النظرة السوية للعمل القصصي واعتبار الأمكنة وعناصر الفضاء القصصي علامات دالة يجب أن نفسّر

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتقع هذه الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول، عرضتُ في التمهيد لمفهوم المكان مـــن وجهـــة النظر الفلسفية والاجتماعية والأدبية . وعرضتُ في الفصل الأول للأمكنة المغلقـــة ولا ســـيما البيت والمقهى والسجن والمكان الديني بينما عرضتُ في الفصل الثاني لمفهوم المكان المفتـــوح وجمالياته ولا سيما المدينة والشارع والصحراء والبحر. أما الفصل الثالث فقد درســـتُ فـــه علاقة المكان بغيره من عناصر البناء القصصي ولا سيما الزمان والشخصية بالإضافـــة إلى دور اللغة في تجسيد المكان وشحنه بالرؤى والأبعاد الجمالية . ثم أتبعتُ ذلك كله بخاتمة تلخص اهـــم النتائج التي أمكن التوصل إليها من هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد حاولت هذه الدراسة أن تعيد القصة العربية القصيرة إلى مكانها الذي يليق بها آملين أن تكون هذه الدراسة المتواضعة إضافة جديدة ذات قيمة للدراسات النقدية بشكل عام والمكانية بشكل خاص .

والله -تعالى- أسأل الإخلاص والسداد إنه ولي التوفيق

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(التمهيد):-

أ- المكان من وجهة نظر فلسفية

ب- المكان من الوجهة الاجتماعية .

ج- المكان في الأدب (القصة).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

أ- المكان من وجهة نظر فلسفية :

يشغل المكان ومفهومه حيزاً غير ضئيل في الدراسات الفلسفية ، التي تدور حول المكان بأبعاده، وعلاقته بالشيء على اعتبار أنه هو الحاوي للأشياء. وكينونته تتحدد بالمحتوى الشيئي له. ويُطالعنا العديد من التعريفات والرؤى الفلسفية له فهو " يقال لشيء في الجسم فيكون محيطاً به ويقال مكان للشيء يعتمد عليه الجسم فيستقر عليه"[1]. والمكان هو " الموضع ، وجمعه أمكنة . وهو أحد الحدود التي يشغله الجسم. يقول : مكان فسيح ، ومكان ضيق وهو مرادف للاوعاء[2] أو كل مطلق أو حاوي يحتوي شيء جسم يعتمد عليه ، وهذا المكان قابل للامتداد وفقاً للمحتوى وهذا من المفاهيم الفلسفية المسلطة للمكان .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

وفي " الفكر الفلسفي القديم يطالعنا افلاطون بأن المكان غير حقيقي وهو الحاوي للموجودات المتكثرة ،ومحل التغير ، والحركة في العالم المحسوس،عالم الظواهر غير الحقيقي"[3] بمعنى أن المكان شيء لا يمكن قياسه أو رؤيته لأنه متخيل ذهني ،وبين أرسطو أن المكان "موجود ، بدليل أنه حيث يكون جسم يُمكن أن ينتقل منه ويشغل محله جسم آخر ، ومعنى هذا أن المكان يختلف عن اي شيء يتحيز فيه"[4] ولعل أرسطو يقرب المكان من الواقع . ويجعله من الظاهر ،خلافاً لأفلاطون . أما في الفلسفة الاسلامية فإن المكان هو " السطح الباطن

[1] ابن زكريا ، معجم المقاييس ، ج٥ ، ص٣٦٦.
[2] ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٣ ، ص٤١٠.
[3] عبد الرحمن بدوي ، الفلسفة اليونانية ، ص٢٢٥.
[4] نقلاً عن ابن سينا ، الشفاء ، ج١ ، ص٢٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي "[١] ومن الفلاسفة المسلمين الذين لهم رأي في المكان ابن سينا الذي يعرفه بقوله هو " السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي"[٢] ونجد عند المتكلمين تعريفاً له يركز على أن المكان هو "الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم ،وتنفذ فيه أبعاده "[٣].

ولقد تعددت المناهج الفلسفية في رؤيتها ، وتحديدها لمفهوم المكان على امتداد العصور ، فهو عند الرياضيين لا سيما إقليدس ذو " ثلاثة أبعاد الطول ،والعرض ، والعمق . وذهب الرياضيون المحدثون في القرن التاسع عشر إلى نفي هذه الخاصية عن المكان ، ورأوا أن المكان ،وهلمهولتز إلى إثبات طبيعة غير اقليدية للمكان ، وعكف [illegible] على دراسة أبعاد حالة خاصة من المكان الذي هو متعدد الأبعاد [illegible] إلى أنواع كثيرة [illegible] إليه لاحقاً عندما نبحث أنّ الزمان بعد رابع للمكان، وهذا ما سنتناوله لاحقاً عند الحديث عن علاقة المكان بالزمان من وجهة نظر فلسفية .

ونجد عند ديكارت تصوراً آخر للمكان فهو " فكرة فطرية من أفكار العقل، فإن لم تكن لدينا الأفكار المسبقة الفطرية عن الدوائر والمثلثات فإننا لن نكتشفها أبداً ولن نعرفها في عالم الخبرة الحسية أو العالم الخارجي "[٥] فمفهوم المكان موجود في فطرة الإنسان منذ خلقه ويترجم هذا المفهوم عملياً في العالم الخارجي ، وعلى أرض الخبرة العملية. وفي هذا الرأي ملمح

---

[١] [illegible]

[٢] [illegible]

[٣] [illegible]

[٤] [illegible]

[٥] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طريف قريب من الواقع إذ ان الانسان لو لم تكن لديه تلك المفاهيم الأولية لما استطاع أن يتعامل مع الواقع باستيعاب وتفاهم وانسجام . فالضرير على سبيل المثال ،لم ير المكان لكنه يتصور بفطرته شكل المكان ومفهومه حتى لو أتيح له ان يبصر لما دُهش مما يرى

أما المكان عند الوجوديين فهو " مقولة وجودية كالزمان،وليس مقولة عقلية. أو مجرد إطار فكري ينتظم الموجودات،إلا ان الزمان نسيج الوجود النفسي،أو الوجود الشعوري المشخص . فالوجود زماني والزمان وجودي[1] وفي هذا المفهوم ما يخالف مفهوم ديكارت فالمكان هنا واقع موجود وحقيقي وليس امرا او فكرة ذهنية عقلية فطرية ،كأنه امر يكتسب بالمشاهدة والتجربة .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما نيوتن فهو " يميز بين المكان المطلق والمكان النسبي قائلا: إن المكان المطلق في طبيعته الخاصة به ، بغير علاقة بأي شيء خارجي ، يبقى دائما متشابها ولا متحركا . أما المكان النسبي فهو متحرك أو واسطة للأماكن المطلقة التي نحددها حواسنا بواسطة وضعها بالنسبة إلى الأجسام ونُعد من الناحية العامة ، مكانا لابتاً غير متحرك "[2] وتتعدد اشكال المكان من وجهة نظر فلسفية فثمة مكانٌ خاص ، ومكان مشترك : والمكان الخاص " هو الحيز الذي يشغله الجسم بمقداره أو هو السطح الباطن من الجسم الحاوي للسطح الظاهر من الجسم المحوي،أو حاو للمتمكن. ومفطوق له عند الحركة ومساو له ...بينما المكان المشترك هو الحيز الذي يشغله جسمان أو أكثر على حد قول ارسطو "[3] .

وفي الفلسفة نجد نقاشاً يدور حول صفات المكان التي تميزه وتحدد علاقته بالكثير من الأشياء

---

(1) علي عبد المعطي ، قضايا فلسفية ، ص ٢٤٠

(2) ت. ف. جورجيف ، الفلسفة والعلم الحديث ، ص ٢٦٦

(3) ارسطو ، الطبيعة ، ترجمة ابن رشد ، بيروت ، ص ٢٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا سيما المتمكنات المادية فيه " فكل الأشياء في العالم الخارجي تشغل مكانا ، أي أنها ذات امتداد ، وبين بعضها وبعضها الآخر مسافات.ولا يتداخل بعضها في بعض ومن هنا اتصف المكان بالصفات التالية :

١-أنه ذو امتداد في ثلاثة أبعاد هي الطول والعرض والعمق .

٢-عدم قابلية النفوذ. فلا تتداخل الأشياء بعضها في بعضها الآخر في المكان الواحد الخاص بها "[٢٩] فالمكان تشغله الأشياء في حدود واضحة دون تداخل. أو امتزاج لكل المكان نفسه يوصف بأنه متجانس . ومتصل ، وإن شغلته أشياء متعددة . ويؤكد هذا الرأي برجسون الذي يرى أن " المكان متجانس . متجانس لدرجة تسوي أجزاء المكان ، وهو حقيقة بدون كيفية [٣٠] " والمكان هو الذي يفصل . وهو عامل الفصل في كل كيف . إذ لا يمكن تصور وحدات العدد متمايزة إلا بتموضعها بعضها بعض خارجه في المكان . والمكان هو الذي يفصل الموضوعات بعضها عن بعض . ويؤمن استقلالها المتبادل . وموضعها المختلف في المكان هو الذي يحدد اختلافها العددي "[٣١] .

مما سبق نستطيع تبين بعض صفات المكان فهو متجانس ، ممتد تشغل فيه الأشياء حيزاً لا بد بالضرورة من تجانس المكان ،وهو عنصر فصل بين الأشياء الكائنة فيه،بحيث يوفر لها استقلالها و تميزها عن غيرها .

وثمة جانب آخر لافتة الفلسفة في رؤيتها للمكان ، فقد بحثت في جدلية علاقته بغيره من العناصر المتعلقة به باعتباره حيزاً تشغله الأشياء. وهذه الأشياء بارتباطها بالمكان وما يحدث

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من تفاعل بينها وبينه لا بد لها من زمن تجري فيه . واقع هو الآخر وقوعاً معنوياً في المكان وعليه فقد تناول الفلاسفة علاقة المكان بالشيء ، وبالزمان، وبالإنسان .

أما فيما يتعلق بعلاقة المكان بالشيء فيرى أرسطو أن " المكان ليس جزءاً من الشيء بل هو مساوٍ للشيء الحوي[١] " وهذا يؤكد تجانس المكان ، وعدم امتزاجه بما يحتويه ، بالإضافة الى أنه يفصل بين الأشياء التي تشغل منه حيزاً مساويا لها .

وقد طرح السؤال الرئيسي في مشكلة المكان " ما العلاقة بينه وبين الممكنات (الأشياء) " ويجيب البعض قائلين إن المكان والممكنات شيء واحد ، وما المكان إلا تجريد الممكنات . أو هو الامتداد تجريدا والخلو هو المكان المجرد الامتداد . لأنه إذا لم توجد ممكنات ممتدة ، فلن يوجد مكان " [٢] وهذا الرأي يكرر [illegible] الممكنات هي الأصل والمكان تابعا لها، إلا أن "نقولاي هرتمن [illegible] يكرر هذا الرأي قائلاً : إن المكان ليس الامتداد ولا الممتد ، بل هو " ما فيه " يمتد الممتد . وعلى ذلك فالأشياء في المكان ، وليس المكان في الأشياء . إن المكان هو الشرط للامتداد وللممتد ، والحل (الموضع) والموقع والبعد والمسافة هي أمور في المكان

والمكان – بحسب تصوره – يسبق الأشياء الممتدة "[٣] وهنا نرى العكس ،فالمكان هو الأساس والممكنات هي التابعة له . فلو لم يكن هناك مكان لما كان هناك ممكنات . إلا أن قاسما مشتركاً بين الرأيين هو تأكيد الارتباط بين المكان والممكنات بغض النظر عن أيهما التابع وأيهما المتبوع .

[illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا بد من الإشارة هنا إلى رأي نيوتن الذي يخالف كلا الرأيين مؤكداً أن " المكان مستقل عن الممكنات، إذ هو يوجد بذاته سواء شغلته أشياء أو لم تشغله. إن الحركات في المكان نسبية، لكن المكان ليس نسبياً "[١].

ومعنى هذا أن المكان ذا الأبعاد الثلاثة عند إقليدس وهي : الطول والعرض والعمق أضيف إليه بعد آخر هو الزمان تأكيداً على الارتباط الوثيق بين المكان والزمان فلا مكان دون زمان. وتتجلى علاقتهما عندما يوجد في المكان أحداث وظواهر لا يمكن أن تحدث في المكان دون زمان. فإذا " جمعت بين الزمان والمكان في تصور واحد أمكنك أن تولد منهما مفهوماً جديداً يطلق عليه اسم (المكان - الزمان) وهو ذو أربعة أبعاد تؤلف متصلاً مكانياً و زمانياً يرمز إليه بأربعة متغيرات مرتبطة (هي الطول والعرض والعمق والزمان) وهذه الأبعاد ضرورية لتحديد كل ظاهرة طبيعية. لأن الظاهرة الطبيعية لا تحدث في المكان وحده. بل تحدث في المكان والزمان معاً "[٢]. وهذه النظرة توحد بين المكان والزمان من حيث الأهمية على اعتبار أن المكان هو البحر الذي تقع فيه الأحداث، والزمان هو وقت حدوثها. لكن المكان يبقى أشمل وأعم ليس بسيط هو انه يحوي الأحداث والأجسام والأشياء. أما الزمان فلا يحتوي إلا الأحداث. وقد تعددت الآراء حول طبيعة العلاقة بين المكان والزمان أو ما سمي اختصاراً (الزمكان).

" ولقد رأى كثير من الفلاسفة أن الزمان والمكان مقولتان مستقلتان منفصلتان الواحدة عن الأخرى. فالمكان هو نظام وجود الأشياء معاً أو تساوقها في الوجود. والزمان هو نظام تتابع الأشياء أو تعاقبها في الوقوع.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

time و هذا المتصل الزماني المكاني سيكون رباعي الأبعاد وهو يمكننا كما يقول ايشتاين من تحديد موقع كل الحوادث التي يشكل مجموعها تاريخ العالم الفيزيائي تحديداً دقيقاً[١] .

وينظر الماركسيون للمكان والزمان نظرة تاريخية مادية فيهما" مقولتان للوجود الموضوعي الشيئي المادي ، وهما صورتان جدليتا الطابع ، تاريخيا المسار.لا تنفصلان عن المادة والحركة . وما الزمان والمكان العقليان إلا مشتقان من الزمان والمكان الماديين ، يختلفان خصائصهما الديالكتيكية المادية لأن العقل ذاته ما هو إلا ناتج من نواتج المادة [٢] وكان هناك زمانين ومكانين أحدهما عقلي متصور والآخر مادي مجرد

" ويميز برجسون غير حادا بين الزمان والمكان على فروقهما إجمالا هكذا:-

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الزمان يعني	المكان يعني
المدة الحقيقية	الامتداد
الكثرة الكيفية	العدد
اللا تجانس	التجانس
التوالي	المعية ، التتالي والتواصل)
الكيف	الكم
التغير	الثبات
الاستطان	الخروج (الاظهار)
الاتصال النفسي	الانفصال
اللامتمدد	الممتد

[١] [illegible]

[٢] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العود المتبادل	عدم العود
التلقائية ، الحرية ، التطور الخالف	الضرورة
الشعور	الآلية
الروح	المادة[1]

ومهما يكن من تعدد الآراء والرؤى الفلسفية حول علاقة المكان بالزمان ، سواء تلك التي فصلت بينهما أو التي وحدت فإن الواقع يؤكد عمق الارتباط بين المكان والزمان . فهما عنصرا الحياة الفاعلان والمتفاعلان مع عناصرها الأخرى حتى إنهما قد خضعا مصطلحاً ومفهوماً وتصوراً " للتغيرات جميعها والتطورات خضوعاً للتاريخ الإنساني . فلم يكن اي منهما . المكان والزمان . كما هما عليه الآن ، إذ تحولا من أصداء مسيرة التاريخ الكبير ، لأنهما تطورا مع ارتقاء الفكر البشري وتحولاته الفلسفية والفيزيائية والرياضية ، ففي كل حقبة تاريخية ثمة تصورٌ آخر هو صورة للزمكان ، وبالتالي للكون والعالم "[2].

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وطرحت علاقة المكان بالإنسان وهي أعمق العلاقات فالإنسان يعد من المتمكنات او الأشياء الموجودة في المكان إلا أنه أكثرها فاعلية ، فليست العلاقة بينهما علاقة مادية جامدة فالإنسان متمكن متحرك متفاعل ولكن وجوده كما يرى هيدجر " ليس وجوداً مكانياً في العالم على نحو ما يوجد الكرسي في الغرفة ، وعلى نحو ما توجد عود الكبريت في علبة الكبريت ، وإنما توجد بين الانسان وبين العالم علاقة وثيقة أو رابطة عميقة تجعل من المستحيل علينا أن نتصور إنساناً دون عالم ، أو عالماً دون إنسان . والواقع أن العلاقة بين الانسان والعالم ليست مجرد علاقة بين موجودين كائنين في المكان . أو مجرد صلة بين ذات وموضوع . وإنما هي

---

[1] على عبد المعطي محمد ، الاتجاهات الحديثة في علم النفس ، ص ٢٠٠ .

[2] فيصل عباس ، الكون والإنسان ، ص ٢٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة وجودية قوامها الشعور بالاهتمام [١] ومهما يكن من شيء ، فإن هيدجر يقرر أن الإنسان وثيق الصلة بالعالم كما أن العالم وثيق الصلة بالإنسان [٢]. ويُقرر أيضاً عدم الانفصال بين الإنسان والعالم والعالم هنا مرادف للمكان بمفهوم أشمل وأوسع يوجد فيه الإنسان مع أشياء أخرى يرتبط بها ، ويتفاعل معها ويها،وهذا ما أكده (سارتر) الذي يرى أن " الجسد الإنساني لا يعيش مستقلاً عن أجسام الأشياء الأخرى ، إذ يستمد وجوده وحركته من العالم المحيط به بكل ما يحتويه من موجودات شيئية . وبالتالي فإن التوحد بين الجسد الإنساني والأجسام الأخرى يكون قادراً على خلق مكان يحوي التفاعلات المستمرة بينها " [٣].

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويتضح مما سبق أن اهتمام الفلسفة بالمكان يرتبط بما يطرأ عليه من علاقات بغيره من العناصر مثل: الممتلكات والأشياء ، والزمان والإنسان أحياناً كثير. وقد يسأل سائل عن الحكمة من دراسة المكان في الفلسفة ، وعن علاقته بموضوعنا. والإجابة المباشرة عن ذلك أننا في الأدب نجد فلسفة للمكان حيث تتمظهر الرؤى الفلسفية في الأمكنة الفنية لا سيما تلك التي تركز على علاقة الشخصيات (الإنسان) بالمكان فنياً ،وهي محاولة لإيجاد مقاربة فلسفية لدراسة جماليات المكان، لأن الأدب بالضرورة ينبع من مصادر مختلفة ، منها المصادر الميتافيزيقية التي يتم تحميلها أفكاراً و آراء متعددة .

---

[١] ولد هايدجر (١٨٨٩-١٩٧٦) في مدينة (مسكيرش) في جنوب ألمانيا.

[٢] المرجع نفسه ص ٢٠٠

[٣] سيزا قاسم ، البناء الفني في الرواية العربية (١٩٨٤) ، ص ٢٠٠

ب–المكان من الوجهة الاجتماعية :

إنّ وجود الانسان لا يمكن أن يتحقق بمفرده ، وتتأكد حقيقته إلا بتفاعله مع محيطه، الـــذي يكتســب منه عناصر تفاعله مع ذاته الداخلية ، التي فيها تتشكل افكاره ،وتتبلور مواقفه وعليه يعتمد لتشكل شخصيته المتميزة وصقلها وهذا الوجود الانساني مرتبط بحتمية المكان ارتباطـــا وحيداً لأنه الإطار الخارجي الذي يوجد فيه الإنسان وفي الانسان يوجد

من هنا حاول علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا إيجاد مفاهيم عدة للمكـــان وعلاقتـــه بالزمان وبالممكنات لا سيما الإنسان، وذلك على اعتبار أن المكان ومعه الزمـــان مقـــولات اجتماعية المصدر ،ومن ذهب إلى ذلك العالم الفرنسي دوركايم Durkheim الذي يرى أن مقـــولات الفكر" ومن ضمنها مقولة المكان ، قد نشأت في باطن الدين، وهي من نتاج الفكر الديـــني، والدين خير ما يمثل المجتمع،إذ إنه ظاهرة اجتماعية من الطراز الأول "[1].

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وممن أكدوا هذه الأصـــول الاجتماعيـــة للزمـــان والمكـــان موريـــس هالبفـــاكس Hallwacks ، الذي يرى " أن الزمان والمكان إطاران اجتماعيان للذاكرة. بكونان الاطـــار الذي تختزن فيه الذكريات الاجتماعيـــة . وبمعنى آخر يعد الزمان والمكان شـــرطين ضروريـــين لحفظ التراث الثقافي أو الحضاري للمجتمع الإنساني..،وهذا يؤكد ارتباط وجـــود الانـــسان بالمحيط الخارجي الذي يشكل المكان عنصره الهام الذي يحتوي الأحداث، ويمتـــص مكونـــات الإرث الإنساني ولعل مفهوم المجتمع المحلي الذي يركز عليه علماء الاجتماع خير دليل علـــى هذا الارتباط لا سيما دور المكان في تشكيل شخصية الانسان واتجاهاته حيث بعضهم يـــرى " أن المجتمع المحلي يعني الكثير بالنـــسبة للإنـــسان فهو المكان ، والبيئة التي جعلت حياتـــه ممكنـــة.

[1] راجع ص المصدر نفسه الصفحة نفسها ، ص ١٧٦
[2] المرجع نفسه ، ص ١٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأعطت لفكره ولعواطفه قيمتهما ، ولذلك كان هذا المجتمع محور دراسات شملت الدين ، والفلسفة ، والفن والأدب ، والاقتصاد ، والجغرافيا والسياسة ، كما أنه أطلق عددا من الحركات الإصلاحية التي صنعت المذاهب الفكرية الأيديولوجية الكبرى [١]

وطبيعة المكان تفرض حتمتها على شكل العلاقات المكانية بين الجماعات ، وكذلك تحدد أنواع النشاط الاجتماعي . فعلى سبيل المثال طبيعة العلاقات والأنشطة الاجتماعية في القرية تختلف عنها في المدينة إذ إن هذه العلاقات والأنشطة تتسم بالترابط والمحدودية والوضوح في القرية. بينما هي معقدة ومتشابكة في المدينة التي هي من منظور علم الاجتماع " أسلوب وقوالب وأوضاع للتفكير والعمل الإنساني وتحقق أنواعا خاصة من الأفراد فيما تسبغ عليهم بعض الصفات ، فيصدر عنهم مظاهر لسلوك تختلف عن طبيعتهم الفردية " وهذا ما أورده محمد غيث نتيجة لملاحظاته على آراء علماء الاجتماع الذين تناولوا مفهوم المكان وانعكاساته على من فيه فيقول " إن جغرافية المكان هي التعبير الملموس عن تقسيم العمل ، و تباين الأدوار الاجتماعية"[٢]

وبما أن المكان والزمان هما الإطاران اللذان يحتويان المخزون الحضاري للإنسان،فيهما أيضاً الإطاران اللذان يحتويان الأنشطة الاجتماعية ،والسمات النفسية للإنسان إذ " يتميز الإنسان بعدة طبائع : حيوية ،ونفسية ، واجتماعية ،وتقتضي طبيعته الحيوية ، يأكل

---

[١] أحمد علي ... علم الاجتماع الحضري ... ص

[٢] محمد غيث ... دراسة في علم الاجتماع الحضري ... ص

[٣] أحمد علي ... علم الاجتماع الحضري ... ص ٣٧

جميع الحقوق محفوظة
لا يسمح بنشر أو استخدام أي جزء من هذه الرسالة إلا بإذن خطي من صاحبها الشخصي أو مكتبة الجامعة الأردنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشرب ،وينتقل في الزمان والمكان . وبمقتضى طبيعته النفسية يشعر ويلتذ ويتخيل ويفرح[١] حتى الطبيعة النفسية وما يترتب عليها من مشاعر وخيال هي محتواة في مكان هو النفس التي يرى كثيرون أنها مكان له وجوده وامتداده

وقد رفض دوركايم مفهوم المكان عند (كانت kant) الذي رأى أنه وسط مبهم يتسم بالتجانس ، معللاً رفضه هذا بأن المكان إذا كان شيئاً متجانساً بصفة مطلقة فلسوف يستحيل على العقل إدراكه، أو تصوره تصوراً موضوعياً، إذ إن التصور المكاني إنما يتألف بالضرورة من نسق مرتب من الأشياء والموضوعات المستمدة من معطيات التجربة الحسية ... تعني أن الظواهر المكانية في جوهرها [illegible] إذ إننا لن نتصور وضع الأشياء وضعاً مكانياً، إلا إذا لاحظنا كيفية توضع [illegible] وأماكن مختلفة . وهذا لن يتأتى إلا بتقسيم المكان [illegible] ولهذا اعتبر أن التصور المكاني لا يقوم إلا بفضل عدم التجانس الواضح بين الأجزاء المكانية ومواضعها "[٢]

مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن القضايا التي خالف فيها الاجتماعيون الفلاسفة فيما يتعلق بالمكان والزمان مفهوم (متصل الزمان المكاني) الذي يرى علماء الاجتماع أنه " ليس رباعي الأبعاد كما هو الأمر عند بعض الفلاسفة . وعند أصحاب النظرية النسبية. ولكنه زمان مكاني ذو بعدين هما زمان المجتمع أو الزمان الاجتماعي ، ومكان المجتمع أو اجتماعية المكان ... وهذان البعدان يحددهما تنظيم المجتمع أو بنيته ، وما يرتبط بهما من أنساق ونظم وعلاقات وقيم[٣] " وهما يتفاعل الزمان والمكان لإنتاج مفهوم المجتمع وسماته التي تتغير من زمان ومكان إلى زمان ومكان آخرين

[illegible]

[illegible]

[illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتنقسم الأمكنة ونوع من منظور علم الاجتماع إلى عدة أمكنة منها : أمكنة الأبعاد الهندسية وأمكنة الأبعاد الثقافية والاجتماعية ومن هذه التقسيمات ما أورده (بتر سوروكين الذي فرّق " بين المكان الهندسي ،وبين ما نسميه بالمكان السوسيو ثقافي socio-cultural space الذي ينجم عن تلك الظاهرات السوسيو ثقافية المتواندة في بيئة المجتمع ... فقد أكد سوروكين عدم التجانس القائم بين المكان الهندسي، وبين المكان السوسيو ثقافي، من حيث تعلق المكان الهندسي بهندسات كثيرة ومتنوعة ،وتتصل بدراسة المكان المتكثر ذي الأبعاد المتعددة ...أما المكان السوسيو ثقافي فيتعلق بالمكانة الاجتماعية التي يشغلها الإنسان في جماعته وأوضاع وعلاقات الجماعة، فيختلف المكان الهندسي عن المكان الاجتماعي، كما لا يقوم الأول مقام الثاني "(١) ويرتبط بذلك المكانة الاجتماعية والثقافية للفرد وتلك التي لا يمكن [illegible] ودعا علماء دراسة الاجتماعيين لفكرة المكان وما يتعلق به من " التصورات والمسافات المكانية بصدورها عن الأصل الاجتماعي، من حيث إن " مواضع الأشياء " في المكان ليست منعزلة عن " عالم الحياة الاجتماعية " فهناك روابط اجتماعية تربط عالم الأشياء بالعالم الاجتماعي "(٢).

جامعة الإسراء
مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

مما سبق نتبين أهم الزوايا التي درس من خلالها المكان عند علماء الاجتماع وهي تركز في معظمها على علاقة المكان بمن فيه، وانعكاساته الاجتماعية والثقافية وحتى السلوكية على الإنسان، كما أنه هو العنصر الرئيس الذي تتفاعل معه الجماعة وفيه لإنتاج الحضارة الإنسانية و مخزونها الثقافي .

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما كيف يتفاعل الإنسان مع المكان وكيف يدركه فقد رأوا أنه -أي الانسان- لا يدرك المكان بعقله مباشرة ، بل يدركه بـ " وسائط اجتماعية " يفهم من خلالها حقيقة العالم الخارجي . والمجتمع عند (دوركايم) هو المركز الحقيقي للإدراك المكاني، ومن خلال الادراك الاجتماعي للمكان ، يتعرف الانسان على حقائق العالم الخارجي "[1] ويتواصل معه ويتبع فيه .

ج - المكان في الأدب (القصة):

إنّ المكان هو الواقع المادي الملموس الذي نعايشه ، ونتعامل معه أكثر من غيره من عناصر الطبيعة المادية من حولنا، فهو الرحم الذي احتوى الإنسان ،والحضن الذي رعاه،وفيه تعلم أول أبجديات الحياة ، وكان جميع الملتقى وقاي محفوظ كلمة الله مساحة البوح التي يلجأ إليها الإنسان عند الخوف والحزن فيحتويه ويؤويه. وهو بؤرته الأولى على العالم فانتقاله من مكان إلى آخر غير رحلة الحياة إنما ينتقل من حال إلى أخرى ،ومن واقع اجتماعي واقتصادي وحتى نفسي وفكري إلى آخر . فالمكان كائن فيما قبل أن يكون فيه .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

من هنا التفت النقاد والدارسون والكتاب إلى أهمية توظيف المكان بأبعاده السابقة وغيرها من الأبعاد والوظائف في الأدب . وتكمن أهمية المكان الروائية التي ينتم عبرها الولوج إلى النص وفتح مغاليقه ، وفك رموزه ، والوقوف على ما فيه من قيم و آراء وأفكار ودلالات...الخ فالعلاقة بين المكان والأدب علاقة وطيدة " فالعمل الأدبي حين يفتقد إلى المكان يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته "[2].

وفي الأدب تعاد صياغة المكان الواقعي بعيدا عن المرآوية بالمفهوم الحقيقي المجرد فلا ينعكس المكان بأبعاده الهندسية وعناصره المادية . وإنما هي المرآوية النفسية والفكرية التي يختزلها المكان

[1] ...

[2] ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو تتم شحنه بها وبذلك يحتفظ المكان بمسماه لكنه يفقد خواصه المادية .

والأدب لا يعني فعل الإنسان بالأشياء ، وإنما انفعاله بها . ولهذا نجد البعض ومنهم (آلان روب جرييه) " يرفضون الزمان مقياسا لمعنى الحياة ويجعلون المكان بدلا منه لأن وجود الأشياء في المكان أوضح وأرسخ من وجودها في الزمان "[١].

والأدب يعتمد الانزياح في إبراز جماليات المكان .ففيه يتم صهر المفاهيم الجغرافية والاجتماعية وحتى الجغرافية للمكان ، فيضع عليه بعض الكتاب رؤاهم وأفكارهم ومعانيهم بعد معالجتها فنيا وجماليا. فالأدب يمتح من المصادر الفلسفية والاجتماعية والفكرية والتاريخية في استيعابه للمكان ، تصورة مما يجعله يتفاعل معه هذا المكان ويتلون جمالياته متجاوزين أبعاده الهندسية المجردة .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتوظيف المكان جماليا يأتي في إطار الحداثة ، فيتجاوز ما وحكما دقيقا يواجه القلق، ودليلا على موهبته وإبداعه عندما يتجاوز به حدوده الجغرافية . أو كما يقال: أبعاده البلاستيكية . فلا يعود البيت على سبيل المثال مجرد مفهوم ،وإنما قد يصير عالما غنيا بالأحداث، ويبض بالحياة ويملك قوة التغير والتحول . وقد يكون البيت في الأدب هو الوطن بكل أطيافه وأفكاره ، أو تناوله والتحامه " فالمكان في الفن اختيار ،والاختيار لغة ومعنى وفكرة وقصد"(٢).

" ووصف موصوف بأنه موضوع جمالي، يعني أنه يكتسب أبعادا رمزية ويكون الوصف للدلالة على أنه غير موظف في سياق عملي غايته الإفادة أو النفع . لأن الجمالي هو المتسع الجميل. ولأن الجمالية إحدى خصائص الأدب...كان تحديد جماليات الأمكنة مرتبطا بتحويل

---

[١] [illegible]

[٢] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكان من مكانية إلى دلالة . لأن الجماليات هي تحويل المكان من مـدرك حسـي إلى مـدرك نفسي"[١].

وهدف دراسة المكان جمالياً إلى الكشف عن جوانب وعوالم أخرى لا يمكـن ان يصـل إليها عالم الهندسة أو الجغرافيا او الفيزياء، وذلك عبر التأمل،والتأمل العميق الذي لا ينفصـل عن القوة التخيلية التي تغلف كيان المكان القصصي الذي ينم عن طريق" التغلغل إلى مـا وراء الظاهر منها ، إلى جزئياتها ،والعلاقات الداخلية لها "[٢]"وجمالية المكان " لا تكمن في ذاتـه او في عناصر الطبيعة المجردة بقدر ما تستمد من الحياة التي تدب فيه من خـلال الموجـودات الـتي يحتويها،ومن خلال ا[٣]فيفقد المكان حياديتـه ويصـبح جزءاً من الـ ، والبطل بكل ما يفعل يتصل به ويتحول إلى جزء منه.

جميع الحقوق محفوظة
لا يمكن نسخ أو استخدام أي من المواد في الرسائل الجامعية

وقد أصبح توظيف المكان [illegible] موضوع بحثنا أمراً ضرورياً بعد التنبه للطاقات الإيحائية، أو الدلالة الحاملة التي تمكن شحن المكان بها وهذا بالطبع لا يعـني أن كُتاب القصة سابقاً لم يوظفوه او يتعبير أدق لا يعني انه لم يكن للمكان سـابقاً دلالات أو جماليات ولكنها كانت ترد عفواً من غير قصد ولا تعمد. ولا يقتصر اهتمام النقد على توظـيف المكان جمالياً في القصة ، بل هناك اهتمام بالناحية الجمالية للمكان في مجالات أدبية أخرى حيث "المكان من وجهة النظر النقدية . تُعد واحداً من المكونات الأولية لبناء أي نص سردي، سـواء

---

[١] [illegible]
[٢] [illegible]
[٣] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكان هذا النص قصة قصيرة أم رواية أم قصة طويلة [١] .حتى الشعر يحتوي على أمكنه رمزية يمكن دراستها وتوظيفها جمالياً لكن الملاحظ ان المكان الروائي حظي بنصيب وافر من الدراسات النقدية ، فهو مكان يتسم بالتعدد والاتساع مما يتيح للشخصيات التنقل فيه تنقلاً مصحوباً بالزمن مما يعني تغيراً في سماتها وأحوالها. فالرواية الجديدة تحررت من قيود الواقعية المكانية ، والتسلسل السردي الذي يقدم المكان متضمناً للأحداث وتعيش فيه الشخصيات ، لكنه في الرواية الجديدة وظف جمالياً حيث اصبح عالماً يمور بالأحداث ، مشحوناً برؤى وأفكار عديدة فالمكان الروائي يبنى على أسس ثابتة من رؤية المؤلف وفكره.

بالإضافة إلى ما تقدم فإن "التركيز والإلحاح على وصف المكان في الرواية يضفي على نسيجها السردي مذاقاً خاصاً ولونا جمالياً يتجاوز الى حد كبير وظيفة الرواية الحرسواء من حيث الشكل التعبيري ، واللغة المستخدمة ، والأسلوب ، أو من حيث الموضوع" [٢]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وفي دراسة المكان الروائي يتم التركيز على صلته بالشخصيات. حيث يمكن اعتباره " بمثابة بناء يتم إنشاؤه اعتمادا على المسوحات والمحددات التي تطبع الشخصيات. بحيث تجري التحديد التدرجي ليس فقط لخطوط المكان الهندسية ، وانما أيضاً لصفاته الدلالية وذلك لكي يأتي منسجماً مع التطور الحكائي" [٣]

أما المكان المسرحي فيتميز عن غيره من الأمكنة الأدبية بانه يمرّ في مراحل عدة منها مرحلة كونه مكاناً مكتوباً تتجلى فيه رؤية الكاتب وفكره. ويكون خاصاً بالكاتب . لكنه بعد ذلك يمرّ في مرحلة التجسيد الحي لهذا المكان عبر تقديمه على خشبة المسرح وأمام متلقٍ مباشر

---

[١] ...

[٢] ...

[٣] ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(الجمهور) فسم تطعيمه برؤية المخرج وتقنياته الفنيه وعليه فإن المكان المسرحي أكثر بـــروزا وإقناعا من غيره لأن رؤية المؤلف فيه " تؤسس ضمن استراتيجية المكان المعلن ظاهريا والـــذي يشكل حدا ملموسا، كأن يختار المؤلف واجهة قصر، أو كوخا صغـــيرا، أو ينتقـــل متدرجـــا بالأمكنة من الأعم إلى الأخص "[1].

ومثل غيره من الأماكن الأدبيه ،يعمل المكان الدرامي المسرحي على الكشـــف عـــن مستوى الشخصيات النفسي، والاجتماعي، مما يعمق الفكـــرة في نفـــس المتلقـــي (المشـــاهد) فالدلالات التي يبنيها مكان العرض سواء على الخشبة ، أو في الصالة أو امتد في الأمكنة المحاذية للعرض، أو اختيار المخرج لمكان حاضر أو ماض أو مستقبل أو واجهة كنيسة، او معمل ، فإنه يضفي جزءا من رسالة العرض ويحول من وظيفته الحالية إلى وظيفة جديـــدة جماليـــة أو فكريـــة او عاطفية" [2].

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والمكان الشعري مكان رمزي دلالي، لا يحتمل أحداثا تجري ولا شخوصا تتحرك، بـــل هو رمز يختصر أحداثا وأزمانا و أساطير وأفكارا ، فالشاعر يجسد المكان بوســـاطة الصـــورة واللغة والإيقاع كما " أن المكانية تخلق جماليتها في القصيدة من خلال التفاعل الشديد والمعقـــد بينها وبين فلسفة العصر ورؤيا الإنسان،لا سيما إذا عرفنا أن الشحنة الجمالية للصورة اليـــوم لا تكون مقبولة إلا إذا حملت تواريخ عديدة : خفية ومعلنة، آتـــة إلينـــا عـــبر فعـــل المخيلـــة النشط(٣)ومن الاستراتيجيات المتبعة في تجسيد المكان الشعري مـــا يتمثـــل في " أن المكـــان الشعري يعيد تشكيل صورة مكان الألفة ،ويزيد من سطوعها وتعميقها حد انفصـــال مكـــان

---

[1] البعد الدلالي للمكان في الشعر العربي ص ٢٢

[2] المرجع نفسه ص ٢٢

[3] المرجع نفسه ص ٢٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر نفسه عن مكان القصيدة الشعرية. وبذلك لا تداخل بقدر ما يسهم مكان الشاعر في تشكيل الضغط الذي يولد تلك الامكنة الشعرية القصية "[١]

والقصة القصيرة التي هي موضوع هذه الدراسة من زاوية مكانية ، من فروع الأدب التي يتم التركيز فيها على المكان المكثف لا سيما وأن المساحة الفنية لبناء القصصي ضيقة مقارنة مع الرواية ، فهي تعتمد على اللقطة القائمة على التكثيف والايحاء وهذا يؤثر في طريقة تظهير المكان في القصة حيث" لا نصبح الا امام المكان المكثف...الا أن المكان من حيث هو عنصر من عناصر البناء الفني ، لا يستغني عن محكم هذه الكثافة ، بل يصبح الأرضية التي يشيد عليها القاص بناءه ، ذلك أن المكان هنا عمل الى الوعي موضوعه هو البطل، وبعض سمات الأسلوب"[٢].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ونتفاعل عناصر البناء القصصي ومنها المكان لكي يحقق لنا الوعي أن النص القصصي مغلق على ذاته فهو وان شكل" وحدة بانية وعضوية ، وله علاقاته الداخلية، التي تكفل له استقلاله،وتفرده،وخصوصيته . ومن الممكن- إذا لم يكن ضرورياً- أن نفض اسراره من داخله ومع ذلك فهو ليس عالما مصمتا، ومسدودا في إطاره النصي،بل هو عالم مفتوح له علاقاته المرجعية المهمة التي من وظيفتها أن تفتح منافذ من الضوء على النص "[٣] فهو يتفاعل مع محيطه الخارجي الذي يسبغ على أمكنته شيئاً من سماته الشكلية التي توظف فنياً لدلالات جديدة عميقة.

وعند دمج المكان في القصة ،فإنه يفقد حواصه الهندسية، ولا يتم وصفه وصفاً خارجياً تسجيلياً ، بل يتم التركيز في دراسه على الأبعاد الانفعالية اللازمة، والدلالة المقصودة. فهو

---

[١] [illegible]
[٢] [illegible]
[٣] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس إطاراً مجرداً ، أو خلفية تربية ، أو فراغاً يحوي الاحداث، وتتحرك فيه الشخصيات ،بل هو جزء مهم وفاعل من نسيج القصة التي به تنتظم أجزاؤها، وتتفاعل عناصرها،بحيث يؤدي ذلك إلى تجسد دلالاته وجمالياته فهو " مولد لفاعلية فكرية، يوازي فيها فعل الطبيعة، وتخلل من خلالها إرادات الناس وتوجيهاتهم "[١]

وليس كل مكان في القصة يمكن أن تحمل صفات جمالية فالمكان الذي لا يوظف جماليا يوصف عادة بالإطار الذي هو المكان الخالص الذي لا مدلول له " مرصود بالنظر. ومقروء بفعل حركة الشخوص، وغالباً ما يكون قد تشكل في الماضي – أي كبُعد تقافي– في أعماق التجربة، تأتيه الشخوص مصاحبة لزمان الحدث وفعل [illegible] أما المكان الفعّال فهو مركز الحدث ، وعين الصورة ، مما يستدعي الشخصيات لتؤديها، وإليه تسعى حتى فعل الفص لتستقر فيه .وغالباً ما تكون هي [illegible] فيه الظلمة والأسرار، وتبوح الشخصية فيه،تخاطب نفسها، أو لترتكب جرماً ... ويكمل المكان الإطار "ديكور" الحدث، ويمده بنسغ الحياة، وكأنه يهيئ له شروط وجوده الحقيقي بوصفه خلاصة لكل ما كان وما يكون . وفي مثل هذه الأمكنة تصح الحركة صحيحاً مع محدودية فعلها، إنما أشبه بالصراع الدرامي العنيف الذي ينحدر من النفس ميدانا له"[٢].

وتخضع المكان في الأدب ولا سيما القصة موضوع البحث ، إلى سلسلة من التحولات أو التوظيفات الجمالية – إن صح التعبير – وذلك بأساليب وطرق مختلفة. وبتفاوت القصاص في مستوى توظيفهم للمكان جمالياً في أعمالهم، وفي مدى عمق المفهوم الجمالي والرؤية،والشحنات الدلالية التي يتم شحن المكان بها في القصة وذلك حسب طريقة كل واحد

[illegible]

[illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهم ولعل" الطريقة الفنية هي التي تظهر لنا جمال المكان. وصحيح أن المخزون التاريخي لهذا المكان يمده برؤى ثرة إلا أن ذلك كله لا يعطينا فنا دون رؤية الشخصية وهي تعمل، والحدث وهو ينمو،واللغة وهي تعكس الوعي،والأسلوب وهو يميز الطريقة.إن التاريخية في أجمل مفاهيمها هي تحديد لطريقة الحياة"[1] وهذا يؤكد أن المكان جامع لناتج تفاعل هذه العناصر فهي تدعم وجوده،وتثبت جماليته فالقاص يبني أمكنته بلغة فنية ورهية جغرافيا وهندسيا، ولكن لا يمكن بحال من الأحوال وصفها وفهمها والتعامل معها بالمقاييس المادية المجردة. فهي أماكن مفترضة أو مخيلة تقع فيها أحداث ورهية إلا أنها لا تقطع أسباب ارتباطها بالواقع ، ولا سيما عندما تعبر عن واقع ، وتستجمع عواطف وذكريات خبرها وآمال يضمنها الكاتب أمكنته التي هي ذهنية أولا وأخيرا.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويمثل المكان الطريقة التي تقع عليها أو فيها الأحداث، والإطار الذي يتضمنها، فهو عنصر مهم من عناصر العمل الأدبي يصوغه الكاتب بلغة ممزوجة بخياله مما يجعله- أي المكان- مطابقا حينا للواقع ومخالفا أحيانا كثيرة، لذلك لا بد من " رحلة في عالم مختلف عن العالم الذي يعيش فيه القارئ، رحلة في الزمان وفي المكان غير الطبيعيين"[2].

ويتم تناول المكان باعتباره تعبيرا مجازيا عن المعاني فالتعبيرات المكانية تصبح " أشبه برموز أو صور مجازية تعبر عن الحقائق الداخلية للأشخاص "[3].

وقد يتم تحويل الأفكار والقيم إلى أمكنة تعبر عنها بأسلوب فني جميل ويتحدد ذلك من خلال " التمثيل للقيمة بالمكان، والتقابل بين القيم من خلال التقابل بين الأمكنة. فالقصر العالي

---

(1) ...

(2) ...

(3) ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواسع الكبير للغني القادر على الفعل . والبيت الصغير الضيق الحقير للفقير"[١] وهذا يؤكد تشكل المكان على هيئة أنساق متقابلة منها (المفتوح / المغلق) ، أو (المتسع/ الضيق) أو (العالي/المنخفض) وغيرها من هذه الأنساق الثنائية التقابلية للتعبير عن المكان (الفكرة) وهذه الأنساق المتقابلة تحمل في ثناياها معاني الصراع والتضاد في الواقع .

والذات (الشخصية)في الأدب تتحول إلى مكان تتصهر فيه الأمكنة باشكالها المختلفة فتختزن في الذاكرة والشعور مما يحدث الانسجام بين الداخل والخارج أو حتى التنافر بينهما.

ومما يساهم في تشكيل المكان الفني، الأدوات الفنية التي يستخدمها الأديب ولا سيّما اللغة التي تساهم في التعبير عن هذا المكان وبما تحمله اللغة قادرة على هذا التحديد الفني للمكان، والتجاوز به حدوده الهندسية لتصبح المكان في الرؤية التي يريد أن يبثها الكاتب عبر المكان بالإضافة إلى الخيال الذي "يشكل المكان بواسطة اللغة على نحو يتجاوز قشرة الواقع إلى ما قد يتناقض مع هذا الواقع ، غير أنه يظل على الرغم من ذلك واقعاً محتملاً، إذ إن جزئياته لتكون حقيقية، ولكنها تدخل في سياق حُلمي يتخذ أشكالاً لا حصر لها"[٢]

٥٦٢١٢٨
مركز ايداع الرسائل الجامعية
جميع الحقوق محفوظة

وتناقش (سيزا قاسم) في كتابها (بناء الرواية) أحد الأساليب المهمة في تحديد المكان وهو الوصف . وهي ترى أنه على الرغم من كون الوصف أسلوباً إنشائياً يقدم الأشياء بصورة مجردة يعتمد على مظهرها الحسي وهذا هو المفهوم المبسط للوصف، لكنه في العمل الأدبي إنما يعتمد تجسيده على اللغة التي هي "قادرة على توظيف الأشياء المرئية وغير المرئية مثل: الصوت والرائحة. ومن هنا نستطيع أن نفكر في التصوير اللغوي على أنه إيحاء لا لغائي يتجاوز الصور المرئية ولذلك يجب ان ننظر إلى الصورة المكانية ...-أي تجسيد المكان- لا على أنها

---

[١] [illegible]

[٢] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشكيل للأشكال والألوان فحسب، ولكن على أنها تشكيل لجميع مظاهر المحسوسات من أصوات وروائح وألوان وأشكال وظلال وملموسات...الخ"، وتحدثت كذلك عن (الوظيفة الإيهامية للوصف) بمعنى الاتقان والمهارة والإبداع في وصف التفاصيل الصغيرة للعالم الخارجي و دمجها في العمل الأدبي بحيث يتفاعل معها القارئ وهو يشعر" أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال، ويخلق انطباعاً بالحقيقة أو تأثيراً مباشراً بالواقع "[٢١]. وبناء عليه تعاد صياغة المكان الواقعي ليكتسب حلة فنية جمالية إيهامية . فالفرق كبير بين الأمكنة الفنية المتخيلة والأمكنة الواقعية بعد التعديل والتحوير .

والمكان في رأي الكثيرين هو الحقل الذي تتشابك فيه الشخوص ويدفعهم للتفاعل معه و التماهي فيه ، وعندما يدفع الزمان نحو الأمام أو يعود إلى الوراء في لحظة استرجاع لذكريات ماضية ، أو حتى عندما يضيق بالإنسان فيدفعه إلى الانطلاق بخياله وفكره إلى أمكنة أخرى وبذلك يتحول المكان إلى البطل المحرك للأحداث. عندما يتحول إلى مكان رؤيوي يتفاعل فيه الداخل والخارج حيث" يصعب التعامل مع الخارج دون الداخل حتى لو انعدمت كل الروابط الظاهرية، أو انعدمت تلك التي يمكن استجلاؤها من خلال المناخ العام السائد يشتمه السياق، لأن المكان المطلق بوصفه جوهراً في المستويين الداخلي والخارجي ينشأ أيضاً في أعماق الإنسان"[٣]حيث يتم تجاوز الملامسة والانتقال السطحي للمكان.

وللمكان الموظف جمالياً وظائف منها الوظيفة الإسقاطية ، إذ يسقط عليه الكاتب أفكاره وينطقه بلسانه ويحمله أبعاداً أيديولوجية وفكرية وأحياناً ميثولوجية رمزية . و " التلاعب بصورة المكان يمكن استغلاله إلى أقصى الحدود.فإسقاط الحالة الفكرية أو النفسية للأبطال على

---

[٢١] [illegible]

[٢٢] [illegible]

[٢٣] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما يعبق المكان القصصي بالذكريات أحداثاً وأشخاصاً فإن ذلك لا يعني بالضرورة أن يكون مصدر هذه الذكريات ذاكرة المؤلف بل هي ذاكرة المكان المؤنسن وعلى النقيض من ذلك فقد يخلو المكان عندما يصبح بالشخصية فتفقد الانسجام والأمان مما يدفع بها لتكون مشاعر سلبية نحو من الكراهية والعداوة .

والمكان المدان في القصة أو القصيدة هو المكان الذي لا يحتوي " أي فعل بشري مميز .والفعل الإبداعي الشعري أو القصصي — هو فعل قصدي ، يراد به إحداث تغيير ما في بنية المكان[1] ، ولتعميق مفهوم المكان المدان وتوضيحه يورد مثالاً على ذلك قصة (الدرس) للقاص العراقي [illegible] ويستل سكيناً لذبحها فتشكل لدى الابن مشاعر الفزع لذى مرافقته للحمامة المقتولة بناء على تكليف من والده وعندما يلاحظ الأب علامات الفزع بادية على وجه الابن يقول دعك من الحمامة .فالغرض المهم حسب رأيه في هذه القصة ليست الفكرة الأخلاقية المجردة ولكن المهم فيها "الفعل اليدوي، أي فعل الثقوب التي سيصنع فيها البدور ، فالثقوب المعمولة في الأرض ستحتوي جسد الحمامة وستدفنه أي تخفيه، كما تخفي هذه الثقوب التوجس الخفي للابن من أن أباه سيئ، وستخفي أيضاً البذور التي تحول السطح العادي المدان إلى أرض معطاءة فالثقوب تغير جذري في سطح الارض، وبالتالي تحول مهم في مسار القصة لم يخف الحمامة حسب بل المشاعر السيئة[2]" وهذا شكل أو مفهوم من مفاهيم توظيف المكان جمالياً عندما يتجاوز المكان وساؤه سماه ووصفه الظاهري إلى ما هو أعمق في دخائل النفس الانسانية .

---

[1] [illegible]

[2] الرجع نفسه، الصفحة نفسها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتفاعل المكان مع غيره من عناصر القصة الأخرى لإبراز الجوانب الجمالية. فهو الإطار الذي يجمعها ويصوغها ويتشكل بعد ذلك منها. وقد تطرق الكثيرون لأهمية دراسة علاقة المكان بالزمان في العمل الأدبي لأن المكان يعني بالضرورة وجود الزمان. فهما عنصران لا ينفكان في الحياة والواقع . فالمكان هو الحاوي المادي لفعل الزمان بالمتحركات فيه لا سيما الإنسان. ومثلما أنه لا انفصال بين المكان والزمان واقعاً فلا انفصال بينهما في الأدب حيث الكثيرون يتحدثون عن علاقة المكان بالزمان من وجهة نظر جمالية تؤكد فعالية المكان ففي " سياق التحولات تختفي الحدود بين الزمان والمكان فيتحد المكان صفة زمانية أو يكتسب الزمان خصيصة من خصائص الاستمرار في المكان"[1].

جميع الحقوق محفوظة
يمكن استخدام هذه الرسالة للإطلاع فقط وليس للنسخ أو الاقتباس إلا بإذن من صاحبها
يرجى الاتصال بمركز إيداع الرسائل الجامعية

و تذهب احدال عيشاك إلى أبعد من ذلك إذ تؤكد أن الزمان هو المكان " لأن الزمان لا يمتلك طاقة كامنة منفصلة عن كائنات الواقع في الطبيعة، وإنما تكون له أيضاً طاقة قادرة على اختراق المكان حتى لو كان حاجزا مثل " الجدران" أو مكاناً حصيناً مغلقاً مثل" الحصون" بل إنّ الزمان،فضلاً عن ذلك يصبح هو نفسه المكان"[2].

إنّ تفاعل المكان مع الزمان ومع ضلع المثلث الأخير الإنسان يؤدي بالضرورة إلى نسج الأحداث التي هي عبارة عن الأفكار والدلالات. كما أن حركة الزمن تظهر آثار فعلها في المكان الذي يتغير بمرور الزمن . لكن تغيره بطيء مقارنة مع سرعة وديمومة التغير الزمني، فالمكان ثابت نسبي بينما الزمان متحرك " فالمكان صامد للزمن وعوامل التغيير"[3].

أما علاقة المكان بالشخصية فهي من العلاقات الحيوية في القصة فالمكان يتشكل جمالياً وفناً بفعل الشخصية وتفاعلها معه ولم يكن المكان يوماً أمراً طارئاً في حياة الإنسان . بل هو

---

[1] احدال عيشاك، البنية السردية في قصص [illegible]، [illegible]، ص ٢٠٠.

[2] [illegible]، ص [illegible].

[3] [illegible]، ص [illegible].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحيز الذي يتجسد فيه وجوده فلا إنسان دون مكان مع أنه يوجد مكان دون إنسان. لذلك فإن ارتباط الإنسان بالمكان ارتباط الفرع بالأصل ، والمتجدد بالثابت ، وهو ارتباط مشيمي يستمد منه الإنسان معاني الوطنية والألفة والأمان وهذا الارتباط يبلغ حدّ تماهي الإنسان في المكان و تجذر المكان في الانسان .فهو حاضن ماضيه وذكرياته وواقع طموحه و آلامه وأحياناً يصبح المكان هو مكان الحلم الذي يرنو إليه عندما تضيق أمكنته الواقعية . من هنا كانت علاقة الشخصيات الأدبية به ولا سيما القصصية من أبرز العلاقات التي تمّ التنه إليها إذ إن مثلث المكان والإنسان والزمان هو بؤرة الجمال ومصدره إذا ما تمّ إتقان توظيفه بالوسائل الفنية المختلفة . فقد تحقق التجانس في توظيف عنصر المكان قديماً عندما تناقض الأحداث والشخصيات مع طبيعة المكان.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وفي القصة تمتزج المكان (الفعل) بالمكوث فتجد الإنسان عاجزاً عن حيواتهم الظاهرة والمضمرة فهو لم يعد مكاناً سطحياً وذلك " ترسيخاً للحداثة في القصة التي بدأت تشدّ مراسيها إلى الميثولوجيات وتقاليد المجتمع وعاداته وأغانيه وترنيماته وموارثه وأمكنته القصصية .متعددة بالقصة عن هتافات الشارع وأحزانه"[1] وهذا تأكيد على تأثر الإنسان بما حوله ومحاولة تمثل ذلك في القصة " فالإنسان بمشاعره و عواطفه ومزاجه يأخذ من الطبيعة وطقوسها وفصولها ما يساعد مشاعره وعواطفه ومزاجه على رسم المكان "[2].

وتختلف الأمكنة وطبيعة العلاقة بينها وبين الإنسان حيث نجد الأماكن الآمنة القريبة : الوطن والبيت والمسجد...الخ بينما يقابلها الأمكنة المخيفة المرتبطة بالفقر والخوف والغموض وعدم الاستقرار كالصحراء والسجن...الخ وهناك الأمكنة الحاضرة المعاشة وتقابلها أمكنة

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذكرى والماضي ولعل هذه الأخيرة أكثرها اكتسابا للمعاني الجمالية واحتواء للأفكار لأنها مختزنة فيهده " الأمكنة في أساسها تاريخية ، ولكنها بعد تجاوزها ، وتجاوز تاريخيتها تصبح أمكنة نفسية وشعرية لها جمالياتها ورموزها ، ودلالاتها وارتباطاتها النفسية ولها الأجواء المغناطيسية النفسية التي تتشكل حولها حين ذكرها او استخدامها[١]" فكم هي الأحداث والمواقف والأشياء والأشخاص الذين نتذكرهم عندما نستذكر مكاناً ما فعند تذكر الأشياء في الأمكنة وإخضاعها للوصف فإنما إنما نصور من كان في هذه الأمكنة .

والأمكنة الموظفة في القصة تكشف عن مستوى شخصياتها الثقافي والاجتماعي .كما أنها تشكل مرآة لطباعها ونفسياتها والدور الذي تقوم به داخل بنية السرد تشكل السرد المكاني في النص اعتماداً على الفكرة الذهنية والرأي الذاتي لدى الشخصة فالجدل الداخل بما يشتمل عليه من مكونات [illegible] مع مكونة المكان الداخلي او التصور الذهني للمكان من ناحية ،والخارج متمثلاً في أبعاد موضوعية واجتماعية مستمدة من الواقع المعيش من ناحية ثانية[٢] وهذا بدوره يكشف عن العقلية الثقافية التي ينتمي إليها الأديب. وتفسر سلوك الشخصيات في القصة وهذا من الرؤى الجمالية التي يوظف فيها المكان.

وتتبدى صورة جمالية موحية للمكان (الوطن)عندما ينتقل الإنسان إلى المكان الآخر (الغربة) حيث يتصارع كلا المكانين ،إلا أن روح الوطن الساكنة في الإنسان المغترب تنقل الوطن إلى الغربة ، لكنه وطن دهني يجعله الإنسان منتفضاً لمخاوفه من الغربة.

وقد يصور المكان بشكل آخر من الغربة عندما تعاني الشخصيات مما يمكن تسميته بالعزلة المكانية إذ إنّ إحساس الإنسان بالغربة – في المكان الذي اعتاده وارتبط به نتيجة لفقدان اللغة

[١] [illegible]

[٢] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التواصليه بينه وبين غيره ممن يرتبطون بهذه الأمكنة. هنا يتحول المكان في القصة إلى مساحة ملأى بالغربة والوحشة حيث تتلاشى الكثافة العددية في المكان ، وتطغى القطيعة الفكرية والروحية عندها يفقد المكان ألفته.

وتبرز في المكان القصصي ثنائية الداخل والخارج حيث إنّ" علاقة الإنسان بالمنزل أو المأوى أياً كان،تحيل الانسان إلى هذه الثنائية لاتصال أحد طرفيها " الداخل " اتصالاً خاصاً بالمنزل الأبوي أو الأمومي،بوصف المنزل أكثر الدوائر المكانية انتشاراً ،وأكثرها قدرة على احتواء الأفكار والمشاعر،وأكثرها قدرة على طرح جدلية العلاقة بين الإنسان والمكان "[١].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

مما سبق نخلص في مفهوم المكان الموظف جمالياً بالإضافة إلى الوقوف على بعض أهداف الدراسة الجمالية للمكان في الأدب عامة والقصة القصيرة خاصة سأحاول في الفصول التالية تلمس الجوانب الجمالية للمكان في القصة العربية القصيرة . وما يدفعنا لذلك وضوح المكان في الذاكرة (اللاهية) العربية ،لأن ارتباط العربي بالمكان ارتباط وجود ومصير. وقد حملت لنا صفحات الدواوين والكتب صورة عميقة عن علاقة العربي بالمكان . ولعل أبرز مثال على ذلك المقدمات الطللية لدى شعراء العرب التي هي وقوف بالمكان ولا سيما المكان الموحش والأنيس الذي يخاطبونه ويسألونه . بالإضافة الى أننا لم نجد دراسة جامعة واحدة على الأقل تخضع المكان القصصي للدراسة الجمالية لذلك سنحاول الكشف عن التحولات الجمالية للمكان في القصة العربية القصيرة عن طريق دراسة مجموعة من المختارات القصصية من أقطار عربية مختلفة تشمل جلّ البيئات والأمكنة العربية .

[١] صلاح صالح ، سيمياء العنوان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص ٢٦٦

ونحن نسعى في هذه الدراسة إلى دراسة جماليات المكان في القصة العربية ، وما تؤديه هذه الجماليات من دلالات تشحن القصص برؤى عميقة ما كانت لتظهر أو تتضح لولا دراسة المكان. ويتبع ذلك دراسة أنواع المكان الفني في القصة وعلاقتها بالزمان،و تأثيره في رسم الشخصية القصصية العربية ، بالإضافة إلى محاولة الكشف عن أثر وصف الأمكنة في جماليات الشكل الفني.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

(المكان المغلق)

أ- البيت : ١- البيت (الذكريات والطفولة)

٢- البيت الملاذ .

٣- البيت المؤنسن .

٤- البيت المعادي.

٥- البيت الدليل المفهوم

٦- البيت باعتباره ملاذا للمقاومة الأردنية

٧- البيت رمز الوطن

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٨- البيت وتقنية الوصف .

ب- المقهى .

ج- السجن

د- المكان الديني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكان المغلق :

تؤدي الأمكنة المغلقة دورا محوريا في القصة العربية القصيرة ،لأنها ذات علاقة وثيقة بتشكل شخصية الإنسان ،بالإضافة إلى أنها تشكل اللبنات الأولى في شبكة العلاقات الاجتماعية ، والثقافية ،والسياسية. وتتفاعل هذه الأمكنة مع الزمن ومع المحيط الخارجي لها بإيجابياته وسلبياته و تجلياته ، وتغدو كالإسفنجة التي تمتص نتائج تفاعلها مع محيطها. فتحولها إلى قدر يغلي بالأحداث ،والأفكار ، والذكريات ، والآمال ،والرغبات،وحتى الخوف والتوجس . لقد تعددت الأمكنة المغلقة في القصة القصيرة ،فكانت في مقدمتها البيوت لارتباطها الوثيق بالإنسان ، حتى لو وجد هذا الإنسان لاجئا فوق هذه الأرض ،فإنه يشكل خيمته،وتصرفاته ومنها ينطلق إلى أمكنة أخرى ، كالمقهى الذي يسهم بطريقة من الطرق في إضفاء سمات أخرى على روادة فهو الذي يستوعب النتائج التي يفرزها المجتمع ولا سيما ما يتعلق بالهموم والآمال التي ينفثها المرتادون مع دخان سجائرهم ، أو أنفاس أراجيلهم وهناك السجن بنوعيه :

التأديبي،والسياسي (الفكري) والذي يعبر كثيرا من مفاهيم الإنسان، أو يعدلها ويكشف عن واقع يعيشه الناس بينما يقع المكان الديني بين هذه الأمكنة فهو المكان الروحي المرتبط بالطُّهر والنقاء وفسحة الالتجاء التي يشعر فيها الإنسان بالسكينة والطمأنينة ، حيث يطرح المكان الديني مرادفاً للحياة الأنقى الأكيدة النقاء – إذا جاز التعبير– على اعتبار أن البيت أو غيره من الأمكنة يطرح مرادفاً للحياة النقية الآمنة غير الأكيدة فقد يتحول إلى عكس ذلك مصدراً للخوف والتوجس والقداوة المادية والمعنوية .

ويمكن القول : إنّ الأماكن المغلقة، مادياً واجتماعياً،تولد المشاعر المتناقضة المتضاربة في

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- البيت :

"البيت هو ركن في العالم ، إنه كما قيل مرارا، كونا الأول. كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى . وإذا طالعناه بألفة فسوف نرى أنه يحمل "قيما" وهو يملك القوة الكامنة لجمع المتفرق.المعارض والخطط على العالم عبر تأمل،وتأمله أو خرقه . وتبرز هذه الصفات عبارة عن [illegible] . وعندما نتحدث عن البيت فإننا نربطه بإرتباط الشعري بالمنزل،وهذا ما يمكن تسميته بالبيت الأم.البيت الذي يحمي والحماية والاستقرار،وهذا هو البعد الجوري والأول للبيت في الإنسان،وهو ما تعكسه القصة العربية المعاصرة بصدق لما يعكس مدى إرتباط الإنسان بالبيت الذي هو [illegible] عميق يمتد به أمانه ويمكنه كونه صورة لرحم الأم [illegible] ومصدر الأمن والطمأنينة وإلى هذا يشير بعض كتاب القصة " الأمهات التي هو [illegible] لصاء بيوت الشعر في كل بيت واسط قوي لا يضام، ولا [illegible] . [illegible] إذا جن الليل ملف عليهم عباءة الظلام ...وإلى الصدور آمنة [illegible] بعد كي يظل [illegible] ظلام" وهو مايمد الإرتباط بالأم والأخوة والعشيرة الداخلي [illegible] بكون ما هو خلف كابوسا مريعا،لعله الآن في بيته مع [illegible] في قرية [illegible] وتحلو برفقة الكاتبة - "والأمهات هن من يعطين البيت [illegible] أول الخدمات إرتباطا بالبيت .

[illegible] البيت القوي عمل في إرتباط البيت " بالرغبة العميقة بالسكنى والقدرة، ويبرز البيت في شعر الإنسان على أنه مهد "الذي يوفر له الحماية والأمن ...والبيت هو الذي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرشح مكاناً للدفء والحنان [١]"وهذا بدوره يعكس تماسك المجتمع العربي الذي على سواد (البيت) الذي يعني الأسرة والألفة والعطف والحب والتراحم " دخل إلى البيت فألفى زوجته بانتظاره ، والعشاء جاهز ، والمربع الكبر نظيف والكراسي الصغيرة مرشوقة على جانبه ، وفي الصدر مجلسه والطرابيح التي يتخذها هو والزوار متكآت لهم في أماكنها، والغوطة قبالة البيت، غابة من خضرة والقمر يتسلق قبة السماء، رفيقاً متمهلا ، مشعاً بالنور الأبيض الوهاج شأنه في تشرين من كل عام "[٢]فالبيت هنا مساحة الأمان والهدوء والاستقرار ، حتى إن وصف البيت، ووصف تفاعله مع الطبيعة الموحية بالسكون والانسجام يدلان على أن داخل البيت كما هو خارجه منسجم ومستقل لوحة جميلة تحفها الطمأنينة

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وارتباط البيت بمفهوم الأمان والاستقرار يتمثل في انه أول مكان يجيء في ترتيب أقرب الأماكن وحتى الأشياء للإنسان وأكثرها تحقيقا لسعادته . وبانتفاء وجوده ينتفي ركن هام من أركان حياته" ساعة خرجت روح الدكتور أحمد أحسّ يوسف بأن روحه معلقة بشعرة وأن رأسه يكاد ينفصل عن جسمه ، شغّل ذاكرته فوجد نفسه وحيداً على ظهر هذا الكوكب، لا بيت ، ولا زوجة ، ولا أولاد، ولا أصدقاء ولا ما يحزنون" [٣]فهذا الأبله (يوسف)وبعد أن فقد الدكتور أحمد الذي كان بيت في عبادته،تبدت أمامه صور الشتات والضياع التي من أهمها فقدان البيت الذي يعني بالضرورة الاستقرار ووجود زوجة وأولاد وحتى أصدقاء .

والبيت كما صورته القصة العربية في بعض أبعاده، أول الأحلام وبدء التحول نحو الإيجابية والطبيعية في الحياة " لقد عاش سنوات طوالاً وحيداً في غرفة واحدة،يجهد ويعمل من أجل جمع

[١] انظر نفسه المصدر السابق ص ١٢٧.
[٢] نفس المصدر السابق ص ١٢٧
[٣] انظر نفس المصدر السابق ص ١٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض النقود ، يفكر أنه سوف يؤثث بيتاً وسوف يتزوج [١] "فالبيت هو أول أحلام هذا الشاب الذي يعمل بجد وصبر من أجل تأسيس بيت يكون مستقراً له و مصدر أمان .

حتى في حياة المومس يصبح البيت مطمحا للبدء من جديد بحياة إيجابية ملأى بالطهر والاستقرار" سمعتها تردد أنها تحتقر نفسها وأنه لا أمل لها في دنيا ولا في آخره ...

- هل تصدق أنها ستنجح ؟

- كلهن يقلن ذلك ...اسمع يا سليمان ..إنها تحن لبيت لا يطرق بابه سوى رجل واحد "[٢] فها هي تحلم بالبيت الذي لا يطرق بابه سوى زوجها مصدراً للأمان والإحساس باحترام الذات.

جميع الحقوق محفوظة
لا يجوز استخدام هذه المادة بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من المؤلف
يمكنك إيداع الرسائل الجامعية

وفي حياة التيه ، والضياع والتشرد [illegible] بعد المال يبحث عنه الإنسان ليتخلص من [illegible] فإنه يجده حتى لو كان حراماً ، أو حقيراً ، فكأنه عثر على كنز لا يقدر بثمن.

"أيتها الروح اطمئني قليلاً.

ويا أيها القلب جف من هيجان نبضك .

- غرفة صغيرة ...ولنا[٣] من يصدق حرافة كهذه ؟

- كنت قد تعلمت كثيراً في الحصول عليها ، تشردت طويلاً ، كنت بلا مأوى .

- يعني متشرداً [٤]

[١] في المجتمع العراقي المعاصر ، ص ١٣٦

[٢] من قلب صلاح الدين الأيوبي ، ص ٢٠٠

[٣] أحد المتكلمين يتحدث عن نفسه بصيغة الجمع في سياق [illegible] ، ص ٢٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويؤكد هذا البعد الخرافي للبيت مشرد آخر في بقعة أخرى من الأرض العربية تؤكد الوحدة في الواقع والرؤية " كان ينظر إلى الأمام غير مصدق. لم يكن يخطر بباله أنه سوف يجد أمامه وعلى بعد خطوات ذلك المنزل. ذلك الكوخ الخرب الذي يراه الآن حقيقة كبيرة لا تقبل الشك إطلاقاً...منزل؟! منزل؟!" كان الأمر فوق إدراكه وتصوره[1] " هذه اللهفة وعلامات الاستغراب توحي بأهمية البيت ملاذاً في حياة البشر وتضمن هذا المفهوم يتحول البيت إلى الوطن الصغير الذي يصبح مرادفاً للحياة . وبانتفائه تنتفي هذه الحياة وهذا الوجود كله فيستميت الإنسان في الدفاع عنه استماتته في الدفاع عن وجوده وحياته.

" لم تكن زوجته مستعدة لرد الهجوم. بالطبع لن تتوقعهم [illegible] بهم بهذه الطريقة كل شيء في متاع البيت له ذكريات عزيزة . حتى ملعقة الشاي برعة عاطفة ،ودون تفكير حركت مفتاح النور،فتحت الباب.اندفعت نحو الضالة ، وقفت بينهم ، لم يتحركوا[2] فهذه الزوجة تمثل المرأة العربية التي تدافع عن بيتها الذي هو بالضرورة حماية لوجودها و أسرتها.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويتنازل الإنسان عن الكثير في سبيل بقاء هذا البيت (الوطن الصغير) الذي هو مصدر أمانه وحريته وقوته ضد الآخرين " لا.. لا...نحن بحاجة ماسة إلى الليرات الخمس ، في هذه الأيام يجب أن نتناسى خرجينا (مصروفنا) يجب أن نبقى على الأقل في بيتنا[3] " إن تصرف أفراد هذه الأسرة وتنازل أطفالها عن مصروفهم دليل على أهمية البيت في حياة الإنسان .

والبيت ضمن هذا المفهوم أيضاً يمثل هوية الإنسان وعنوان وجوده وهذا يعني الكثير لا سيما للإنسان الفلسطيني الذي هجر بيته قسراً فظل ارتباطه به ودفاعه عنه يعني دفاعاً عن هويته

---

[1] العاريون من الأرض، السودان، ص ١٣٤

[2] [illegible]

[3] العاريون من الأرض، السودان، ص ١١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" أما بيتا يا حامد ، ففي وسط البلده ، لا تخطئة العين إذا وقعت عليه، مثل منارة عالية على شاطئ البحر[١]"وصفه هذا للبيت يؤكد تجسيده لهوية المرتبطين به .

" ثم إنّ الأرض أرضي،والبيت بيتي، بنيته حجراً حجراً، نقلتُ حجارته فوق ظهري هذا الذي الحنى...إن رائحتي ورائحة سلمان مبثوثة في كل (بصلة) من البيت والأرض[٢]".

ويؤكد ملكيته للبيت الذي لاحق لغيره فيه فقد ورثه أبا عن جدّ فكيف يملكه غيره ويدعي حقه فيه " كنت أحب حاكورة ذلك البيت ، هي والبيت ملكي ...ورثتها عن أبي وأبي عن جدي . وجدي عن أبيه وجده "[٣]وهذا التأكيد على ملكيته للبيت يعني بالضرورة تأكيداً على أهم أساس وجوده وحمايته

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ودائماً نحن الإنسان إلى بيته فقد صورت القصة العربية هذه الحالة من الارتباط بالبيت [illegible] تقدير البيت في ذات الإنسان " الواحد ما في عز الشتاء يشتهي بيته،يكفر بالشوارع الخالية والوحل والتنقل في آخر الليل[٤]" والشخصية تعبر عن تضاعف حاجة الإنسان للبيت في لحظات الشتات والاغتراب فيتشوق إليه. وشوقه هذا يدفعه إلى التأمل في هذا البيت والتنقل في أرجائه لكي يصدق أنه عاد إليه بعد طول فراق و لكأنّ هذا البيت هو الوطن الذي يعود إلى أحضانه يستمد منه وجوده وقوته وأمانه.

---

[١] انظر ترجمة القصة [illegible] ص ١٩

[٢] القصة، مصدر سابق، ص ٢٩

[٣] القصة، مصدر سابق، ص ٣

[٤] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص ٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" لم أكن أتصور ان الأيام لركض بهذه السرعة . ها هي الأشهر الثلاثة مضت . وسنعود إلى بيتك أخيراً...حانت عنا ناصر أركان البيت عند دخلا قال لها :

– اشتقت إلى كل شيء هنا . أشعر وكأنني عائد من سفر طويل،ربما بعد منه عام من العزلة [١]"

وحتى يتأكد انه عاد إلى بيته أخيراً يتجول في أركانه " دفعته بأناة، كأنه يكتشف المكان من جديد، وكانت الأشجار الخضراء الطويلة تطل بحفر عن بعد، وكان يتأملها عبر النافذة المفتوحة [٢]" إنه يعرف البيت ويعرف كل زاوية فيه لكن تجوله هذا في أركانه كان ليتأكد أنه في بيته مصدر أمانه واستقراره.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والبيت دائما " هو الخيار الأول والأخير الذي لا غنى عنه كمفهوم الوطن الذي يشعر فيه الإنسان بوجوده وأمانه واستقراره والذي قد يفقده الإنسان في سبيل احتياره ولياته فيه " ألقى حمدان نظرة خلفه ثم أمامه ثم خلفه ثم أمامه ، وحول نظره إلى الجبال ثم إلى الكوخ ثم إلى الجبال من جديد ...ثم رجع ينظره إلى الكوخ وأخيراً توجه إلى الكوخ...حينذاك دوت طلقات فجائية فسقط حمدان على إثرها قتيلاً في الحين[٣]".

ويختلف البيت عن غيره من الأمكنة في أن الإنسان يشعر فيه " بمشروعيته ويعرف مكانه في علاقات التراتب الهرمية التي تظهر في ساحته[٤]" ومن أول مقتضيات هذه المشروعية أن الفرد يمارس فيه حريته كيفما شاء وأنى شاء ، حيث ينصرف على سجيته دون تكلف ، أو خوف أو

---

[١] مقتطفات من الإشارات أشعر وقعة من ذلك ...

[٢] المصدر نفسه ص ٩٩.

[٣] عبد الله عاروري . قمر من حوله بيض ...

[٤] غستون باشلار . جماليات المكان . ترجمة غالب هلسا . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . ط ٢ . ١٩٨٤ . ص ٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حرج بعكس الأمكنة الأخرى التي تفرض قيودها وقوانينها على الإنسان" إنّ كُلّ ما أطمح إليه هو مكان صغير يؤويني، أعود إليه في الليل.ولا أريد أن أصغره وأجعله قليل الأهمية . إنه قصر بعم قصر حقيقي فعلى الأقل أستطيع أن أجلس على الكنبة وأرفع قدميّ بكل جلال فوق الطاولة متخيلاً قطع الأثاث حاشية وحدماً.نعم حاشية وحدما[١]" فالبيت مهما كان بسيطاً فإنه صورة من صور الوطن للإنسان عندما تمنحه حريته التي هي أبسط حقوقه وأول أبجديات وجوده

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

١-البيت (الذكريات والطفولة):

وفي القصة العربية يبرز البيت (الذكرى)أو أما يمكن وصفه بذاكرة البيت ، إذ يحمل الإنسان البيت في ذاكرته لا سيما بيت الطفولة أينما حل وارتحل ويزداد ارتباطه وحنينه عندما لا يعود هذا البيت موجوداً " فالبيوت التي فقدناها إلى الأبد تظل حية في داخلنا"[٢]

وعندما يشعر الإنسان أنه فقد بيته لسبب أو لآخر وفي ظلّ تعوّل الحياة يتحسد دور الذاكرة عبر الامتداد في الزمن الماضي لاسترجاع صورة البيت الأليف كما لو كان موجوداً تخفيفاً من وحشة الحياة في غياب هذا البيت والابتعاد عنه" وها أنا يا أمّ استحيب، أنا رهن إشارتك ...طوع يديك، فقط ابتسمي ،بددي وحشة المكان..هاك الكراريّ ويدي الموحلة كما كنت تفعلين فيما مضى من عمر نغسلين يدي الموحلة ، من طين أزقة تغرق بالمطر، انطلح

---

[١] جبرا ابراهيم جبرا، السفينة، ص ٢٠٠

[٢] غاستون باشلار، جماليات المكان، ص ٧٤

يالوحل صالحا...امطري وزيدي بيتنا حديدي[١٢]" فالبيت دائما يرتبط بذكريات الطفولة بكل شقاوتها وبراءتها لا سيما ارتباط البيت بوجود الأم التي ذهبت وذهب البيت معها إلا ما تبقى منه في الذاكرة . فالبيت التذكري مساحة ثابتة مكانياً (جغرافيا) لكنها متحركة زمنياً فهو حافز لاسترجاع الذكريات التي تعيده صاخباً من جديد بأصوات من كانوا لكنه مقفر موحش تساعدُ تداعيات الذاكرة في استجداء صوته ونبضه من جديد.

" أدخل (البيت الكبير) وهو اسم الغرفة الواسعة التي ولد ومات فيها جدي. أتنفس رطوبة المكان العتيقة منادياً: جمال بن جمال ، سرقوا لك جمالك ...يرد جدي بصوته الأجشّ : سيفي تحت رأسي ما يسمع كلامك"[١٣]

وفي لحظات التذكر والاسترجاع يقدم البيت هو الشاهد الذي ما زال على تلك الذكريات فهو بقعة وا[illegible] الأولى والصورة الأولى التي تنطبع في الذاكرة بكل تفاصيله وتفاصيل الأحداث فيه " فيها هو يتحدث عن أمه في أيام طفولته ."كانت تضاحكني وكنت أراها تسحبُ الضحكة قبل أن تخلجل في جنبات البيت قبل أن يعود الرجل يمتشقون الشباري المرنة بالأحجار اللامعة "[١٤].

وما إن يذكر البيت حتى تستيقظ الذكريات وتعود الذاكرة إلى محطات مضت، زاخرة بالأحداث والمواقف فتتبدى الذكريات السعيدة أو الحزينة حتى الذكريات السعيدة تنكست في القلب حسرة ، لأنه وببساطة لم يعد هناك بيت ولم تعد هناك سعادة " كان بيتنا يضحك دائماً ضحكة مع كل لبنة وزهرة، ويضحك أناني ويضحك البيت كله . أحد هؤلاء الأبناء(أحمد)

---

[١٢] انظر ملحق من القصة المنشورة في الأردن ، ص ٦٢

[١٣] المصدر نفسه ، ص ٦٣

[١٤] انظر ملحق من القصة المنشورة في الأردن ، ص ٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبله شطية هناك على حافة الحاكورة ، لما دخل اليهود القدس [1] "فالذاكرة هنا هي الملاذ للتخفيف من حسرة البيت المفتقد إذ يستحضي الشخصية صورة البيت الأليف بوساطة الذاكرة.

٢- البيت الملاذ :

ومما يرتبط بتصوير البيت جمالياً في القصة العربية القصيرة ارتباطه بهواجس الإنسان ومخاوفه. عندما تنقطع لغة التفاهم مع الخارج،وعندما تتعول الأمكنة الأخرى .يلوذ الإنسان ببيته ويلجأ إليه فهو الذي يحتضن همومه و هواجسه فيتحول إلى ما يمكن تسميته (بالعالم المفصل) فيغدو عالماً قائماً بذاته يجد فيه الإنسان مكاناً يأوي إليه الإنسان طلباً للراحة والأمان إلا أنه يحتضن هواجسه ومخاوفه من المجهول وترقبه للمستقبل " ففي النهار توحّد مع الأرض يحني ظهره عند طلوع الفجر ، ولا يستقيم إلا بعد أن تغطس الشمس خلف الجبال البعيدة. وفي الليل هواجس لا ترحم عن المطر الذي يأتي ولا يأتي[2] "

وتتحول الهواجس إلى كوابيس تقض المضجع فيغدو البيت (الغرفة) مكاناً كابوسياً تتحرك الشخصية في جنباته هرباً من هذه الكوابيس فهو عالمها الذي يستوعب مشاعرها ويحاول التخفيف من وطأتها " هذه الليلة داهمت الوجوه كما كل ليلة، وأنت تحدق في الظلمة لا تجرؤ على النوم ، تنهض من فراشك الدافئ ، إلى الشرفة وعمان ترتعش ...ليل كانون يعبث الصقيع في دمك[3] "

وتمارس الشخصية ضمن هذا البعد للبيت حرية الحزن والألم والبكاء الذي لا تستطيعه في غيره من الأمكنة ، إذ يمكن القول بأنسنة البيت الذي يغدو صديقاً حانياً تبوح له بهواجسها

---

[1] انظر أو سي القصة الفلسطينية ص ٢٠٠ .

[2] فلسطينيات من القصة الفلسطينية في الأرض المحتلة ص ١٠٠

[3] المصدر السابق ص ١٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهمومها" كنت اتمنى شيئاً واحداً هو أن أتركهم وأذهب إلى البيت وحدي، فأنزوي في ركن هادئ حيث أطلق لدموعي العنان [1] ففي البيت نبث أحزاننا ونتخلى فيه عن كرباننا ونبكي ونمارس أبسط حقوقنا. وإليه يعود الإنسان محملاً بخيباته التي صنعها العالم من حوله وهو من الأبعاد الجمالية للبيت كما صورته القصة العربية " وعاد ذات أمسية إلى بيته كسيف البال، مبلبل الخاطر، مشتت الفكر، بحر قدميه جراً، من كثرة ما سعى بين المتاجر والشركات والدواوين يبحث عن عمل[2] لم تجد الشخصية غير البيت ملاذاً تفرغ فيه انكساراتها و أحزانها المزوجة بآمالها.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولحظات الندم التي تمر بها الشخصية المذكورة ومثلها وغيرها، هذه اللحظات لا يستوعبها مكان كما يستوعبها البيت وبخاصة لا سيما الغرفة الخاصة التي صورت بدقة وتكثيف في القصة والتي ساتحدث عنها لاحقاً ففي هذه الغرفة استعادت بعض الندم التي راحت الشخصية تكتوي بلهيبها " اقتعد الفراش المهترئ، بقعة ندم تشتعل على أرض الغرفة، تحطمت عيناه، واللهيب يرتفع حتى السقف . سيحترق . عيناه تغرقان في الاحمرار ...هرب وجهه إلى ما بين كفيه ليغيب عن الدنيا[3] وماذا غير البيت و الغرفة،مكاناً يخبئ فيه الإنسان لحظات ندمه التي لا يستطيع البوح بها إلا لهذا البيت الذي يتفاعل مع همومه ويستوعبها.

وبامتلاك هموم الإنسان و هواجسه يمكن القول إن " البيت يصير ملياً بحيوات غنية ، وأساطير وحكايات تشكل المخيلة وتدفع الارادة في صراع غير مرئي[4] وهذا الصراع يحول البيت إلى عالم آخر منفصل عن العالم الخارجي لأنه وباعتباره مكاناً مغلقاً بعمق" إحساس

---

[1] واحسن مثيرة قصة سورة ص ٣٠

[2] المصور ابراهيم الجارحي . ابو القاسم في الأدب القصصي الجزائري ص ص ١٢٣ - ١٢٤

[3] الصدر والاشارة القصة واحسن قصة في ادب القصة العربية وسر تفوق قصصه ص ٤٩

[4] ابراهيم ... باشلار ص ص ١٥

الشخصية بالحصار النفسي أو العجز عن الاتصال الطبيعي بالعالم الخارجي[١] لا سيما عندما تتفكك العلاقة بين الذات والعالم الذي تنتمي إليه فتلجأ إلى البيت وتحوله إلى عالم آخر تنسجم الذات فيه مع ذاتها بحيث يشعر الانسان بالانسجام والطبيعة رفضاً للمنطق الخماعي الذي يفرضه الخارج ." ولكي لا أتعب نفسي بالانقسام إلى شخصيات عديدة تناسب هذا العدد الكبير من الشخصيات المنقسمة قررت ان اعتزل ولا بد أن يساعدني هذا القبو على تحقيق ما اطمح إليه[٢]" لجأت الشخصية للبيت هروباً من التناقض الذي يفرضه الخارج عليها لذلك وتخفيفاً لانسجامها . و تخلصاً من حيادية الناس لجأت إليه " كدت ابكي على نفسي...وعندما تذكرت حيادية الناس [redacted] في العالم ...أفضل شيء أن أعود إلى البيت[٣] .

موقف الشيخ طه الزواوي من الحياة لا أمل
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وعندما يتحول البيت إلى عالم آخر منفصل عن العالم الخارجي لا يكون الهدف الانعزال بقدر ما يسعى الإنسان عبر ذلك إلى إيجاد إجابات عن أسئلته التي لم يجد لها إجابات خارج البيت ، أو التي طرحها العالم الخارجي عليه فيعود إلى البيت محاولاً إيجاد تلك الإجابات " وفي الغرفة الصغيرة الواحدة المنعزلة خلف باب مستعص عن باقي العالم كان الخريف قد نسج معطفين وأسدل" حامية" من الوحدة ، علقت فوقها علامات استفهام كثيرة بحثاً عن شيء مفقود[٤] لقد اتسع البيت حتى تجاوز حجم العالم الخارجي المتشابك العلاقات حد التعقيد مما دفع الشخصية إلى الانزواء فيه علها تجد إجابات عن أسئلتها .

---

[١] احمد حلمي محمد عواد ، [illegible]

[٢] [illegible]

[٣] [illegible]

[٤] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- البيت المؤنسن :

وعرضت القصة العربية حاناً هاماً لهذا المكان (البيت) يتمثل في اللجوء إلى أنسنة البيت لإعطائه أبعاداً أكثر صدقاً وإقناعاً وإمتاعاً . فالبيت الذي تحول إلى عالم مستقل يتسم بسمات البشر هو بيتٌ واعٍ قادر على الفهم والتفاعل والانفعال بهموم الشخصية حتى لتتحرك جدرانه تفاعلاً " رأيت على سجائر وقهوة مُرّة تفوح أمامي ، طللت أجرّع القهوة وأنفث الدخان حتى انفجرت روحي في صراخ أصمّ، اصطدم صراخي بالفراغ وتطاول وتطاول حتى ارتجت الجدران وهدأت الأشياء من حولي لربة[٢]".

ويمتلك هذا البيت قدرة على [illegible] بانسانيه أكثر من جمادات البشر حول البيت في حاله الخارجي " لا تملك مريم مقاومة الناس على إهمالها وقد جرجرت أذيال خيبتها من جديد إلى بيتها الفسيح العتيق، وأغلقت أبوابه الثلاثة، وحيدة يسمعها الجدران أحياناً تحدث الجدران ...غابت مريم طويلاً ولم تخرجها جوعها هذه المرة[٣]"هنا يغدو البيت إنساناً تحاكيه وتثق به بعد أن فقدت ثقتها بصدق الخارج وإنسانيته ، وهذا يؤكد أن " إنسانيه المكان (البيت)تتجلى بوفائه لأبنائه رغم التحولات المتعددة التي طرأت عليه، وغيرته تغييراً جذرياً ، ووفاء المكان (البيت) لأبنائه في ظل هذه الحاله المؤلمة هو سلوك إنساني رائع ومؤشر على الوعي الأخلاقي الذي يتميز به المكان (البيت)[٤]".

وهناك جانب آخر صورته القصة من ناحية جمالية للبيت تتمثل في أنسنة البيت لكن ليس بإضفاء صفات البشر عليه كالقدرة على الاستماع والوعي والتفاهم وإنما بطريقة أخرى تتمثل

---

[٢] [illegible]

[٣] [illegible]

[٤] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في تحوّل الإنسان (الشخصية) إلى مكان(بيت) ليعكس أفكاراً ورؤى عبر ذلك . فالإنسان بشيا ليتحول إلى بيت " تراهت الحشرات والزواحف في الكوخ المهجور المتآكل الجدران،ولا أحد في كل البلاد سوى يوم يبعل على خراب كل ذلك . ولم اكن اعلم انّ هذا الكوخ المهجور هو

نفسي ...!

انا كوخ مهجور

منهدم الجدران

متآكل القدمين

مشوه

تافه

مزدحم بالحشرات والقتلى

انا ابن آدم الخاطئ ...سقط ضلع من اضلاعي فلم يتحول الى امراة ...رأيته يتحول إلى حمار ...ركبته ثم سقطت على رأسي فاختلّ عقلي ...وقاومت جدران نفسي [1] " الكوخ المهجور لم يكن إلا (الشخصية)وجدرانه المتهالكة المشوهه ما هي إلا نفسه الأيلة للسقوط الملأى بالمساوئ والخبائث(الحشرات والقتلى) فحملت هذه الصورة من المعاني الكثير .

وقد تتحول ذات الآخرين إلى بيوت تؤويها وتسكن اليها وتشعر في أرجائها بالصفاء والطمأنينة عندما ترتبط بها ارتباطاً حميميا، فالبيت ليس مجرد البناء الإسمنتي او الطيني أو

[1] الموسوعة الشعرية الكاملة، ديوان سفر الرؤيا، ص ٢٢٣ - ٢٢٤

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحجري بل هو النفس التي نطمئن فيها أكثر من اطمئنانا في البيت باختلاف حاماته المادية .

" كنت الأرض التي تؤوي تعبي و ضجري وسعادتي والنافذة المشرقة التي أطل منها على وجه الحياة الضاحك، كنت الجمال والرقة والعذوبة[٢١] "

"إنهم لا يعلمون أنها قتلتم بي وهي الحياة دائما ، وأني احتمي بها من ضيم هذه الدنيا.وأحيا بصوتها الذي كوّن في مسمعي بيتاً جميلاً.فكيف اطلب بيتاً غير صوتها؟! لأنهم يدركون بأنّ موتي وحده الذي ياخذها مني.ويسلبها من روحي !![٢٢]"

إنّ تحول ذات الأخرين إلى بيت بحميا هو بالضرورة تعميق لارتباطنا بالبيت الحقيقي الذي يحتضن هذه الذات. ويصور البحتري التفاعل والتداخل وانسياب العلاقة بينهما عندما يتحلى البيت عن حياديته فيتفاعل مع محيطه "بدا الجو مكفهرا في داخل الكوخ وخارجه.وران صمت قاتل بعدما أطفأت [illegible] لضياع الأمر من الخدمة تراجع الدخان ليصبغ الوجود بالسخام الأسود...وتحول المكان إلى ما يشبه المذبح[٢٣]" الكوخ هنا جزء من منظومة البيئة حيث الأحوال الجوية والطبيعة خارجه تنسجان مع الأحوال النفسية للمرتبطين به وبذلك يفقد البيت حياديته

وكما تفاعل مع محيطه الخارجي نجده يتفاعل مع الشخصية بحيث يمكن القول " إنّ البيت يصوغ الإنسان، ويركز الوجود داخل حدود تمنح الحماية [٢٤]".

ويتشكل البيت بانفعالات الشخصية تأكيدا لعدم حياديته وارتباطه بها ارتباطاً وثيقاً. فنجده ينبض بالحياة والحركة ارتخاءً وانقباضاً على وفق الانفعالات النفسية للشخصية "فضت

---

[٢١] الطائر من الأبد ... ص ١٤٢

[٢٢] المصدر نفسه ص ١٤٥

[٢٣] البيت في الرواية والقصة في الأردن ص ٨٥

[٢٤] أحمد فرهم عصفور الشرق الروائي [illegible] ص ١٢٦ [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متثاقلة ، تضيق من حولها الغرفة الباردة ويزل السقف رويداً رويداً... وفي شفيها كان قاع باسم ،قاع ولد معها،وفي داخلها فراغ يزداد ، ويفرز في ازديادة صقيعاً[١].

ويعكس البيت طبيعة الشخصية التي تسكنه من ناحية نفسية حتى في إطلاق السمات المختلفة على هذا البيت التي تعكس صورة ما عن المرتبطين به" في الضحى صار وجود تعلب في بيت الدهمون أمراً معروفاً لكل أهل القرية ، وقد صيغ الخبر على الشكل التالي : بيت الثعالب عندهم تعلب[٢]"

وهذا بالضرورة يعكس صفات يتصف بها سكان هذا البيت وهي لا تتجاوز حدود المكر والخبث فقد اتخذ البيت [illegible] صفاتهم .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٤- البيت المعادي :

وعلى الرغم من أن البيت في ذهن الإنسان لا سيما العربي يرتبط بالأمان، والاستقرار والتفاعل والوعي إلا أن هذا البيت قد ينقلب إلى النقيض من ذلك فقد يصبح مكاناً للخوف والتوجس ومصدراً للشقاء، وسجناً للأحلام والطموحات وهذا ما يمكن تسميته بالبيت (المعادي) الذي تتسم العلاقة به بالتنافر والعدوانية والبرود فيغدو سجناً لا مناص من محاولة الهروب منه إلى أي مكان آخر وهذا التنافر بين الذات والبيت على عكس الأصل لا يأتي من فراغ أو من مصادر مادية واضحة مثل: فقر البيت ، أو بساطته فقد يكون البيت فخماً ويدل على ثراء ساكنيه ومع ذلك فإنه يفتقر إلى الحميمية والانسجام ، فالقضية هنا هي قضية انعدام التفاعل الروحي والنفسي بين الإنسان وغيره من ساكني البيت فالبيت كيان لا يمكن أن يعادي أو يحب فنحن عندما نحب البيت أو نكرهه إنما نحن نعبر عن حبنا أو كراهتنا لغيرنا من المرتبطين

---

(١) أحمد الطيبي ، [illegible] ص ٨٣

(٢) [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

به وبذلك يكون البيت " الذي كان ألفاً و حميماً، سبباً في الشعور باغتراب البطل وغربته وضياعه... وتشظيه وابتعاده عن بيته، بيت أسرته الذي كان سبباً في شقائه "[1] فلا يجد مناصاً من مغادرته هروباً أو محاولة للابقاء على شيء مما يربطه بهذا البيت " اتخذت قراراً حاسماً...سأخرج من البيت إلى الأبد ...سأسبح بين حوانيت المدينة وكهوفها وأشجارها سأخطب في الناس وأحدثهم عن القلق والخوف ليس ثمة شيء أكثر مرارة من مغادرة البيت دون رجعة وليس ثمة ما هو أكثر مرارة من المحافظة على هذا البيت سأطرق أبواب الأزقة خارجاً داخلاً إلى أن تنفلق أصابع قدمي و أتوقف ...طلقت الدار إذن ...انطلقت خارج هذه الدار ...ونفست الهواء[2] بجميع ما تحتويه من الهواء في صدري الإنسان بكل ما أوتي لمجموعه والهرب منه تكون الطلقة. وقمة المرارة التي عنى عنها البطل سابقاً.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولقد صورت القصة العربية القصيرة الكثير من جماليات البيت المعادي إذ يمكن القول بأن " جماليات البيت الشرقي التي تناسب وفق تراتبية تضع الذكورة في قمة الهرم . والأنوثة في أسفل القاعدة من جهة أخرى "[3] لها وجود واضح في القصة العربية القصيرة وهذه التراتبية لها دورها في تشكل المشاعر العدائية نحو البيت عند تلك الأسرة التي تعاني من قسوة الأب أو تلك الزوجة التي تعاني من تسلط الزوج وهذا يُعدّ من الأبعاد الهامة التي صورتها القصة القصيرة والتي يؤكد الواقع وجودها وانتشارها في المجتمعات العربية .

" لو لم تسكت سأفني عمرها .

---

[1] زيد الرومي، البناء الفني في رواية [illegible] ص ٢٢٩ [illegible]
[2] [illegible]
[3] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دارت بها في بئر السلم تهدهدها .. تفاهمت معها .. المكان ضيق في الشقة وفي الدنيا...لا تغضبه ...لا تحتمل نفسه .. تعودت الطفلة الصمت..بدأ يطارد صوتها وضحكتها ...إذا دخل البيت تفر إلى طرف الحجرة وتختبئ وسط أي كومة[١] لقد تحول البيت إلى سجن وتشكلت لحوه المشاعر العدوانية في نفس تلك الطفلة لارتباطه بقسوة الأب الذي يمارس سلطته وقوته على أسرته ويضبّ حام غضبه عليها لأنه الأب (الرّجل)" كنت أتمنى لو يتم ذلك ... أن تتزوج (نوال)وان يكفّ أبي عن ضربها،وان تخرج من هذا البيت "[٢]فالأب الذي هو مصدر السعادة والأمان لأسرته تحول . على العكس من ذلك ،إلى سجان تمارس قسوته وبطشه ضد أسرته وأبنائه الذين يرون أن الوسيلة الوحيدة للخلاص من سلطة هي الخروج من البيت (السّجن).

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومما يحول البيت إلى سجن تطبيقا لهذا التراتب الهرمي في البيت الشرقي لا سيما (العربي)افتقار الزوج إلى مهارات الزوج المثالي الذي يكون سكنا وطمأنينة لزوجته التي تشعر بأن البيت الذي يجمعهما تحول إلى سجن لا يصادر حريتها حسب بل يصادر إنسانيتها فتفقد شيئاً من أشياء البيت لا ركناً هاماً من أركانه، فتشعر بمشاعر الاستعباد إذ لا تتجاوز دورها الطهو والتنظيف ...الخ لذلك تتشكل في نفسها مشاعر عدائية نحو هذا البيت " حين تعود إلى البيت ...تأمرني أن اطهو لك ملوخية خضراء وليس أواها ...أتيك بالخفف منها ...له نفس الكهلة في الأفواه والرائحة في الأنوف ...أنفك وفمك ...تقذف بالصحن بعداً ...في الليل آتي إلى البيت وحدي ...أمارس هم الليلي ،ولا أحدك..."[٣] وتؤكد هذه المشاعر زوجة أخرى/فقد البيت في نفسها حميميته/بسبب الروح " وزوج لا أدري أأتية زوجاً،أم اسمه دوداً يزحف في ظلام قبري ليأكل من جسدي في فمه،وبيت باهت مترب الجوانب،كلّ ما فيه يوحي

---

[١] القصة ديوان العرب ،ج٢،القصة القديمة ،ص٢٧٦

[٢] القصة ديوان العرب ،ج٢،القصة القديمة ،ص٢٧٧

[٣] المصدر نفسه ،ص٢٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لحياة القرون السابقة التي كان طابعها البؤس والذاخر والشقاء[١]" فأين للبيت من مشاعر غير مشاعر العداء عند هذه الزوجة التي افتقدت حميمه وجوده الطبيعي في حياتها؟!

وتصور القصة العربية جانباً آخر من البيت الكريه الذي يتمثل في احتضان العلاقة الزوجية و الأسرية بصورتها الجميلة . فقد تساهم المرأة في ذلك التفكك لهذه العلاقة المقدسة إلا أن الواقع يؤكد أن هذا قليل مقارنة بمساهمة الرجل " ويمحو هكذا في ومضة آثار سنين وأمراضاً ومشاكل وحياة تصلّبت وجفّت واستحالت إلى درب ضيق محدود... في ناحية منه زوجة جفّ منها ماء الحياة ولم تعد تفعل شيئا إلا أن تتأفف وتصايح . وفي الناحية الأخرى عمل وروتين لا جدة فيه ولا أمل، وصراع ،وما جميع ما اجتمعوا قديماً لتقويض قلاع حواجز هو كالبندول رائح غادٍ بينهما ....الكلية تدفعه إلى البيت والبيت يدفعه إلى الكلية[٢]"

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومثل هذا البيت تم البناء كذلك ، فهو يتم بسمات سلبية تنفر الشخصية منه ،وقسوته هي " سمة ممقوته آنية أو دائمة تعتري المكان نتيجة تصرفه تصرفاً غير إنساني و غير أخلاقي يتنافى مع مبادئ الإنسانية السامية ،وسلوكه الأخلاقي .هذا التصرف الخالي من السمات الإنسانية والمجرد من القيم الأخلاقية ،يقلل من انسانية المكان (البيت) وأخلاقيته ويحط من شأنه ويصغره في أعين بشره وقلوبهم . ويجعلهم ينظرون إليه نظرة قاسية لأنه يولد في نفوسهم مشاعر السأم والكره ،ويملأ حياتهم بالعذاب والقهر والأسى[٣]" مما يدفعهم إلى محاولة التحرر من سطوته وعذابه والخروج منه إلى اللاعودة . ومن ذلك عندما يفقد البيت أحد أهم أركان

---

[١] من القصة في الأدب السعودي (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) ص ٢٠٠

[٢] القصة بين الفن والواقع ص ٢٤٠

[٣] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأخ الأكبر " يوم قرر والدي زيارة عمتي العائدة من بلاد الحجاز.ذكرني بأني الكبير بين أخوتي ففهمت البقية قبل أن يكمل

- عليّ أن أهتمّ بالدار أثناء غيابه

كتمت غيظي لحرماني من رؤية عمتي والاستماع إلى أحاديثها عن بلاد النبي "[1]فقد تحول البيت إلى سجن مصغر عندما صودرت بسببه حريته وطفولته . فبسبب كونه أكبر إخوته عليه حراسة الدار ليحرم من رؤيه عمته والاستماع إلى أحاديثها .

وصودرت أحلام (سعيدة)وسجنت في البيت لمنعها من الارتباط بمن أراده قلبها وفورست ضدها العديد من صور الإهانة والعذاب وفقدت كل حقوقها الإنسانية [illegible] بالبيت " اسمع ما أقوله لك !! سعيدة في سجن صغير [illegible] سال الدم من أنفها بعد أن تلقت من الصفعات ما لا تستطيع أي إنسان تحمله [illegible] ..لتنظرك في سجنها الكئيب. هل لك أن تفعل شيئا من اجلها ؟!"[2] لقد تحول البيت إلى سجن صودرت فيه حرية الشخصية في الاختيار الذي هو من حقوق الإنسان ودليل قدرته العقلية .

ويتحول البيت إلى سجن يحس الإنسان فيه نفسه بإرادته هرباً من الواقع والناس عندما يرتبط هذا البيت بالعجز والمرض "– أنا أقول : عليك أن تخرج غداً .لا تحبس نفسك في البيت أكثر اذهب لزيارة أصحابك كما اعتدت هذا يقلل من ...من ...

قاطعها صوته عنيفاً : يقلل من ماذا ؟

رمقها من زاوية اخو[3]ه

---

[1] [illegible] من الجنة المفقودة في الإسلام ص ١٣ ، ١٤

[2] الموسوعة الفقهية الكويتية ص ٢٤٤

[3] [illegible] من الإنسان ص ١٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد حبس (ناصر)نفسه في البيت لأنه فقد القدرة على السير نتيجة لحادث سير وحـــرم مـــن ممارسة هواياته كالسباحة ...الخ

والبيت سجن صورته القصة لتلك التي فقدت حظها من الزواج وهي التي يسميها المجتمـــع جزافاً وظلماً (العانس) هذه الكلمة التي تجاوزت حدود معناها اللغوي لتتخذ أبعاداً ســـوداوية كأنها مرض، فكانت اللغة أكثر احتراماً وعطفاً من المجتمع...وهذه العانس تشكلت في نفســـها مشاعر العداء نحو البيت الذي كان سبباً فيما وصلت إليه. " كان يخترع لكل (خاطب) عيـــباً يستندُ عليه في الرفض حتى استطاع أن يحكم عليها بالعيش عانساً في بيتها "[1].

ولما تتابعت سنوات العمر وفاتها القطار وكما حظوظ أخرى تجد غير هذا البيت مكاناً تقبع فيه سجينة – على الرغم منها – أو بإرادتها لا فرق المهم أن تجد المأوى " ولما طال انتظارهـــا عنـــاً السّع القصر الذي تـــ على وسعه الغرفة فانتقلت بعض أثاثها إلى الديوان في أسفل طبقة منه وعرضت الباقي للإيجار وعاشت تتجرع غُصّة وحدها[2]" إن السجن الحقيقي أخفُ وطـــأة من تحول البيت إلى سجن لافتقاده أهله وتحوله إلى مقبرة للأحلام والأيام .

٥- البيت البديل (المنفى):

أما البيت المفروض (الآخر)بيت الغربة، على سبيل المثال فيكون عندما يضطر الإنسان إلى هجر بيته (الأمومي) ليعيش في بيت آخر يمكن تسميته بالبيت (الوظيفي) لأنه لا يملك سلطة وقدرة البيت (الأمومي) على التفاعل والاتحاد والحميمية " فالبيت بالنسبة للإنســـان يعـــني الراحة والهدوء في حالة اختياره . وبعيده يصبح كائناً مغتنماً[3]"وهذا النشطي يشعر به ذلـــك

---

(1) من القصة في الأدب السعودي الحديث، ص ١٧٦

(2) البحار، عبد السلام ، ص ٩

(3) [illegible] ص ٢٠

(المغترب) الذي دفعته ظروف الحياة للعمل في مكان آخر يفرض عليه العيش في بيت لا يرتبط به بروابط الحميمية والأمان ، والذكريات الجميلة ، والرابطة الوحيدة التي تربطه به أنه مجرد مأوى ، ويغلب على هذا المأوى البساطة والحقارة وأحياناً يكون مكان العمل نفسه " تمنى أن تكون تجاراً في قرية صغيرة بعيدة ، بينك هو وزوجتك وحظ الغابة عكازتك ومسندك "[1].

ويتسم هذا البيت بأنه مليء بالوحدة والوحشة " إنه يصعد إلى غرفته الموحشة على السطح ،إلى الجدران الصماء التي تحيط بأيامه، تخدق بوحدته وتحدد فراغ حياته...لا زوجة ولا أم وعليه أن يعد عشاءه بنفسه كل ليلة، وقد ضجر بذلك كله ، نعم . لقد آن الأوان أن يترك ذلك كله،وسوف يتركه من الغد. يتركه نعم،لكي يجده مرة أخرى ويستأنف نفس الحياة في غرفة أخرى على السطح ، موحشة في بلد آخر عليه أن يعاود النقل من باكو- ويبحث من الغد عن غرفة أخرى في دمنهور[2]" لقد افتقدت الشخصية البيت بالمعنى الحقيقي (بيت الأسرة)لأن هذا البيت البديل لا يمكن أن يكون مرادفاً للبيت الأمومي.

ومن أمثلة البيت (الآخر) الذي يشعر فيه الإنسان بالغربة والوحشة،البيت الذي ينقل إليه كبار السن مكرهين سواء أكان بيتاً تؤمنه جهات حكومية أو تطوعية أم بيت أحد الأقارب فينتزع هذا (العجوز)قسراً من بيته الذي بناه وربى أبناءه فيه وعاش أجمل الذكريات وفجأة يجد نفسه في بيت آخر لا تمت له بصلة فيشعر فيه بالغربة ويرى فيه سجناً " لقد كان يود أن يظل على صلة بالعالم الخارجي الذي غادره منذ قليل إذ كان يحس ببعض الحرج في دار حفيده[3]"

---

[1] أحمد رشدي صالح الإطار ص ١٠٠

[2] يوسف إدريس جمهورية فرحات الجزء الثاني ص ٦٣٠

[3] المصدر نفسه ص ٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد صودر عالمه الخارجي القسيح (البيت الأموي) وجيء به إلى دار حفيده التي لا تعني إلا سجناً وضع فيه لجريمة اقترفها مرغماً، انه (عجوز- عاجز)" هذا الموت يكبر في ظلام الغرفة تتشكل في عظام رجل بلغ التسعين مثل جبل صخري أذابته حرارة الشمس التي تسافر مع الزمن فطمست فيه معالم الرجل "[1] لأنه لم يعد مالك البيت ولا سيده.

وقد صورت القصة ظاهرة البيوت الوظيفية التي تفرض على أصحابها لا سيما من يسمون بذوي الدخل المحدود حيث تفرض عليهم بيوت لا تحوي لها بصلات ، لأن البيت الذي يختاره الإنسان وينميه هو ما يرتبط به ارتباطاً عاطفياً حميمياً بينما هذه البيوت مفروضة عليهم ولكثير في المدن حيث لا يمكن [illegible] مفروضة على بعض سكانها فتتحول إلى سجون ." [illegible] وصل معها الغروب حزيناً يقطر دماً"[2] إن تصوير البيوت الوظيفية بالمستعمرة يدل بصورة عميقة على افتقادها للقرب من الشخصيات لأنها مفروضة عليهم ، أو مضطرون لها

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

عندما يكون البيت المفروض على أرض الوطن وداخل حدوده يكون الأمر مقبولاً إلى حد ما لكنه عندما يكون مفروضا ، وخارج الوطن أيضاً .فهي الكارثة واللحظة التي تولد مشاعر الأزدراء والاحتقار لهذا البيت وهذا ما صورته القصة القصيرة عند سردها صفات بيت غريب على جسم المجتمع العربي ، ألا وهو بيت المخيم الذي فرض على الإنسان الفلسطيني ظلماً وقسراً فتحول إلى غربة داخل غربة وهذا ما سمي بالبيت البديل الذي لم يكن إلا خيمة فوق تراب البيت أو فوق تراب آخر فتحول إلى وصمة في حياة ساكنيه الذين يحاولون التعويض عن رداءة البيت بتذكار الماضي : " لا تتحدث بسوء عن الذين تركوا منازلهم وقت حزيران- أنت

[1] [illegible]

[2] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا نعرف كيف كانوا يتوقعون كل شيء ...انت لم تخسر شيئاً، ولم تركض مع النساء والأطفال في سواد الليل بين الحقول... كما تجوع إلى بندقيه [1]".

ويوصف هذا المكان بالعشوائية والقذارة ويمتلئ بالرفض والسخط " وكنت رائحة المخيم أنفه... دلف إلى بيته...طرح السلام،فعلت أصوات كثيرة (نسائية وولادية) ...تنمي له العافية ودوام الصحة واختلطت الأصوات الداعية إلى تسخين الماء وتسخين الطبخ . وتسخين الخبز واحضار الطشت والمنشفة اقعد كرسياً خشبياً تالفاً...أسند ظهره للحائط أغمض عينيه ليستريح وثمة أصوات ترفض وأخرى تصرخ وثالثة تلعن بشدة هالعيشه [2]". فبيت المخيم هنا امتلأ برفض الواقع الذي فرضه طريح المشهد الفلسطيني. فهو يفتقر إلى الراحة والسكينة، لأنه لم يوفرهما وإنما كان مأوى مفروضاً امتلأت حياته بالسخط والاستكار والألم وأمل العودة .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وهذا البيت الذي كان خيمة ليس إلا سجناً لساكنيه لا يوفر لهم أبسط أوليات الكرامة الإنسانية ، ويطرح هذا المكان ألف سؤال وسؤال" هل هذا هو الحل في هذا الطابور وتلك الكومة من الخيام ؟ وهل تصبح الخيمة هي البديل الدائم للديار والدار؟وهل يمكن أن يطول الانتظار أكثر من سبعة أعوام؟..وهل تستطيع هذه الخيام أن تقاوم هبوب الرياح؟ وهل ؟...وهل تستطيع هذه الخيام أن تحفظ علينا إنسانيتنا ؟ وهل تأتينا ريح عاتية صرصر تقتلع خيامنا كما اقتلعت خيام مشركي مكة . هل أصبحنا مشركي العصر الحاضر حتى يحدث لنا مثل حدث ؟[3]".

---

[1] جبرا ابراهيم جبرا، الفلوجة، ص ٤١

[2] نفسه، ص ٤٣

[3] جبرا ابراهيم جبرا، السفينة، ص ٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد طال الانتظار واستطاعت هذه الحيمة أن تقاوم وأن تتحول إلى بقعة للفداء ومحاولة العودة إلى الأرض " من خلال هذا الجرح أطلعنا الفداء في نفوسنا- فقد عرفنا بأننا قذفنا خارج بلادنا،وعرفت أنا أنه لا بلد لي لأبني فوق ترابه بيتاً،ومن هنا نشأت ونمت في نفوسنا فكرة الفداء ،والعمل من أجل الأرض هناك[1]"

٦- البيت باعتباره علاقة اجتماعية :

وصورت القصة العربية القصيرة جمالية عميقة الأبعاد صادقة الطرح من جماليات البيت تتمثل فيما يعكسه من أفكار وجوانب اجتماعية مثل مطالبة المرأة بالتحرر والمساواة ، وهذه القضية ، على علاتها، نجدها تطرح هنا وهناك في القصة العربية المعاصرة كغيرها من فنون التعبير استوعبت هذه القضية وصورت عبرها والبيت بطبيعة الحال أول محك ومكان لهذه الفكرة " تركته يغلي على موقد العادات والتقاليد والأصول، وما تحت ومالا يجب ، معلنة العصيان على قيم المجتمع التي تلزمني بمهنة معينة ولا تلزم الرجل بها: الاعتناء بالبيت والأطفال"[2]لقد كان البيت بالنسبة للشخصية رمزاً لمصادرة حريتها وحصر وظيفتها في (البيت والأطفال)

بالإضافة إلى أنها صورت وطرقت قضية التفاوت الطبقي بأسلوب سهل يسير عميق الدلالات والمعاني " ماذا يستطيع أن يعمل إنسان بمفرده ؟ يجب أن نحارب جميعاً هؤلاء الكسالى الذين يتمددون على حريرهم الكادح يدفن في مزبلة مثل زوج أختك ما اسمه ؟

-سالم

- أعرف سالماً آخر...هلموا أنظر أي فرق عظيم ما بين سالم تحت المزبلة وسالم فوق

---

[1] الجوائر، جميلة البلسطي، ص ٢٦٥

[2] البطل في القصة العربية المعاصرة، ص ٢٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتفاوت الطبقي يعني بالضرورة وجود الفقر والغنى ولعل الفقر، الذي هو ظاهرة اجتماعية منفشية في المجتمعات العربية ، قد حظي بنصيب وافر من عناية القصة التي صورت هذه الظاهرة أدق تصوير وأدلّه . فهو يقض مضجع كثير من الناس ويقتل أحلامهم ويحرمهم من ابسط حقوقهم الإنسانية ،وتمتص البيت نتائج وتبعات هذا الفقر فينحول إلى بقعة تمور بالحزن والكآبة ، ولا يخلو الأمر من رفض للواقع ومحاولة للتخلص منه" كان أبو جائع يجلس صامتاً يقلب عينيه بين امرأته و الأولاد الصّاحين بالمرح وهم يتناولون القطع الساخنة ويمضغونها باشتهاء ويمصمصون العظام اللينة وقد أشرقت فوق وجوههم الباهتة شمس صغيرة لامعة. ثم يدفعهما باتجاه الدخان الذي يخرج فتاة البيت إلى دوائر متصلة سرعان ما يحملها الهواء بعيدا لتتلاشى [١٣٢]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إن تصوير هذا البيت ووصف هيئة ساكنيه في التهام اللحم القليل دليل على أنهم لم يذوقوه منذ فترة طويلة وهذا دليل الفقر والحاجة ويصور البيت تغير المفاهيم الاجتماعية مثل السلطة إلى موقع السّلطة الأبوية التي كانت هي الأقوى والأصلب ، لكنّ دورها تراجع فحلت محلها ، أو إلى جانبها رؤى الأبناء (الأجيال الصاعدة) التي لها وجهة نظر تريد إيصالها .

"– كيف يا ولد تشتغل في الحديد...ما فيه أمان يا ولد الله يهديك ...

– يابا أنا دابر صاحبي ...باركا...الناس كلهم شغالين الحصل لهم شو ؟ وكان ما كان . فهذا زمن تتناقص فيه السلطات الأبوية المطلقة . ودّعه أبوه بصوت باهت كأنه خارج من بئر

---

[١٣١] حرير مشروعة قصة سورية ص ١٢

[١٣٢] أصداء من الإذاعات ص ١٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

...وودعته أمه بصحن زاد وصحن دموع . ورجعا لمنزل قلّت فتراته[1] "لقد حُسِمَ الحوار لصالح الابن الذي تراجع أمامه رأي والده .

ورصدت القصة القصيرة حالات التغير الاجتماعي في بعض المجتمعات العربية أو ما يمكن تسميته بعملية (التبرجز) السريعة نتيجة لبعض التغيرات الاقتصادية ، فكانت متغيرة نوعاً ما وجوفاء ، إنها كانت عملية شكلية لا أكثر ، والبيت يصور هذه الحالة الاجتماعية لأنه ميدانها الأول

" أقلقها الفراغ ، هي الجميلة حدّ الدهشة ...شغلها البيت قليلاً وكانت مستثارة في لعبة التأنيث العجائبية،غيرت الوانه للمرات...وليس لأنها اجتماعية كانت تملأ ليالي البيت سهرات وموسيقى ، بل لأنها أيضا كانت تحب ان تتبع ... وكلّ عجائبيات بيتها[2] " فهذه المرأة تمثل فئة عريضة من فئات المجتمع العربي التي استهوتها لعبة (التبرجز) بأشكالها المادية الجوفاء فكان البيت ميداناً رئيساً من ميادينها لأن الاعتقاد السائد لدى الكثيرين أن تغيير الأثاث وزخرفة البيوت من مظاهر البرجوازية والتحضر

وهذه الظاهرة دفعت الكثيرين من كتاب القصة لنقدها ومعارضتها لأنها لا تنسجم مع تاريخنا وتراثنا فالتطور لا يكون بالتقليد والتغير الشكلي بل يكون بالإبداع القائم على التسهل من حضارتنا والاعتزاز بشخصيتنا المميزة وليست القائمة على الذوبان في الآخر .

" الوعي أن تدرك أن لخولة أطلالاً ، وهند القصيد ، أين المرنجى وحمويات أبي نواس؟...وأين دار عبلة بالجواء؟... تحدها غابات من الرمل والنخل وأبراج الحديد، الصيف وأهل الساحل

---

[1] الصادرات في الأدب الأردني ص ٢٦٠

[2] أنت الشمراء وظلم وقراءة في ذاكرة القصة الأردنية ص ٨٦

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحاضرون بالأمس ...كانوا..واليوم يعلون في طائرات تجوب السماء والفنادق ...بلدان الساعات المرصعة . والبيت الذي تخفق الأرياح فيه لم يعد أحبّ إليا من قصر منيف، لا لبس العباءة تجدي ولا لبس الشفوف ...أين نرتحل ؟[1]

وهذا تعبير عن عملية التحول الاجتماعي في بعض المجتمعات العربية المنبهرة بالغرب دون وعي ،فالبيت استوعب هذه القضية وحمل لنا بعداً دلالياً رمزياً عميقاً فهذا البيت التراثي ،بيت (ميسون الكلبية) هو التعبير عن الهوية المستقلة المشرقة للإنسان العربي . حتى الأجيال الصاعدة التي نعوّل عليها ونبني آمالاً في تغيير هذا الواقع والعودة به إلى مصادره الثرة الصافية لنفض الغبار عن صورة العربي بكل هيئتها وثقافتها ...تجدهم سادرين في عملية التقليد هذه .

" وصعدت إلى الطابق الأعلى ،فوجدت الشباب الصاعد..وجدت الناشئة...وجدت الناشئة ...الحصرم الأخضر..كالعنقود الطري أو الذبال المرتجي المعجزة المتمايل. الصعود يا نجومنا الصاعدة...يا آمالاً تنفث دخان السجائر الأمريكية ...حلقات إلى سقف الغرفة. يا سحب دخان تعلو إلى فوق ... تحلق تريد الانطلاق والحرية ...ترتفع ...ترتفع لكن تتسرب من شقوق النوافذ حتى تتلقفها الرياح العتية ...النافخة من شرق أو النافخة من غرب [2] "

إن هذا المثال يحمل تحذيراً لأبناء المجتمع العربي المسافرين في عملية التغريب وتقليد الآخر .

وفي بعض المجتمعات العربية عكست القصة احتواء البيت لظواهر اجتماعية أخرى منها حلول الخادمات والمربيات محل الأم ، وهذا مما يمكن اعتباره من نتائج عملية التبرجز السالفة الذكر " ولأن الطفلة مقلة على إشراقات مدية أخذت تحمل حقيبتها المهترئة وتغادر المنزل في

---

[1] العارضة من الإشارات ،ص ١٧٣

[2] العارضة قصة للكاتب توفيق ،ص ٤٣

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقل من ومضة عين تاركة خلفها دعاءات أمها وصفو أبيها وتذمر أخيها وصمت الخادمة الذي يرتسم على الأبواب وكذلك على الأشياء الواجمة [٣]"

وجود هؤلاء الخادمات أو المربيات أدى إلى تراجع في مكانة الأم لا سيما العاملة التي تغيب عن أطفالها طويلاً وقلت بحلول المربية محلها . " إنه يتذكر أن أمه بقيت وحيدة واختفت وراء مشرفة اجتماعية عجوز تكن مشاعر الصداقة للأسرة مما أدى بها حسب قولها إلى السكنى لديهم لتعليمهم السلوك الحسن وتربيتهم ! إنّ اقتحامها للدار ...أفضى إلى إزالة كل تأثير للأم [١]لأن البيت بلا أم لا يعود بيتاً بكل معانيه الأمومية الحميمة .

والقصة العربية رصدت بكل شفافية وصدق كل زاوية من زوايا البيت العربي مادياً ومعنوياً وصورت جمالياته ، ومما عكسته الإبداعات الخوارق تقوقع وانطفاء ما من بعض الكائنات أو غيرها التي تشكل ركناً أساسيا من أركان العقلية العربية التي يشترك فيها الأميون والمتعلمون ولكن ليس على حد سواء .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" – والحية...

–لا ...حية البيت بركة .

– كيف بركة ؟ ...من أسوء عضت لطفي ابن الحوراني

– إذا آذيتها تعضك ، إذا تركتها بحالها الخير يعم،إذا قتلتها يموت واحد من أهل البيت [٢]"فالبيت أول مكان تتشكل فيه بعض معتقداتنا الاجتماعية

---

[١] فدوى طوقان ، ص ص ١٧٤ ، ١٧٥

[٢] نفس المرجع ، ص ص ٢٨ ، ٢٩

[٣] الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧-البيت رمز الوطن :

ومن دلالات البيت في القصة القصيرة تعبيره عن معنى الوطن ،وما يحمله في طياته من الرؤى والأفكار السياسية . فتارة هو الوطن وتارة أخرى هو الدولة وثالثة هو المنفى القسري...الى غير ذلك من هذه الأبعاد السياسية .

" قالت : كلا ...أريد حكاية تعكس ما يحدث داخل البيت ...تجسم وضعنا الزائف ...وتحمل المتفرج على التفكير ...

قال : سيد البيت يقول : لا أريدكم أن تفكروا..التفكير يسبب الضيق ويفسد الشهية .

قالت : لا ينبغي أن يحكم سيد البيت وحده على الجميع لحظة واحدة ، فمن حقنا أن نحكموا معه...

قال : ها قد بدأت تفكرين ...هنا تبدأ المتاعب .

أقول لكم : لا أرفض نظام البيت لما يفتقر إليه...وإنما أرفض نظام البيت لما هو عليه

أقول لكم ...." [١١٠]

البيت حمل معنى الوطن الذي يحلم في طياته معاني رفض الواقع العربي في ظل بعض الأنظمة غير الديمقراطية فهو مساحة للتعبير عن الرغبة في الديمقراطية تطبيقاً لاشعارات وهو دعوة لساكني هذا البيت وأفراد الشعب للمبادرة والتعبير وممارسة الحرية المنضبطة التي توصل إلى تحقيق جميع الطموحات ، والحياة الكريمة تخلصاً من كل مظاهر الخوف ، والتخاذل ، والقهر والجوع والتفاوت الطبقي .

" ولم تصدق " مسحوقة" أن " أنا جائع " يأكل لحماً،إذ دخل عليها البيت في المساء فحملت إليه خضعة كعوة جلبة ،فقالت له:

---

[١١٠] الأعمال المسرحية الكاملة ، ص ١٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– أحلّم ... أم حقيقة ؟!

وسألها :

أين جائع ، وأين مقهورة وأين مقموع ؟

ناموا جميعهم

وأضافت :

يا حسرتي مثل كل ليلة [١]

فالبيت الذي أسماء ساكنيه (مسحوقة وأبو جائع وجائع ومقهورة ومقموع مادا يمكن ان يكون؟ هنا البيت طرح في فضاء خيالنا وأفق تفكيرنا مات الأسئلة التي تجب الإجابة عنها .

وفي هذا السياق تطرح قضية ضياع الأحلام والأفكار التي تعكسها جمالية البيت بمفهوم الوطن وهي التي تتعلق بمصير شؤون البيت العربي ساسائل مواجهة كل التحديات ومحاولات طمس الهوية العربية والدعوة إلى توحيد الرؤى ، ووجهات النظر ، وتنسيق الجهود ، للوصول إلى تدمير كامل لمقولة (اتفق العرب على الا يتفقوا !) .

" يأتي فيسمع له دوي يملأ أرجاء الليل والنفوس...ويفتلع أعمدة النور فيغرق المدينة في الظلام فنجتمع في غرف تضاء بسُرُج تكاد تضيء ، ترسل أنوارها المرتجفة فترتعش على الجدران ، وتلقي ظلالاً غريبة على الوجوه . فنتذكر أهوال الحربين العالميين. ونتقسم في الحجرة الواحدة إلى شقين : شق ساحر يرون التعب على النهر ميسوراً ، يفضل جسر عظيم أو سدود بعيدة عن المدينة لوزع مياه النهر على الأراضي المجدبة العطشى وهم الفيان. أما الشق الثاني

[١] ديوان ... ص ١٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهم الكهول الذين اكتسبوا تجربة فهم يرون أنّ النهر قوة لا يحدها جسر ولا سدّ[1] والحجرة لم تكن إلا الوطن الذي اقتسم أبناؤه إلى قسمين اختلفا في طريقة تسيير أموره .

والوطن المحتل عبّر عنه البيت أصدق تعبير عبر احتضار قصة احتلاله في قصة بيت أم الخير والحيّة " لم يكن أحد في القرية كلها يعرف أن كارثة بيت أم الخير ستحل ذات يوم،رغم أنهم كانوا يعرفون أنّ تلك الحية التي قتلت زوج أم الخير حين كانت بعد صبيّة ،ما تزال تعيش في قبطرني البيت ...وقضت على جميع أزواج الحمام في البرج وهكذا بقيت تنتقل من مكان إلى آخر في جوانب الدار الكبيرة إلى أن استقرت بين أخشاب السقف ...وكانت أم الخير تتسلى بسماعها إلى أنها بدأت تسمع تقيقها جميعاً الأخير فتشجع وكانت تركض لها أنّ ذلك القيق الذي تسمعه ما هو إلا حشرجة احتضارها[2]

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ودار أم الخير (الدار الكبيرة) ما هي إلا فلسطين والحية ما هم إلا اليهود الذين ينتقلون من جزء إلى آخر من أجزاء الوطن .

٨- البيت وتقنية الوصف :

والوصف هو عبارة عن عنصر تجميلي في القصص وله معانٍ جمالية . فاعتماد تقنية الوصف للبيت من الداخل والخارج أو حتى طريقة ترتيب الأشياء فيه بالإضافة إلى وصف الأحداث اليومية التي تقع فيه...الخ وسيلة للكشف عن جماليات أخرى للبيت لم يفت القصة رصدها وتصويرها ، ذلك أن هذا الوصف قد يكشف لنا مظاهر وجماليات عدة لا سيما في المستوى الاقتصادي والاجتماعي للمرتبطين بالبيت (فقراء أو أغنياء)لأنّ البيوت العربية تبدو " رمزاً

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للمكانة الاجتماعية وصورة من صور التمايز الاجتماعي ، فالأغنياء بيوتهم تختلف عن بيـــوت الفقراء،والوجهاء بيوتهم توافق وجاهتهم.والفقراء بيوتهم تنسجم مع فقرهم [١]"

" كان سالم الشايب فلاحا بسيطا،مثل كل الفلاحين الفقراء في البلدة ولم يكن يملـــك مـــن متاع الدنيا سوى سقيفة رومية متداعية داخل البلدة، وقطعة أرض صغيرة خارجها [٢]"

فالبيت عبارة عن سقيفة رومية متداعية لم يبنها بنفسه وانما هي من البيوت الأثرية القديمة ممـا يدل على فقره وقلة حيلته في بناء بيت بالإضافة إلى أن وصفها بالمتداعية (المتهالكة)يؤكد هـذه البساطة وهذا الفقر " وكانت الدار المستطيلة منحفضة الجناح قام حولها سور مـــن أشـواك اللوز المر[٣]

وصف البيت بالاستطالة اي الجمود والعادية في البناء إن الهدف منه الإيحاء على عكـــس بيوت الأغنياء التي يتفنن في بنائها وزخرفتها لتناسب مقامهم "بيت وبيت آخر ...بناء أبيـــض ...ثم صعدوا درجا فخما : عشرين درجة ودخلوا البيت [٤]"

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

على النقيض من وصف البيت السابق فان وصف هذا البيت من الخارج أوحى بالمســـتوى الاجتماعي والمادي المرتفع لساكنيه وصعود الدرج هنا شيئا قيميا يعني تبدلا في حالهم وهذا من جماليات الدرج الذي يعني تبدلا نحو الأفضل . إلا أن الدرج قد يحمل مفارقة لم تغفلها القصـــة فليس دائما صعوده يعني التحسن والتبدل نحو الأفضل وارتفاع الشأن فقد يصعده إنسان لكـــه

---

(١) صبحة عمر النابلسي ، مصدر السابق ، ص ١٤٢

(٢) غالب هلسا ، الضحك والبكاء ، ص ١٠

(٣) غالب هلسا ، الضحك والبكاء ، ص ١٤٢

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكون سبباً في مزيد من المشقة لأنه بساطة مساهية فقر" يومها عاد عبد الفتاح إلى بيته يلهث لا تعباً،وإنما طويا.صحيح أن بيته يقع في الجادة السادسة بمنطقة " المهاجرين " على سفح جبل " قاسيون"وأنه اضطر إلى الصعود مشياً على قدميه "[1].

إنه يصعد لكن إلى الأسفل اجتماعيا ليصل إلى بيته الذي تدل المنطقة التي يقع فيها على فقره وبساطة عيشه فيها الحركة (أسفل - أعلى) لها دلالتها التي تختلف عن الحركة السابقة (اسفل -أعلى) العمى.

و لوصف الأثاث في البيت جملة توحي بمستوى المرتبطين به إذ " يشكل أثاث البيت في نطاق محدودية المكان مؤشرا على حراك الشخوص وتحركها داخله أو إشارة إليها في مواقع أخرى "[2]. إذ يجمع وصف الأثاث بين وجوده الوظيفي وبين قيمته كدلالات على مستوى الشخصية الاجتماعي وحتى الثقافي [illegible] على الأرض في صدر الغرفة يلم أطرافه تحت لحاف أطلس سماوي اللون مهترئ ونظيف ... وعلى الأرض امتد حصير أخذ لونه من الزمن والتراب ، وعلى الجدار فوق جرة الماء الكبرى علقت ثمة من الحزمل لعبت بها ريح المساء ،وبساط دانتري مقلم كان يغطي مجموعة من لوازم البيت ...هذا كل ما هنالك "[3].

وهذا كل ما هنالك من أثاث في بيت كامل تعني البيت ولنتظر إلى هذه المفارقة التي ترصدها القصة بدقة عند وصفها لمطبخ ما، إذ ينصح من وصفها أنه ينتمي إلى بيت أصحابه من الأغنياء :" مرة خشخشتني أختي - جانوا- راجين للسينما وهي وحدها بالبيت خشخشتني بالمطبخ ... اشلون مطبخ عدهم عالك مصنوع بالذين ...تنهد كاظم وفي أفق خياله لاح المطبخ اللامع

---

[1] يوسف الصائغ، المصدر السابق، ص 12

[2] فاضل ثامر، المصدر السابق، ص 132

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والصحون البراقة والقدور الفضية اللون ، كانت ذكريات مقدسةً بالنسبة له...ذكريات زاهية اللون في حياله كاحلم ...اقتات منها في اوقات كثيرة [1]" والمفارقة تكمن في أن الوصف السابق كان للمطبخ فكيف الحال بالبيت بالإضافة إلى تحول هذا المطبخ إلى ذكرى مقدسة في ذاكرة هذا الفقير وأمل يقتات منه كلما ضاقت به الحياة ، وفي هذا قمة المفارقة .

بالإضافة إلى أن " ترتيب الأشياء في البيت يعد نوعاً من وصف الأشخاص ودليلاً على نفسياتهم [2]" بغض النظر عن مستواهم الاجتماعي والمادي " قضى يومه جالساً تحت هالة الضوء ، محنى الظهر على الطاولة أوراقه مبعثرة وكتاب بُني تحت يده ، وكان الصمت أثقل من حبل ...أرادت تبديد عبر الكتيبة الذي قضى وقته في القراءة.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تريد قهوة ؟!

شربتها ..."[3]

عشوائية الأشياء وتبعثرها في الغرفة يوحي بحال الشخصية إذ إنّ تبعثر الأوراق دليل على إحساسه بتبعثر أيامه نتيجة حادث السير الذي أقعده ، فهذا مشتت الذهن بالإضافة إلى أن لون الكتاب يوحي بالكآبة وهكذا يدل وصف الأشياء على نفسية صاحبها

ووصف البيت ، لا سيما من الخارج ، قد يعني حدوث تغيير ما في حياة المرتبط به" وخارج القرية وفي المنزل الكبير ذي الشرفة ،الذي حلّ محل الكوخ، المتواضع ، يوجد الآن رجلان سيؤمنان استمرار جنس أبويهما "[4]

---

[1] في المنفى القاهر ، ص ٢٠٠ .

[2] [illegible] ، ص ٢٠٠ .

[3] [illegible] ، ص ٢٠٠ .

[4] [illegible] ، ص ٢٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحلول هذا المنزل الكبير محل الكوخ الصغير وعلى نفس المساحة المكانية يعني حدوث تغير في وضعهم الاجتماعي من الفقر إلى الغنى وتؤكده وصف بعض متعلقاته الداخلية لتأكيد هذا التغير مثل استخدام مصباح البترول بدل مصباح الزيت ..." في تلك الليلة اشتعل مصباح البترول بدار حسين حتى طلوع الصبح "[1].

إنّ التركيز على وصف الألوان وعناصر الإضاءة لها جمالياتها ودلالاتها لأن الألوان المنتشرة بتناسقها أو تنافرها أو ما يُسمى (لعبة الألوان) الفنية لها دلالاتها على المستوى النفسي والاجتماعي للحالين في البيت ، إذ يتم الربط بين هذه الألوان وعناصر الإضاءة وبين نفسية المرتبطين هذا البيت نفاقاً أو تملقاً أو [illegible] كانت الغرفة شحيحة الضوء تحسسه رغم السعي بالاحتباس والضيق [illegible] كافياً لجعلي أشعر بتلقي أقف على رمال متحركة [illegible] وان الضوء [illegible] وبالجدران اسودت. وعظامي تفككت حتى ظننت أن إعصارا انقضّ واقتلع الأبنية وبعثرها حجراً حجراً[3]". فالسواد والإضاءة الباهتة أو المعدومة التي انتشرت في أرجاء البيت توحي بالرقب والتوجس والخوف والإحساس بالشتات والضياع . وفي مقابل ذلك تشير الألوان إلى الثراء ، والمستوى الاجتماعي المرتفع " القلها الفراغ، هي الخميلة حد الدهشة. شغلها البيت قليلاً وكانت مستثارة في لعبة الثالث المحايد، غيرت ألوانه ثلاث مرات [4]...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عملية تغيير الألوان توحي بالفراغ الذي تعيشه الشخصية ويدل على القدرة المادية على تغيير الأثاث والألوان . والملاحظ أن بيوت الفقراء ارتبطت في القصة بالألوان الداكنة وعلى رأسها اللون الأسود وخفوت الإضاءة أو انعدامها ، بينما بيوت الأثرياء اصطبغت بالألوان الفاتحة وعلى رأسها الأبيض " بيت آخر ...بناء أبيض ... ثم صعدوا درجا فحمسا عشرين درجة ودخلوا البيت [١٥] ".

ويمكن القول إن وصف بعض الأركان الهامة في تكوين البيت لا سيما الغرفة والنافذة والباب والسقف والجدران لها دورها في إبراز جماليات البيت الذي تنفرد فيه الشخصية ولا تشترك فيه مع غيرها من المرتبطين بالبيت لتكون في مجموعها القصص بؤرة للمكان (البيت) بحيث يمكن وصفها بأنها مكان أكثر تكثيفا للأحداث وتحديدا لحرية الفرد من أي مكان آخر إذ تتحول (الغرفة) إلى كتلة حية تستوعب واقع الشخصية التي تعبر فيها عن انفعالاتها المتباينة ،وفيها تنسج أحلامها وطموحاتها و إليها تعود محملة بهزائمها وخيباتها، وتحاول فيها البحث عن انسجامها مع ذاتها ومع محيطها الخارجي وتستعيد تحت سقفها قوتها للتخلص من انكساراتها .

" الغرفة ...جسد متعب يسل إليه الظلام وسط أحلام حطمتها عواصف القهر والمستحيلات فقيرة كفقر أحلامي .تتعاطف مع وحدتي فيها مثلما يتعاطف السجان المقهور المسحوق مع السجين لحظة شد حبل المشنقة على عنقه "[١٦].

فالغرفة عالم خاص بالشخصية الا انه مليء بالخوف والقهر والأحلام المقيدة ورابطة الغرفة بالعالم النافذة التي هي وسيلة لربط المغلق (البيت /الغرفة) بالمفتوح (العالم) عبرها تتخلى الشخصية عن وحدتها وتتحرر من عزلتها فهي عتبتها نحو العالم الخارجي حيث الحواس توظف:

---

[١٥] جبرا ابراهيم جبرا، صيادون في شارع ضيق، ص ٤٧

[١٦] حنظلة ناجي العلي، رسوم الغربة، الطبعة الثانية، ص ٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السمع والبصر ...الخ والخيال ليرحل إلى عوالم أخرى هربا من واقع البيت " داخله الضجـــر والتبرم وتلاحقت أنفاسه في الغرفة الموصدة فهب إلى النافذة مستروحا ولمس وجهه نســمات الأصيل الندية [1]" إن النافذة كوة تطل عبرها الشخصية على العالم الخارجي .

وسقف البيت يشعر دائما بالأمان لكنه صور بطريقه جمالية للتعبير عن فكرة ما تـــبرز دور هذا السقف في الكشف عن انفعالات الشخصية وتفاعله معها ، فقد يتقوس ويضيق تعبيرا عـن فقدان الإحساس بالأمان ، وتعميقا لوصف الحالة النفسية للمرتبطين بالبيت أو الغرفة .

" كان سقف الغرفة يتقوس فوقنا مثل إحدى مبانات القطن،ومقاطع من طل وضوء تتنـاوب عليه ،فتحيله مبرقشا بالأصفر والبني مثلما يتقوس قطن مفتوح طاقيته على رأس الغرفة، والبومـة ذات العين الواسعتين تحدق في بعقوبة الفتاح، ولست أدري لماذا أقول لها ،وأعرف سلفا أنها لـــن تجيبني [2]" إن إحساس الـ بتقوس السقف تعبير عن قلق الانتظام بالغرفة وتفاعلها مـــع الشخصية .

والباب له ما يضيفه في هذا البعد الجمالي للبيت كما صورته القصة فـــهو يطـــرح قضيـــة (المفتوح/المغلق)في موازاة (الداخل/الخارج) في نفس الشخصية حيث إن " انفتاح البـــاب هـــو معادل لإنفتاح العالم أمام البطل [3] " هروبا أو بحثا عن الذات خارج عالمه (المغلق/البيت) الـــذي يمثل عالمه (الداخلي/النفس).

---

(1) في القصة في الكتاب العربي الحديث ص ٢٤٢

(2) المصدر نفسه ص ٢٤٢

(3) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ص ٢٢٠ ... ص ٢٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" انطلقت من بوابة دارنا خارجا كسهم ناري "[1]

بالإضافة إلى أن انغلاق هذا الباب أو انعدامه مجازا هو بمثابة الحصار والإحباط والتشيؤ الذي تعانيه الشخصية نفسيا واجتماعيا وفكريا ." فوجئ بعد دخوله الكوخ بقليل بأنه بلا باب فوقف ذاهلا غارقا في تداعيات لا تنتهي ...أحاول الخروج .أحفق . أبحث في حيوي عن مفتاح رغم انعدام الباب ولا أحد "[2] إن انعدام وجود الباب هو رمز لانعدام التفاهم بين الشخصية والعالم المحيط خارج البيت.

يمكن القول إن وصف البيت بشكل عام بألوانه وأركانه ومتعلقاته وأثاثه ...الخ يساعد القارئ على فهم بنية الشكل المكاني وما تعكسه على صفات وأفكار ما تعكسه عنهم .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

مما سبق نتبين أن القصة العربية القصيرة كشفت بكل شفافية وصدق، وإتقان عن جماليات البيت العربي، الذي كان حاضرا وبقوة في مجرد لغة حكواتية غنية بالمستمرات، بل عالم يحسب بمقاييس العقل، والعاطفة، والتفاعل، والوعي. فقد اغتنت القصص بالمكان " الذي هو البيت وأعطته بعدا حياتيا كاملا، ليصبح مرادفا للحياة،فحيث توجد الحياة يوجد البيت "[3].

---

[1] [illegible] من القصص القصيرة في الأردن، ص ٤٦

[2] [illegible] ، ص ١٠٢

[3] [illegible] ، ص ٢٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- المقهى .

إن منظومة الأمكنة المغلقة ذات الجدران،والسقوف، والأبواب، والنوافذ ، تبدأ من البيت وتمر بأمكنة اخرى كالمقهى ، والسجن، والمكان الديني ... لتفضي بنا إلى الأمكنة المفتوحة.

والمقهى مكان يمكن ان يوصف بأنه مغلق جغرافيا ببنائه المؤلف من جدران،وسقف، ونوافذ أو شرفات يجلس فيها المرتادون، إلا أنه يختلف عن البيت وعن غيره من الأمكنة المغلقة بأنه يمتاز بالانفتاح المعنوي، كونه مكانا مشتركا بين أعداد كبيرة من الرواد يتلاقون في أمور ويختلفون في أخرى،بالإضافة إلى كونه أقرب الأمكنة المغلقة إلى الأمكنة المفتوحة لا سيما الشارع و المدينة ...الخ إذ يلتحم المقهى مع الشارع والمكان (البيت).

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والمقهى من الأماكن الشعبية او التي بدأت شعبية ثم مع الزمن تطور بعضها واكتسب تسميات مختلفة تناسب البيئة والعصر فاصبح من العصرنة (المعاصرة) تسميته (بالكافتريا)إذا كانت تقدم فيه بعض الأطعمة بالإضافة إلى المشروبات المعتادة . وأحيانا يسمى (كوفي شوب) ...الخ وبعضها الآخر احتفظ باصالته وهو ما يسمى بالمقاهي الشعبية التي عالجتها القصة القصيرة بكثرة وصورتها جماليا . فالمقهى أصبح في حياة الكثير من روادة اكثر من مكان ثانوي، فهو المكان الذي ينطلق نحوه مثقلا بهمومه وأحزانه وكذلك بأفراحه وآماله على وفق الموقف النفسي الذي تعنى به القصة.

وقد صورت القصة العربية وعكست الكثير من جماليات المقهى من حيث هو مكان فالصورة الأولى لهذا المقهى تتجسد في كونه مكانا للترويح عن النفس بعد يوم شاق من العمل،ومواجهة الحياة بكل شقائها ومرارتها لا سيما في حياة أولئك الذين يرزحون تحت ضغوط الحياة . ويبحثون عن مساحة بسيطة للترويح عن النفس . يتأسون فيها واقعهم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهمومهم ويتابع الناس في المقهى" حياة معايرة عن تلك الحياة التي يمارسونها طوال اليوم...الذي يحمل رائحة خاصة هي رائحة اللحظات الزمانية التي يعيشها البشر فتعبر عنهم وعن حياتهم[1]" يجتمع فيه الأصدقاء والمعارف والجيران باختلاف العلاقات والروابط بينهم فالمهم أنهم يجتمعون فيه .

" كانت تلمنا قرنة في مقهى الكسال تطل على شارع بغداد،ومن عادته أن يخلع حذاءه ويضع إحدى قدميه تحته ثم ينهيأ للحديث فتصبح الدنيا وقتئذ أقصوصة على شفتيه [2]"وهو المكان الذي يلتقي فيه الأصدقاء بعد افتراق ." جلس عطا مع بعض أصدقائه في المقهى وهم ينتظرون [3]".

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد يجتمع الإنسان مع نفسه فيتحول إلى مكان خاص ينفرد فيه ويهرب إليه محملاً بهمومه وآلامه التي ينفثها مع دخان سيجارته ، أو نفس الأرجيلة التي تكون كركرة المياه فيها صدى لتلاطم هواجسه وأفكاره فيغدو " المقهى رمزاً للرغبة في النسيان وإضاعة الوقت بدلاً من التفكير بمشكلات الواقع [4]"أي أنه ملاذ الهروب من هذا الواقع ومحاولة لنسيانه ولو للحظات بسيطة فقد يلجأ إليه الإنسان هرباً من الأماكن الأخرى لا سيما البيت المعادي بكل ما يسببه من هموم،وهنا تبدأ خيوط العلاقة بين المكان المغلق (البيت)والمكان المغلق/المفتوح (المقهى).

" كان يترك البيت إلى المقهى بعد كلّ خصام فيجلس حزيناً مهموماً ولا يريد أن يكلم أحداً[5]" فالبيت يدفع الإنسان إلى أماكن أخرى مغلقة أو مفتوحة . ولعل المقهى هو المكان

---

[1] ريمان سعدون ، مقهى الكسال ، ص ١٠

[2] نجم عبد الله كاظم ، الرحيل ، ص ٤٥

[3] في الصيف الدافئ ، ص ١٢٥

[4] فاضل خليل ، الرحيل ، ص ٤

[5] في الصيف الدافئ ، ص ١٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يشعر فيه الإنسان بشيء من الخصوصية والأمان بعد أن يضيق به أقرب الأمكنة (البيت).

" ففي تلك الأمسية لم يكن بسام يريد شيئا معينا، وعندما انفلت من البيت مسرعاً لم يكن والقلق من شيء غير أنه يريد الوصول إلى المقهى "[1].

والمقهى الذي تحول إلى عالم خاص بالشخصية تنفرد فيه مع همومها. فهي لا ترغب في أن يشاركها فيه أحد برهة لرغبة عارمة في السكون والطمأنينة ونفث الهموم ومحاولة التخلص منها باللجوء إلى هذا المكان " إنه مقهى صغير على أية حال، وهو لا يتسع لكثير من الموائد. إنه فيما أظن لا يتسع إلا لمائدة واحدة . فالمقهى صغير صغير جداً ، إنه لا يتسع لأكثر من مائدة واحدة ..."[2] "إنّ إصرار الشخصية على تحجيم المقهى بحيث لا يتسع إلا لمائدة واحدة هي مائدها دليل على أن المقهى أصبح عالماً خاصاً بها وحدها والمقهى مساحة حرة ، واسعة للتأمل، والتذكر، ولا سيما في لحظات محاولة الذات للهروب من واقعها ، فتقبع في إحدى زواياه مما يحوله إلى بقعة ممتدة في الزمن الماضي عبر فعل الذاكرة التي تعود إلى أيام مضت محملة بالفرح أو مثقلة بالهموم، يقطع فيها الإنسان عن واقعه للحظات خارج حدود الزمن الحاضر ، فالمقهى بقعة مكانية نابضة ثابتة مكانياً متحركة زمنياً الأمر الذي يجعله يتجاوز وظيفته الأساسية للترويح عن النفس ، حيث يتابع فيه الإنسان لوناً آخر من ألوان حريته لا سيما عندما يكون منفرداً بذاته،لا يقطع خلوته وامتداد ذاكرته أي شيء " لقد كنا- أنا وسلوى – نجلس في المقهى الصغير الذي اعتدنا الجلوس فيه منذ سنوات... كنا نتحدث بفرح...نسترجع ذكرياتنا الماضية "[3].

---

[1] انظر ص

[2] انظر ص

[3] انظر ص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يشق هذا المقهى عن " ذكريات تعود بالقارئ إلى أزمنة أخرى،وأمكنة اخرى،بعضها قريب وبعضها الآخر بعيد جداً[1]" فما إن نذكر المقهى حتى نذكر أحداث وأماكن ولحظات.

" ما زلت أذكر أيام مقهى الزرازير بعمان، كنت آتي إلى هذا المقهى ابحث عن عمل، كان ذلك في بداية الخمسينات، كنت أجلس أتلمس أخبار الذين يبحثون عن عمال يقومون بالحفار أعمال لديهم [2]"وهذا يقودنا إلى مدلول آخر للمقهى في القصة العربية عندما يتحول إلى كوة فرح وأمل في جمع قوت اليوم للعمال الذين يجتمعون فيه حيث تتلاشى مشاعر الترقب، والاستجداء للقمة العيش في بعض الأحيان . مما يعني أنه فقد وظيفته الأساسية للهو والترويح عن النفس وقضاء الوقت في شرب الشاي والقهوة واللعب...الخ

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

والعاملون في المقهى يمرتبطون بخيط الذاكرة فكانوا قبل ان يكون هذا المقهى حتى تستهال ذكرياتهم القاسية لأيام قضوها فيه . ذلك لأن وصف ما كانوا يقومون به يدلنا على طبيعة الحياة التي كانوا يحيونها بين طاولاته ومقاعده ورواده ورائحة الشاي والقهوة ...الخ .

ولمعت أشعة الشمس العابرة على أوراق أشجار البرتقال بينما كان غطا يغرق في أفكار الماضي السحيق . لقد كان في يوم ما هنا في هذا المكان يجمع الاستكانات الفارغة،ثم يوزع مجموعة أخرى من أقداح الشاي ثم يجلس في ركن قصي يرقب بنظراته الأشخاص الذين يجيئون ويذهبون ...ويتساءل في نفسه هل هؤلاء الناس لهم زوجات ؟ أو بيوت[3] "

ويحمل المقهى هنا بعداً آخر يؤكده ارتباط الشخصية العاملة به ، بعداً يحمل في طياته رفض الواقع والتذمر والسخط على أولئك المرابين. لا سيما الذين يعني المقهى لهم المتنفس، ومكان اللهو، غير المجربين على ارتياده. والارتباط به بينما هو في حياة العاملين فيه هو البؤرة والمحور

---

[1] إبراهيم جنيدي ، صداقة على الرصيف ، ص ٥

[2] عبد الرحمن منيف ، الأشجار واغتيال مرزوق ، ص ٥٥

[3] في المقهى ، المقهى العائم ، ص ٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتحولون إلى فلاسفة يناقشون ويحاورون ويحللون وقد يتوصلون إلى حلول لقضايا سياسية وهم جالسون على طاولة المقهى ، فيغدو القضايا لعبة نرد أو ورق سهلة التناول والحل " فلاسفة يضعون الحلول لقضية الحياة على إيقاع الزهر وقرقعة الطاولة "[١].

ولعل أبرز الحوارات التي يمارسها هؤلاء المرتادون الحديث في السياسة ومناقشة الأوضاع والأحوال السياسية وهذا يعدو المقهى لمثل هذه الأحاديث التي هي باعتقادي تجسيد لحالة الإحباط وعدم الثقة التي يعانيها الإنسان العربي فجد عبر هذه الأحاديث في هذا المكان منفساً لذلك .

" يا جماعة لقد أثر بسام في تحليل حادثة الخليج ونظرياته ، فقد سمعته منذ يومين في مقهى الكمال يمتدح جمال عبد الناصر ، ويؤيد تأميم شركة القناة ويشتم بيتو ويدعو (تاتشر تونج) بطول البقاء .

قال سهيل : أكان ذلك باسم حزب " يصطفلوا " أم أنه كان ينطق باسمه الشخصي[٢] "

ولا يقتصر الأمر على كون المقهى مكاناً تطرح فيه الأفكار والقضايا السياسية أو تناقش حسب بل يتحول هو نفسه إلى مكان (فكرة) يرمز إلى واقع أو فكرة يحتله إياها القاص، والمقهى هذه الصفة " تُعد نقطة ارتكاز ، فهو ملتقى الولادات الفكرية والمنطلق الأول لها[٣] "

" لستُ بعيداً عن المقاهي التي يجلس فيها الأهل عادة . قريب أنا وبداتي في جبوي ورأسي مسدود بالكلام والكذب والمؤامرات [٤] "

---

[١] انظر هامش الصفحة رقم ٢٢

[٢] المصدر نفسه ، ص ٢٩

[٣] [illegible]

[٤] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان المقهى رمز للوطن الذي يكثر فيه الكلام والثرثرة والاجتماعات والمؤامرات كما تحاك في المقهى مؤامرات (النرد والورق ...) وثرثرات الرواد وقرقعة الطاولة ومياد الأرجيلة

وتأكيداً لهذه الفكرة (المقهى – الوطن) نجد المقهى يرمز للوطن الذي تحب مغادرته والسفر عنه، فالسفر لا يكون إلا من الوطن الذي ضاق همومٌ أبنائه فغدا مقهى مليئاً بالدخان الخانق فلا بد من مغادرته" وأعاد المقهى لا بد من السفر ليس العالم محصوراً في هذه الثقوب[١]"

ويصور المقهى حالة [illegible] الاحتلال والاستعمار فهو أشبه ما يكون بالوطن ، ورواده أجزاء هذا الوطن الذي يقسم على نفسه" بعض الزبائن يرتاح لهم المعلم ويحرص على مجادثتهم الحديث والجلوس إليهم كلما سنحت له الفرصة، إنه يرتاح من أعماقه لشلة المختار والشيخ جلول، ويرتاح بدرجة أقل لشلة الأستاذ (سعيد) التي تتحلق عصر كل يوم على طاولة " اغاند" ...وقد لاحظ المعلم أن هذه الشلل قد تبعثرت مثل حزمة البعر بعد الاحتلال مباشرة[٢]"

وتعطي القصة صورة عامة عن المجتمع العربي إلا أنها تصطبغ بطريقة أو بأخرى بالبيئة (البلد) الذي تنتمي إليه القصة خاصاً وعلى سبيل المثال عبرت القصة المغربية عبر جمالية المقهى عن فكرة (الغرب)واختلاط المجتمعات العربية لا سيما المجتمع المغربي بالمجتمعات الأجنبية بلغة وصُور لا تخلو من النحتر المغلف بالسخرية " قالوا له : علة مرضك ميكروب المناصي وللزمك حقن المستقبل ماذا أعرف .؟ المقهى في اعتيادة اليومي ، نفس التشكيلة الاجتماعية

---

[١] [illegible]

[٢] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونفس النوع من السياج ، معربي أسود وشقراء أجنبية يشربان الجعة في عشق، العنصرية في شكلها التقدمي "[١]

ومن الأفكار السياسية التي يصورها المقهى أو التي تطرح عبر وظيفة المقهى فكرة النفاق السياسي حيث تتناقض الشعارات مع الأفعال والممارسات العملية فالفرق شاسع بين ما نقوله ونطلقه من شعارات الانتماء للوطن وبين ما نطبق . وهذه من الأفكار التي تتردد على ألسنة رواد المقهى لا سيما المثقفون

" عدت إلى المقهى التقيت الحاجي " فاتح" وقرأ قصيدة سخيفة يمدح فيها الوطن على الرغم من أنه لص ابن لص . [illegible] بعض اصدقائي "[٢]

والمقهى الآخر في بلاد الغربة كورنة للقصة المقهى غربة حالة تتمثل في إحساس الإنسان العربي فيه بالوحدة والغربة وهنا تكمن المفارقة لأن الإنسان في الوطن يسعى إلى الانزواء في ركن من المقهى يتابع فيه وحدته وحزنه ، إلا أنه في الغربة يمقت هذه الوحدة.

" قلت لها إن أكثر لحظاتي تعاسة عندما أجد نفسي أجلس في المقهى أو المطعم وحيداً، وأتناول وجبة الإفطار أو الغداء أو العشاء دون أنيس "[٣].

وللمقهى الآخر وللمقاهي الشعبية وظائف أخرى نؤكد أن المقهى ليس مكاناً للهو فقط بل هو ملتقى للأدباء في أي مكان سواء في الوطن العربي أو العالم ككل ." دخلت الميدان ، ووقفت أمام مقهى (فلوريان) أستحضر قراءاتي عن هذا المقهى الذي شهد مجالس الأدباء الذين قضوا وقتاً هنا ..." الفونس دودنه " و " جورج صاند " و " أوسكار وايلد "[٤]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولنم أنسنة المقهى الذي يملك القدرة على التفاعل مع روادة ومع محيطه فيعكـــس حـــال روادة ويعطي صورة عن أسلوب تفكيرهم وطريقة حياتهم هدوءاً أو اضطراباً. " في مقـــهى " النجمة الحمراء" في حلب، جلس أمامي صديقي المعلم (شهاب)يقضم أظافره قلقاً حائراً، وقـــد ثبت عينيه في زاوية حادة على جدائه . وقد استطالت معالم وجهه بعد أن صيفه . ولحية مهملـــة كالهباب[1]".

فالمقهى هنا يصور الحالة النفسية لروادة الملأى بالاضطراب والحيرة مما يقودنـــا إلى توقـــع الأسباب التي لا تخلو من عوامل مادية صعبة تعانيها الشخصية ولا يقتصر الأمر على ذلك فقـــد يعكس وصف سلوك الشخصية في المقهى الحضور قاسم من خلاله الى تتاز بالسرعة والارتبـــاك وفقدان السكينة والهدوء.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" إذا دخلت مطعماً أو مقهى فستجده يستعمل شرب الشاي بصحن الكأس ...قلق مـــزمن في إبداء قلقه [2]".

ويصور كذلك المستوى النفسي والفكري للشخصية ومدارات هذا التفكير و طريقة حياتـــه التي يحياها كوصف هذه الزوجة أو بالأحرى تلخيصها لأسلوب حياته .

" هو ...هو – لا داعي لأن نقرأ أكثر...شفتاه آه ...لا تعرفان إلا الحديـــث عـــن فلســـطين وطاولة (المقهى)والأصدقاء المتحمسين [3]".

ويتفاعل المقهى مع محيطه بكل ظروفه الاجتماعية والاقتصادية والســـياســـية فيمـــتزج معـــه امتزاجاً يبعده كل البعد عن الحيادية والخمود وهذا ما يعنيه في القصة العربية . وهذا الامـــتزاج

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو بالضرورة امتزاج وتفاعل مع روادة الذين يعايشون هذا المحيط ويلقون بآثاره ونتاجـــه في زوايا هذا المقهى وجـانه .

" الليل رهيب، والنهار رهيب. فقد ارتفع الصخب والصراخ وارتفع الدخان إلى أن تعطلت أصوات الناس لتحترق سقف المقهى العالي المبلل بالرطوبة . كانت رطوبة المكـــان وحـــرارة الأشخاص ممتزجة برطوبة المدينة "[1].

والمقهى يصور الوضع الاقتصادي الذي يعايشه المكان الذي ينتمي إليه وتفاعله ذلك يتجلـى في نشاط الحركة فيه أو بطئها . فالقصة العربية لم تغفل عن هذا الجانب وإنما صورته وعـــبرت عنه بإضفاء الطابع الإنساني على المقهى الذي قلما تخلو قائمة أحوال المقهى شبيهة بـــأحوال دكاكين الخردوات تزدهر يوما وتنكمش في أغلب الأيام

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فقد تأثر المقهى بالأحوال الاقتصادية لأنه مكان تأوي يكثر روادة إذا كـــانت الأوضـــاع الاقتصادية جيدة والعكس صحيح

أما الأوضاع والظروف السياسية فلا يمكن ألا يتفاعل معها المقهى الذي كان أشبه ما يكون ببؤرة مكانية زاخرة بالأفكار، فقد صورت إحدى القصص المقهى في صورة أعمق دلالة مـــن كونه مكاناً للترفيه فقط وإنما هو كائن حي يتفاعل مع الأوضاع والظروف السياســـية الـــتي يفرضها الواقع ، محاولاً عبر روادة أو القائمين عليه مسايرتها أو رفضها أو تطويرها أو حـــتى طرحها .

" في الأيام الأولى بعد الاحتلال واجه المعلم ابو بلطة الكثير من المصاعب حتى أنـــه أغلـــق مقهاه أكثر من مرة . فقد كان يستصعب على نفسه أن يقدم الطلبات للزبائن اليهود :

---

[1] إميل حبيبي : سداسية الأيام الستة ، ط ١ ، ص ١٢٥

[2] المقهى في القصة الفلسطينية ، ص ١٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج-السجن

السجن مكان مغلق بالمعنى الشامل للإغلاق. فالبيت مكان مغلق ، لكن انغلاقه هذا يعني مزيداً من الأمان والطمأنينة. والأهم من ذلك أنه يعني مزيداً من الحرية أما السجن فيشكل انغلاقه على العكس من البيت ، مزيداً من الخوف والتقييد لأنه بأنواعه المختلفة هو صورة حية لمصادرة الحرية بأوضح معانيها.

والسجن من الأماكن المغلقة التي لم تبرز بشكل جلي في القصة العربية القصيرة مقارنة مع ما أفردته الرواية لهذا المكان حتى إن كثيراً من الروايات كان فضاؤها (مكانها) المحوري هو السجن بكل أبعاده النفسية ، ودلالاته الاجتماعية والسياسية.

محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والسجن مكان معلق ماديا ومعنويا إذ إن مفهوم السجن مرادف لمفهوم مصادرة الحرية وتقييدها سواء الحرية الجسدية أو الحرية النفسية فهو " مكان محدد بأبعاد جغرافية ، له سماته، ويختلف عن أي بناء آخر لاختلاف الوظيفة التي يقوم بها في المجتمع "[1] والوظائف التي يقوم بها السجن محصورة في وظيفتين.

أولاهما الردع والتأديب وهما تملك السلطة زمام الأمور لاعادة الأوضاع إلى نصابها ، والسجين هنا يكون مجرماً، والسجن مكان للعقوبة بهدف تأديبه ، وهذا النوع من السجن لم يرد في القصص محور هذا البحث.

أما النوع الآخر من السجن فهو السجن السياسي، وهو الذي كان له نصيب في القصة العربية القصيرة وإن لم يكن نصيباً كبيراً. وهذا النوع هو ما يمكن تسميته بالسجن الفكري لأن السياسة فكر وموقف ،وتقوم السلطة بالاشراف على هذه الوظيفة بغية القمع الفكري للسجناء

---

[1] عبد الحسين شعبان في رواية الأسوار ، ص ٢٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليتم إخضاعهم لسياستها حتى ليغدو السجن في هذه الحالة " كياناً متكاملاً من الفعل القمعي الذي تمارسه السلطة ضد المناوئين لها، فتحشر فيه كلّ من تسوّل له نفسه بالتمرد "[١]

وكان قد مرّ بنا سابقاً بأن البيت قد يغدو سجناً عندما تنقطع صلات التفاهم بين الشخصية وغيرها من المرتبطين به . فتتشكل نحوه مشاعر العداء فيغدو مكاناً معادياً لكنّ هذا الوضع استثناء للقاعدة التي تقوم على أن البيت أصلاً مكان أمومي مليء بالأمان والطمأنينة والحبّ إلا أن القاعدة على خلاف ذلك فيما يتعلق بالسجن باعتباره مكاناً مغلقاً فهو مكان معاد دائما وهذه المعاداة بين الإنسان والسجن نابعة من أن السجن يعني مصادرة أبسط حقوق الإنسان وهي الحرية التي تعني وجوده بكل أبعاده الوجودية فقدانها يحرم الإنسان من حريته ، لا سيما حرية التعبير عن الرأي ، ويكون السجن أداة مصادرة هذه الحرية فهو المكان الأكثر عداءً للإنسان .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

"في صباح يوم ... قالوا لي فيما بعد... كان من أيام النصف الأخير من شهر تموز... فتح شاب باب زنزانتي ...

قال . ما زلت حياً؟

- أقف في الطابور

- والطعام ؟

- الجبنة الصفراء مدودة.

- هل تفكر ؟

- جسمي يزداد نحولاً يوماً اثر يوم

- والذكريات ؟

[١] ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أعيش عليها

- والماضي ؟

- أنظر إليه بسخط!

وسمع السجان الحديث ...فأحكم اقفال الباقة ...وقطع أرغفة خبز القمح عن محدثي [1]

فهذا الوصف لما دار من حوار في إحدى الزنازين يوضح بشكل جلي كيف صودرت حرية هؤلاء السجناء في الحديث والذكر وحتى الحصول على لقمة عيش طبة تخفف وطأة السجن وشقاءه .

وليت الأمر يقتصر على مصادرة الحرية فقط بل تعدت قدما السجين أرض هذا المكان المعادي (السجن) فقد صورت القصة القصيرة ما يجري في السجن من أساليب التعذيب القاسية بحق السجناء لإجبارهم على الاعتراف بذنب لم يقترفوه أو حتى لتغيير مواقفهم و افكارهم .

" اقتيد عنده إلى السجن ليقضي فيه ثلاثة اسابيع دون تحقيق – وفي اليوم الثاني والعشرين بدأ (الجمعدار حسين) يباشر نفسه استجواب عنده بشهية مفتوحة وبتلذذ حتم...وقد بدأ الاستجواب برصانة مفتعلة وفي رداء موضوعي محايد ...بينما كان في الواقع يخفي في قاعه رغبة عدوانية طاغية وشهوة وحشية للانتقام وتدرج (الجمعدار) في تنكيله بعنده من التعذيب الجسماني بتصاعد محكم . وصبر منير كل ذلك لينزع منه اعتذاراً عما بدر منه...ولما فشل في ذلك راح يحدد له الاقامات وينوعها يوما بعد يوم [2]".

---

[1] المصدر نفسه القصة الثانية ، ص ص ١٦٢ ، ١٦٣

[2] الوطن في القصة الكويتية القصيرة ، ص ص ٢٤٨ ، ٢٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ هذه الأساليب وغيرها من أساليب التعذيب لانتزاع اعتذار أو اعتراف لتؤكد وحشية المحققين والسجانين "وتؤكد استلاب حيوية الجسم الإنساني وتقديم الروح المعنوية للمعتقل بغية الحصول على اعترافات والتهمة[١]" وهي في الوقت نفسه قد تبعث في نفس السجين مزيداً من القوة والإصرار والثبات على الموقف تجعل السجانين يدورون في حلقة مفرغة إلا من انهزامهم الداخلي أمام انتصار هؤلاء السجناء وقوتهم .

" أنا المناضل الذي لم تشفي سنوات السجن الطويلة ولم أنس لحظة واحدة في حياتي[٢]" فالسجن يربي النفس على الصبر والثبات لهذا السجن الذي لا يمكن أن يثنيه السجن عن عزمه وعن التمسك بأفكاره ومواقفه

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد يتحول السجن إلى مساحة للتذكر والتأمل في المستقبل حيث تنفتح عبر الذاكرة والمخيلة على العالم الخارجي تنطلق فيه الروح من قفص سجانيها فلئن قيد الجسد فإن الروح تبقى حرة تحلق في فضاءات أرحب من فضاء هذا السجن .

وفي لحظات التأمل في واقع السجن المؤلم نجد السجين يكتشف إنساناً آخر داخل نفسه ماكان ليكتشفه خارج هذا المكان الذي قيد حريته ولكنه في الوقت نفسه جعله يطلق العنان لنفسه ولذاكرته كي يخفف من وطأة هذا السجن على نفسه

" لن أنسى ما حييت تلك الليلة من ليالي الخريف التي تمزق فيها القناع الذي كان يفصل بيني وبين عدم تقبلي... لقد تبعت أفكاري بلهفة وهي تحط طبقه طبقة لتوطد إدراكي مجددة كل الصلات التي كانت قبل ذلك تمنعني من رؤيتها ...وتوضحت نفسي شيئاً

[١] [illegible]
[٢] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فشيئاً...شعرت بحياتي السابقة تلتهب فجأة . وبحياتي الجديدة تبدو كئيبة لا فرح فيها ... فلم يبق لي إلا أن أسير وحيداً وراء فكري القاتل الذي نفاني الى السجن [1]".

فقد اكتشفت الشخصية (السجن) أنها تمتلك ثقة بذاتها تلاشت أمامها كل ضلالات الخوف والتراجع فصار أمراً واقعاً مواجهة هذا السجن بكل ما يمتلئ به من هواجس ومخاوف ومصادرة للحرية . ولا يقتصر الأمر على مواجهة هذا الواقع ، بل الثبات على الفكرة التي من أجلها اقيدت إلى السجن

" والسجن فضائياً رمز للضيق والعزلة ، وضيق المكان يعزز نفسية الاستبطان ، فكلما زاد المكان ضيقا حول الشخصية ازدادت سيطرة الانجذاب الداخلي النفسي[2]" وهنا تكمن علاقة الشخصية بالمكان فلن تكون حرة وقوية الا حرية بين جدرانه ، فهو يعمّق إحساسها بذاتها،وتلجأ الى التعمق في نفسها هروباً من هذا الواقع ولو بقدر التأمل في مستقبل أكثر حرية :

" لم تكن الحياة مظلمة بالنسبة لي وأنا في الزنازين ... كانت تملئ أملاً بالمستقبل... كنت دائماً متفائلاً لم يتسرب اليأس إلى نفسي... في السجن لم يثنني شيء عن عزيمتي وصمودي [3]".

وهذا الثبات والصبر والتفاؤل نجد مثاله البارز في القصة الفلسطينية التي كان للسجن خصوصية فيها ،لأن السجان هو الدخيل المغتصب للأرض والحرية والكرامة . فلا " ينجح السجن في تدمير الفلسطيني ،بل بالعكس يعمق تجربته ومعرفته ويقوي صلاته، فيقلب

(1) الوان من القصة السياسية الفلسطينية ، ص ٢٦٠

(2) نجمة الشمس الحمراء ، الشخصية والمكان في روايات غسان كنفاني ، ص ٢٠

(3) نفس المرجع السابق ، ص ٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السجن إلى مدرسة تشكل عنصر تخريب ذاتي للمحتل / للسجان[١]"

وقد عكست القصة العربية القصيرة في بعض النماذج جماليات اجتماعية للسجن باعتباره مكاناً مغلقاً منها اختلال موازين العدالة الاجتماعية بين الناس ، واستغلال المنصب من قبل المسؤولين في سبيل تحقيق مآربهم لا سيما انتقامهم ممن هم أقل منهم شأناً، او ممن حرمتهم الظروف من التمتع بالقوة والجاه اللذين يتمتع بهما هؤلاء السجانون أو المسؤولون .

" ولدنا تضارب مع ابن الشاويش عطية وأسقط لابن الشاويش أحد أسنانه فغضب الشاويش وأرسل خمسة من العسكر أخذوه إلى الحبس،وقد مضى عليه يومان،واليوم هو ثالث الأيام...بقيت فترة أفكر بعلاقة الرجل بشجار حدث بين أطفال مهما كانت نتائج الشجار ، فتساءلت مستوضحاً:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- زوجك كسر سن ابن الشاويش؟!
- لا ولدنا هو الذي كسرها
- وما دخل زوجك في مشكلات الأطفال ؟
- وما أدراني إنها أوامر الشاويش[٢]

إن مجرد مشاجرة بسيطة بين أطفال أدت إلى زج الرجل الفقير في السجن من قبل الشاويش الذي كان سلاحه الوحيد سلطته الممنوحة له من قبل الحكومة ، التي بدورها لا يساوي شيئاً وهذه ظاهرة موجودة في بعض المجتمعات العربية .

على ان السجن يعتبر وصمة في جبين من يدخله سواء أكان مجرماً أم بريئاً،فالمجتمع ينصل من هذا السجين ، ويلفظه خارج حدود علاقاته الإنسانية ،حتى إنّ هذا السجن ليقف له

---

(١) حسن نعمي ، تجليات الفضاء والتشكيل والرؤية في الرواية العربية ، ص ٢١٨

(٢) الأوامر من القصة نفسها ، ص ٢٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالمرصاد ويحول بينه وبين أن تسير حياته سيرها الطبيعي ،مما يمنعه من تحقيق أبسط طموحاته ."

حتى هي كانت أمنية بالنسبة لي ...لم تتحقق بسهولة ، كان عليّ أن أجتاز عقبات حتى أصل إليها ...لم تمانع هي ...قالوا لها :

- إنه يطمع في راتبك ...لأنه إنسان بعيش دون عمل ...عمله الوحيد دخول السجن والخروج منه ..."[١] لقد كان من نتائج هذا السجن ، على من ارتبط به ، نبذه ،وعدم قبوله في أي عمل مما يحول دون زواجه . وتأسيس بيت يعوض فيه أيام السجن القاسية .

ويحمل السجن في طياته بعداً رمزياً يتجاوز المفهوم المتعارف عليه للسُّجون فهو " موقع لـه إيحاءاته وتداعياته ... [redacted] ويبقى هو في المركز بشكل حقيقي،وهو الوطن بشكل مجازي،السجن نقطة تضع الوطن كله "[٢] إنه الوطن الذي يفقد فيه الإنسان حريته ، وإرادته،وقوته في التعبير عن آرائه والعيش فيها بكرامة

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" وبعدها حاطت سقف الزنزانة ... " من قُبات موائد السادة الذي يصل إليها تحوّل مختار المخيم إلى رجل كبير... وكب الطاسة وسافر إلى مدينة الضباب.عاد وعلى رأسه تاج ، تجمع رجال تفوح من أجسادهم رائحة الصحراء والإبل وهتفوا يا يعيش ! يا يعيش!

وأطلقوا رصاص بنادقهم الحرة فوق رؤوسنا "[٣] فهذه الزنزانة هي الوطن الذي يقع في زواياه من صودرت حريتهم وحقوقهم على الرغم منهم.

---

[١] [illegible]

[٢] [illegible]

[٣] [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونفس الإنسان تغدو سجنا يضيق به عندما تفقد الشخصية انسجامها مع ذاتها لظروف فرضها الواقع ! إن هذا السجن بهذا المعنى" يبقى مجرد فضاء ذاتي يعبر عن حساسية مفرطة تجاه الواقع وتجاه الآخر . يتداخل المعيش والمتخيل في صوغ هذا السجن الخاص "[1]

" أصغيت إلى حديث روحي ... جدي ... حيش... صرامة ...عنف... اختلطت الكلمات بالظلمة.أصبح كل ذلك كابوسا يطاردني حتى باب المنزل ... عند ذلك أيقنت أن السجن داخلي أنا"[2].

إن وقع هذه الكلمات التي هي من متعلقات السجن تنبهه إلى أن نفسه باتت سجنا يقبع فيه ولا يستطيع الفكاك منه وجميع أبوابه مقفلة

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والسجن قد يكون البيت المعادي الذي أشرت إليه عند وصف جماليات البيت ، إذ يتحول البيت إلى سجن عندما تفقد الشخصية فيه انسجامها مع غيرها من المرتبطين به .

وحمل السجن في القصة العربية القصيرة جمالية المفارقة وهذا البعد قليل في القصة العربية لكن لا ضرر من إيراده . فعلى خلاف القاعدة التي تصور السجن مكانا معاديا تفقد فيه الشخصية حريتها وأمانها فإنه يصبح مكانا للإحساس بالأمان عندما يتحول البشر خارجه إلى زبانية وسجانين يلاحقون الإنسان ويسببون له القلق والرعب حتى يغدو السجن أكثر الأمكنة أمانا وأقربها للإنسان .

" في تلك اللحظة الخرجة من حياة (فنير علي) بوزت بنادق حرس الحدود من وراء النخيل.فلم يشعر بالفزع لمرآهم، بل كان سروره عظيما، و هوى على أقدامهم يقبلها ، وأسلم نفسه طائعا ليقودوه وزوجه إلى السجن "[3] إن هذه الشخصية وجدت في السجن

---

[1] حسن سحلي : الحمة الوداع ، ص ١٤٨
[2] الرواية في القصة السعودية ، ص ٩٦
[3] في الدرب الطويل ، ص ٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملاذاً مما جعلنا نقف أمام تساؤل كبير" أي سجن هذا الذي -على الرغم من كل شيء -يظل أكثر رحمة من غيره ! ثم ابن السجن وسط ركام من السجون المقنعة [1].

وهذا يؤكد حقيقة أننا نعيش السجن في أشكال متعددة تتجاوز في قسوتها قسوة السجن الحقيقي وهذا ما أكدته وصورته بشفافة بعض القصص العربية القصيرة .

ويظل السجن هو البطل الحقيقي الثابت مكانياً لأن السجناء يتوالون عليه فهو يشهد عذاباتهم ويمتصها وقد تنتهي عذاباتهم لذلك لكن عذابه باق ومستمر .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د- المكان الديني :

يمثل المكان الديني في حياة الإنسان مساحة لا يمكن قياسها بأي حال من الأحوال بمقاييس جغرافية،أو تحديدها بحدود مادية فهو المكان المعلق جغرافياً ، المفتوح معنوياً على عوالم واسعة بما يتمتع به هذا المكان من سلطة وقوة في حياة الإنسان . فهو مرادف للحياة بكل معانيها،لأنه حياة بحد ذاته. حياة تمتاز بالطهر والقداسة والخير لمن ارتبط به حق الارتباط .

ومما يميز المكان الديني عن غيره من الأمكنة الأخرى طبيعة ارتباط الإنسان به ، فقد يتمرد الإنسان على الأمكنة الأخرى ويخالف مفاهيمها ، ولا يخضع لقيودها ومقاييسها دون أن يشعر بوخز الضمير، أو اضطراب النفس لكن لا يمكنه أن يتمرد على المكان الديني... ولئن فعل ذلك فإنه لن يكون مطمئن البال بل إنه سيعيش لحظات عصيبة من القلق والجذب ، والخوف والتوجس ، فلا يقر له قرار ، ولا يستقر على حال . إلا إذا لجأ إلى هذا المكان كي يشعر فيه بسمو روحه ،وطمأنينة في نفسه لا تعادلها طمأنينة ولا سكينة في أي مكان آخر .

هذه الرسالة محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولئن كان السجن – كما ذكرنا سابقاً – قليل الحضور في القصة العربية القصيرة ، فإن المكان الديني أقل حضوراً وبروزاً، الأمر الذي يدفعنا للتساؤل حول هذا التغيب أو التهميش لهذا المكان المهم والمحوري في حياة الإنسان ولعل مرد ذلك يعود إلى العلمانية المتفشية في البلاد العربية حيث وظيفة المكان الديني محصورة في العبادة ، وأداء الطقوس الدينية ، مع أنه يمثل بروحانيته وتعاليمه المكان الذي تعتمد عليه الأمكنة الأخرى في استقرارها ، وسير الحياة فيها سيراً طبيعياً،لأن المكان الديني يهذب النفس . ويسمو بها في عالم من الطهر والتوازن ،مما يحقق للإنسان الانسجام الذي يمكنه من التعامل مع الأمكنة الأخرى بمرونة وعقلانية وتفاهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل أبرز جماليات المكان الديني ما صورته إحدى القصص السعودية والمتمثلة بالأمان والسكينة في حياة الإنسان ، لأن الاضطراب ، والتشتت الفكري، والروحي،وغيرهما مما تساهم الأمكنة الأخرى في إنتاجه. وإخضاع الإنسان له. فهذا الاضطراب والتشتت لا يجد الإنسان مكانا للتخلص منه سوى المكان الديني ،وحتى لو وجدت أمكنة أخرى فإن أثرها سيكون آنيا يهرب إليه رغبة في الاحساس بالسكينة والأمان وهو بالضرورة لجوء إلى الله تعالى مما يخفف من وطأة ما به من ضيق فيستشعر الإنسان في لحظات الانسجام القدرة على مواجهة واقعه بكل قوة وإيمان ، جاء في إحدى القصص السعودية القصيرة :

" اتجه نحو المسجد بخطى ثقيلة يراقبني [illegible] من أمره شيئا ... تجوس صدره رغبة عنيفة لأن يقول للناس ما يهجس به ويعاني منه. غير أنه لم يكن على يقين من أي شيء على الإطلاق . [illegible] الصلاة كان يشعر بشيء من الطمأنينة ... أعمض عينيه مستسلما[1]".

إن مجرد إحساس الشخصية بأنها في المسجد جعلها تشعر بالطمأنينة فتستسلم لها لحظات وفي هذا الجانب أيضا تعكس القصة العربية القصيرة جمالية ارتباط الإنسان بالمكان الديني ، واستشعاره لقداسته. لأنه مصدر الخير والبركة ، و دوره في تعميق الراحة في نفس من يرتبط به:" كان الحلم يقفز من أحداقها وهي تتحدث عن سفر مشمول ببركة الكنيسة [2]"

---

[1] القصص القصيرة في المملكة العربية السعودية ص ١٤٦

[2] فضاءات من القصة القصيرة في الأردن ص ٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتستمر الصورة الإيجابية للمكان الديني فتعكس لنا القصة مظهرا آخر لهذا الجانب الإيجابي يتمثل في كون المكان الديني مكانا لاجتماع الناس ، و احساسهم بالتساوي على اختلاف أجناسهم ومستوياتهم . فهو المكان الذي يشعر الإنسان فيه بوجوده...

" في فناء المسجد ضربت ستارة تصلي وراءها النساء ... لا يعنى أحد بإغلاقها إغلاقاً تاماً لسببين : أولهما أن المصليات عجائز والثاني أن المصلين فيه يديرون ظهورهم للفناء فلا يراه إلا الإمام حينما يقف خطيباً[1]" وفي هذا المثال تأكيد على جانب آخر إيجابي هو الحرص على التمسك بتعاليم الدين في الفصل بين الرجال والنساء حتى في المصليات

والمكان الديني كما يؤكد الجميع هو بؤرة للتوجيه والوعظ وكذلك التغيير في حياة الناس نحو الأفضل وهنا يكمن الدور الإيجابي والجوهري للدين في حياة الإنسان " مضى عنيّ في هذا الجامع خمسون سنة وأنا أعظكم وأعلمكم مكارم الأخلاق [2]" فالمسجد يقوم بوظيفة الوعظ والتربية الدينية السليمة التي تحصن الإنسان ضد شرور الحياة وآفاتها وهنا يمكن تلمس أمر آخر وهو التأكيد على صفات من يتولون هذه المهمة من صبر وإيمان وثبات في وعظ الناس .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولبعض المظاهر الاجتماعية في المجتمعات العربية صلة بمكان العبادة ومن هذه الجوانب ما يتمثل في كونه مكاناً لتعليم الناس لا سيما أولاد الفقراء ممن لا تسمح لهم الظروف بالالتحاق بالمدارس

"- لماذا لا ترسل الولد إلى المدرسة ليتعلم ؟

- كنت أحب أن يتعلم ولكنه رفض .

- ولماذا لا تجبره على الدراسة ...؟

---

[1] الجامع ، قصة ، ص ٢٣

[2] المصدر نفسه ، ص ٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– ذهبت به إلى فقيه المسجد مرتين وفي كل مرة اعطي الفقيه نص ريال لكنه يهرب من عنده فقلت : " أنا أحق من الفقيه بالنقود ما دامت تذهب بلا فائدة [١]".

ولا يفوتنا أن نشير إلى ظاهرة التسول أمام الأماكن الدينية ولا سيما المساجد ، حيث الفقراء يجدون ملاذاً ومصدراً للرزق مما يجود به المصلون طلباً للرحمة والأجر من الله . جاء في إحدى القصص " في كل جمعة عند الصلاة ... يذهب إلى جامع الشيخ بركات يأربد ويوزع القروش التي تجودته على (الشحادين) المتصفين برصيف الجامع [٢]" فالمسجد هنا لم يعد مكاناً للطمأنينة الروحية حسب بل اصبح مصدراً للأمان المادي أيضاً بالإضافة إلى ذلك فإن الارتباط بالمكان الديني يعد مقوماً للطقوس الدينية ومقدساً لعلو مكانته أو انحطاطها عند الناس .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" ما يعمق عذاباتي أن دائرة الألم حول (حلقات) هذا السكير العربيد هو الذي يخطف (حصة) بينما كنت لا أفارق المسجد [٣]" المسجد شاهد على حسن أخلاق الشخصية واستقامة حياتها.

ومن خصائص المكان الديني الاجتماعية انه يعكس بعض الانحرافات في طريقة التفكير عند فئة من الناس لا سيما أولئك الذين يؤمنون بالخرافات والارتباط بالأولياء والتبرك بأضرحتهم وهذا بطبيعة الحال عدا عن كونه من الخرافات فإنه مخالف لتعاليم الدين الإسلامي اذ لا واسطة بين العبد وربه .

" – يا سيدي منصور هل انت على النجرة ؟

---

[١] القرن من القصة القصيرة المعاصرة ص ٢٤٠

[٢] نفس المصدر السابق ص ٢

[٣] نفس المصدر السابق ص ٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جعل فرعها تحته وظل ساكنا يسترق السمع .

- وهل يسكن معك ذلك الوحش

أجاب الولي صامتا .

- لا

- لا يا سيدي منصور، اهبط لنعيش سنا. اهبط لأحتمي بك من الوحش، اهبط يا جدي [١]

إن المكان الديني المعادي لم يكن له وجود ظاهر إلا في بعض الأمثلة البسيطة وهذه العداوة نابعة من ارتباط المكان الديني بأسباب اجتماعية وانعكاسات سلبية على حياة الشخصية . " هذا الرجل فر في فورة غضب الجميع عليه لتفوقه وطفقها الصغيرة . وما كان يستطيع أن يطلقها استجابة لتعاليم الكنيسة فهجرها وتنكر لابنته تماما "[٢].

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لقد تحول المكان الديني إلى مكان معاد لأنه فرض قوانينه وتعاليمه على الشخصية التي لم تستطع أن تتماشى مع هذه التعاليم التي وجدت فيها تقييدا لحريتها ورغبتها في الاختيار.

صورت القصة العربية القصيرة بعض مظاهر السلوك الشاذ والطقوس السلبية لبعض الناس وهي أمثلة لا يمكن تعميمها ومنها على سبيل المثال بعض طقوس الشيعة الذين كان لأماكنهم وطقوسهم ومزاراتهم ظهور في القصة العراقية القصيرة . " في الكاظمية حيث سيصلون بالتأكيد بعد عشرة أيام يوجد ضريح الإمام الكاظم ... هناك مآثر من الذهب تلمع من بعيد وتسطع تحت نور الشمس "[٣].

وفي موقع آخر وصف لما يدور في هذا الضريح ، المكان المقدس ، عند الشيعة من طقوس سلبية " أصوات الأكف وهي تهوي بقسوة فوق الصدور العارية المدماة بصراخ النساء...بكاء

---

[١] نجم الفلسطينية وأصوات عراقية في ذكرى الاستقلال ص ٢٠

[٢] القصة القصيرة في الأردن ص ٩٤

[٣] في المقهى العائم ص ٣٩

الصغار برائحة الصديد المتصاعدة من الجثث الماضحة بالعرق ...بدخان المشاعل الكبيرة المحمولة أمام المواكب [١]".

ومن جماليات المكان الديني انه وظف بطريقة رمزية للدلالة على التسامح الديني بين الأديان السماوية الصحيحة .

" ومن قلب الحضرة الشاملة كانت ترتفع عالياً أبواج كنيسة الكاثوليك ومئذنة جامع البلدة [٢]".

مما سبق نتبين أن المكان الديني وعلى الرغم من انه يعني حياة الإنسان بكل معانيها إلا أنه لم يكن له وجود بارز في القصة العربية الحديثة في مراحلها الأولى ، بسيطة ،ظهرت فيها بعض دلالاته ومعانيه

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[١] أبو الخير العربي المعاصر ص ٤٩

[٢] الشخص الشعبي في [illegible] ص ٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

(المكان المفتوح)

أ- المدينة :- ١- المدينة القاسية (المعادية).

٢- المدينة الحلم والذكرى

٣- جدلية المدينة والصحراء

٤ المدينة الرمز

٥- المدينة التجميع

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ب- الشارع

ج- الصحراء

د- البحر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكان المفتوح :

تعددت الأمكنة المفتوحة في القصة العربية القصيرة ، حيث توحي هذه الأمكنة بالانفتاح ، والاتساع المادي والمعنوي. ولا تخلو الأمر من مشاعر الضياع ، والشتات، والخوف ، لأن المكان المفتوح لا حدود له : لا جدران، ولا سقوف، ولا حتى أبواب أو نوافذ مثلما وجدنا في الأمكنة المغلقة " وقد لا نجد الدارس تفسيراً ناجزاً لخوف الإنسان من الأمكنة الفارغة،والمفتوحة إلى ما لا نهاية ، لكن الحالة موجودة ،والتفاسير التي تتصدى لتوضيحها لا تجانب الصواب،ولكنها لا تتضمنه جميعه بالضرورة. ومن أكثر الأسباب حضوراً، والتصاقاً بذات الإنسان تلك العداوة المضمرة بين الإنسان والمجهول. والفراغ دائماً مزدحم باحتمالات المجهول التي يزيدها الجهل اتساعاً في العموض والالتباس، ويكسبها امتداداً ليست حقيقية "[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعيين

ولرتبط الأمكنة المفتوحة بالأمكنة المغلقة ارتباطاً وثيقاً ولعل حلقة الوصل بينهما هو الإنسان الذي ينطلق من الأمكنة المغلقة إلى الأمكنة المفتوحة ، تماشياً مع فطرته الواعية دائماً بالتحرر والانفتاح،وهذا لا يتوافر إلا في الأمكنة المفتوحة . وقد حاولت في هذا القسم دراسة جماليات الأمكنة المفتوحة ورصد أكثرها وروداً في القصة العربية القصيرة ، فكانت المدينة باتساعها ، وضجيجها ، وتيهها، وبريقها الأخاذ. كان الشارع الذي هو قناة اتصال بين الأمكنة المفتوحة ،والأمكنة المغلقة . فلا مدينة دون شوارع يسير فيها الناس ، يحملون آهاتهم، يذرعون هذه الشوارع حيناً وذهاباً يمارسون على أرصفتها هوايات التسكع ، والحلم ، والتأمل . أما الصحراء بامتدادها الذي لا حدود له بما تحمله عنها ذاكرة العربي فهي أول مكان ارتبط به الإنسان العربي ، واجهها بكل خوفها، وفراغها وصمتها ، وليلها الأليل. وبردها القارس،

---

[1] الملائي، قاع الزورق العربي، الفصل، ص ١٠٠

وقيظها فشكلت شخصيته وقوّت ذاكرته فحملها في فكره ووجدانه أينما حلّ وارتحل كذلك البحر وجه الصحراء الآخر ونقيضها ، فهو مهوى القلوب،وموطن الأسرار، والمفاجآت بنسماته العليلة وأمواجه المتلاطمة ، وشمسه الذهبية المتلألئة التي تمنح صفحته بريقاً وسحراً لا سيما لحظة الغروب

وهذه الأمكنة المفتوحة مجتمعة تشكل منظومة غير متجانسة ظاهرياً،لكنها متفاعلة فيما بينها، ولها مدلولات عميقة باعتبارها أماكن ترتبط بها الشخصية ، وتتفاعل معها ، وتساهم في تشكيل ذاتها وإثبات وجودها

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ-المدينة :

تعد المدينة من أبرز الظواهر المكانية التي يتعامل معها الإنسان المعاصر فهي ليست مجرد مكان متسع يفوق القرية ، والبادية تقدماً ومساحة بل هي أيضاً مكان تمتاز عن غيره بجدلية العلاقة القائمة بينه وبين غيره من الأمكنة من جهة ، وبين ساكنيه من جهة أخرى .

فالمدينة تحمل في جوهرها أبعاداً عميقة تجعلها أقرب الأمكنة إلى الإنسان وفكره وطموحه . لأن المدينة هي امتداد لغيرها من الأمكنة ، إذ إنّ علماء الاجتماع يرون أن المدينة مرت بمراحل متعددة حتى استحقت هذه التسمية ، وبعضهم يرى أنها فرع لجذر القرية والبادية ولا سيما إذا عرفنا أن سكان المدينة ينتمون إلى أصول ريفية ، أو بدوية ، ويرى هذا تعريف علماء الاجتماع لها فهي" تعد من الأوعية البوتقة التي تتفاعل وتمتزج فيها الأجناس والشعوب والثقافات، فهي تجمع أناساً من أطراف الدنيا مختلفين ، ولأنهم مختلفون فهم أنفع لبعضهم الآخر مما لو كانوا متجانسين ، ذوي عقليات متشابهة "[1].

ويعرفها مايكل جرانت بأنها " مكان يجتمع فيه عدد من السكان،ويعيشون حياتهم اليومية بكل ما فيها من علاقات لربطهم ببعضهم الآخر. سواء على الصعيد الخاص أو العام . وقد تكون هذه المدينة محدودة في مساحتها أو أهميتها ، أو في عدد سكانها"[2].

أما ممفورد فقد عرفها على أنها" حقيقة تراكمية في المكان والزمان .ومن هذا المنطلق فإنّ تاريخها يمكن استقراؤه من خلال مجموعة من التراكمات التاريخية . وفي تطورها من حيث

---

[1] إبراهيم عثمان . علم الاجتماع والبادية . ص ١٠

[2] أحمد عبيم . الأدوار الحضارية في الأدب وتوجهاتها المعاصرة . ص ١٥٦

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأزقة.والساحات. والمقاهي والحوانيت.والمنازل .والوجوه.والروائح.والأصوات لتشكل فضاءً وإيقاعاً خاصاً هو نفسه جوهر المدينة .جوهر العلاقة اليومية مع المدينة وإن شئنا معنى المدينة"[١]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- المدينة القاسية (المعادية):

إن المدينة باعتبارها مكاناً مفتوحاً، تجعل الإنسان يعيش شبكة من العلاقات المنسجمة حيناً، والمتناقضة أحياناً كثيرة ، تصنعها هذه المدينة ، فيشعره بالضياع والشتات ليس لعدم قدرته على الانسجام معها ومع ما تفرضه من قوانين مدنية تخالف جذوره الريفية أو البدوية وإنما لأنها تجمع في طياتها الكثير من القسوة والكثير من النقول ولعل هذه هي الصورة الأولى التي ترتسم للمدينة في ذهن الإنسان ، لا سيما العربي الذي عاش أجداده في صحراء واسعة خبروها وشكلتهم وعندما قامت المدن على هذه الصحراء أو على أطرافها شعر الإنسان آن من ضروريات وجوده أن يعيش في جحيم المدن فهاجر صحراءه وتوجه إليها حيث واجه فيها الإحساس بالشتات ، والغربة ، وعدم الانسجام مع الذات ومعها مما جعله يعيش حالة من الصراع، والتحدي للذات فيها . ومن هنا كانت " المدن منهمة دائماً بأنها موطن القبح البشري، وموطن القسوة ، وموطن الضعف،وموطن البشاعة "[١] حيث يشعر الإنسان بهيمنتها ،وقيودها ، وعدم قدرته مهما ابتعد عنها على الفكاك منها فهي مركز الحكم ، والسلطة وتسيير الأمور ، فلو وجد هذا الإنسان في أقاصي الصحراء أو القرية فلن يستطيع الاستغناء عنها . ولعل هذه الصورة القاسية للمدينة هي أولى تجلياتها في القصة العربية القصيرة فالمدينة موطن القسوة ، والجراح .

" عندما صفر القطار و تحركت عجلاته أحس (سي الحاج) بشبه ألم يعتصر قلبه، هل كان

---

[١] عبد الحسن الخاقاني ،جدلية المكان ص٤٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا هو الجرح الأخير الذي ألحقته به المدينة [١]".

لقد عبر السؤال الأخير عن عمق الألم الذي كانت تشعر به الشخصية عند مغادرتها لهذه المدينة التي أمعنت في قسوتها عليها فانحسبها جراحاً إلى آخر لحظة . ويشعر الإنسان في المدينة لا سيما الإنسان الوافد إليها بالتيه، فهو منذ الفكر لا يدري ماذا يريد أو ماذا يفعل" كيف سيتعامل مع بشرها" وهل سيصمد طويلاً" أسئلة كثيرة تجعله لا يستبين طريقه بين طرقات هذه المدينة الواسعة لا سيما عندما يصطدم الحلم بالواقع القاسي لهذه المدينة . حتى لكأنه لا يكاد يستبين مشرق المدينة من مغربها

" لا أعرف مشرق المدينة من مغربها الحقيقي.. لا أعرف طريقها في جنوبها... من أراد أن يصدق ذلك فليصدق، ومن لم يرد تصديق ما ورد له الحق الطبيعي أن يلصق بي ما يشاء من الصفات والنعوت [٢]".

مركز ايداع الرسائل الجامعية
مكتبة الجامعة الاردنية

إن اللحظة التي لا تمر فيها الإنسان بين مشرق المدينة التي يعيش فيها من مغربها أو تماطلها من جنوبها هي قمة لحظات التيه الذي يمكن أن يشعره الإنسان . وهذا التيه يجعل الإنسان يعيش حالة من الوحدة رغم صخب المدينة وضوضائها . لأنه فقد الإحساس بهذا الضجيج والصخب في المدينة وحل محله الإحساس بصخب خوفه وتصاعد صمت المدينة الروحي إذ طغت مادياتها على روحها مما أفقدها بعدها الإنساني الذي يشعر الإنسان بالأمان .

" وقعت على وجهي فما كان من القوم إلا أن ضجوا سروراً وفرحة وفرحاً مما حدث لي

---

(١) الموسم حزاوية . ص ٩

(٢) الموسم حزاوية . ص ٩

وتذكرت كيف أن القوم في تلك المدينة يطاردون المجنون ويثيرونه ويتواجدون فرحاً بسبابه وشتائمه [١]"

وهذا يؤكد أن كراهية المدن وعداوتها " ليست كراهية لحجارة المدينة وشوارعها وأبنيتها ولكن للحياة فيها ، التي تشكل الإنسان المدني بسلوكه وأخلاقياته ونظرته للحياة وللآخرين [٢]" فإنسان المدينة يهمش إنسانية الآخرين ، فلا مكان إلا للأقوى فيها مما يشعر الإنسان الضعيف بالضياع والخوف فلا يرى من المدينة إلا وجهاً مظلماً ومخيفاً:

" الظلام غيم فوق المدينة ، الليل خامد الأنفاس، كثيف طويل، في أدنى أزيز خافت لا ينقطع ... لم أدر مصدره ، كلب هائج أجوابه الطرق العامة ، عوى كلب من بعيد [٣]"

إنّ وصف أجواء المدينة تلك يثير في نفس الإنسان مكامن الخوف وهذا الخوف تؤكده شخصيه أخرى عانت في قرية الميناء وواجهت [illegible] حجراً حتى ظنت أن إعصاراً اقتص و اقتلع الأبنية وبعثرها حجراً فوق لا مبالاة المدينة [٤]" فهي لا تبالي بإنسانيته ولا تقيم لخوفه ومشاعره أدنى وزن لذلك تشعر فيها بالوحدة القاسية رغم صخبها وأضوائها الباهرة .وشدة ازدحامها .

إنّ جدلية العلاقة المتنافرة بين المدينة وإنسانها كان لها حضورها في القصة العربية القصيرة لأن هذه العلاقة المتنافرة أزلية مد نشوئها فعلى الرغم من احتوائها لهذا الإنسان وعيشه في

---

(١) الوردة من القصة السعودية الحديثة ، ص ٤٧

(٢) محمد أحمد الخطابي ، جماليات المكان ، ص ١٠٦

(٣) القصة ديوان العرب ، قسم القصة القصيرة ، ص ٤٧٠

(٤) مجموعة القصة القادمة من سوريا ، ص ٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحضانها إلا أنه يشعر فيها بالنوحش كما سبق وأوضحت ، وهذا بدوره يجعله يعيش حالة من التشظي حتى ليكاد لا يعرف نفسه فيها لأنها خلخلت كلّ مبادئه. وشككته في نفسه فلننظر إلى هذا الحوار الذي عقدته الشخصية مع ذاتها تأكيداً لحالة " التشظي عند إنسان المدينة :

" – ما الذي أتى بك إلى ها ؟"

" أتعنيني ؟"

" نعم ، أنت ..."

" جئت لأتنعش بحمام البخار ..."

" أقصد المدينة "

جميع الحقوق محفوظة
يطلق عليه الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" لا أعرف ... شيء

" لماذا لا تعرف ؟ في

" أنت مخبول ولا شك . كفى استخفافاً بالأرواح النبيلة ...ألا تراني ؟

" عفواً من أنت ؟"

" أنا ؟ أنا ؟ هو أنت "

" كلا شاد بيي وبينك ..."[1]

إن تشبيه المدينة بحمام البخار هو تأكيد على ضبابية الرؤية فيها وعدم وضوح نواميسها وقوانينها التي تحكم الإنسان ،فلا يستبين طرقه ، مما يشعره بتشظي ذاته وعدم انسجامها.

لقد جسّدت نماذج القصة القصيرة المدينة في بعدها القاسي فبدت كما لو أنها إنسان قاس. فكانت في أحد وجوهها ناكرة لإنسانها الذي تعب وشقي في سبيل تقدمها وتطورها

---

[1] الصورة شعر الحداثة ، د. علي عشري زايد ، ص ٢٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" للحياة ناموسها،للمدينة ناموسها، ولي همومي .... يخيل إلي أحياناً أنه لولا وجود ابنتي (وجدان)التي تتوسط إخوتها الذكور برهو الست المدلّلة لسئمت تكاليف الحياة ...حدث أن لفظتني المدينة إلى الشجرة مؤخراً[١]"

لقد لفظته المدينة بعد أن عاش فيها سنوات طوالا من عمره بعد أن هجر قريته وآثر المدينة عليها،وساهم في بنائها وتطورها فما وجد منها إلا النكران ، فعاد إلى مسقط رأسه يجتر أحزانه

ورغم قسوة المدينة على إنسانها إلا أنه يظل مشدوداً إليها فلا يستطيع التخلص من قبضتها وسحرها شيء ما يشده إليها ويجعله يتماهى فيها متحملاً قسوتها ونكرانها :

" إنه ينظر مشدوهاً عبر النافذة قادماً إلى المدينة الساحة بالأضواء الراقصة وقد استغرقه فضول طاغ وكأنما في مكابدته عناء الحياة، غلا المنظور وتعالى نحو يستحيل معه الخلاص من قبضتها[٢]"

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولعل الإنسان الفقير، والضعيف هو أكثر الناس إحساساً بقسوة المدينة التي يجد نفسه منبوذاً فيها حيث لا مكان له وكأنه كائن طرائي.فدر لحنتي المدينة قدارته ولعنه :

" مسكين الواحد منا – حدث أبو محمود نفسه – لا يقلق هؤلاء الناس الذين يغزون المدينة يومياً ويعيشون في أبنيتها الحديثة وشوارعها العريضة ...في مقاهيها وحاناتها ...ونحن عندما نريد استخدام طرقاتها لدقائق – بقصد المرور فقط – يودون تحطيم أعناقنا[٣]"

إنها المدينة موطن السحر والقسوة ، فهي مكان يمكن وصفه بأنه جاذب ، طارد في الآن نفسه لأنها مكان التناقضات ، والتشظي ، والبد

---

(١) الحياة من القصة القصيرة في الأردن ، ص ٢٥٥

(٢) في القصة في الأدب السعودي الحديث ، ص ٢٨٦

(٣) الحياة من القصة القصيرة في الأردن ، ص ١٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢-المدينة الحُلم والذكرى

المدينة مكان الحلم على الرغم من قسوتها فهي مكان جاذب بصخبها وأصواتها وفارها الدائم فلا ليل فيها ، ليلها نهار ونهارها نهار كذلك يهاجر إليها الإنسان حاملاً في جعبته الكثير من الأحلام باحثاً عن الفرص التي لا مكان يحققها إلا المدينة، طموحه ومكان تحقيق أحلامه ، ترتسم في مخيلته ، ويرسمها على الورق محاولاً التنفيس عما في قلبه من مشاعر الإحباط والألم .

" بنفس الصبح وينطلق الناس الى أعمالهم وأنطلق – أنا – إلى مقاومة هذا العذاب ، أتكئ على سيارتي لأذهب إلى العمل المكتبي ، هناك أجد بعض الراحة في عمل تصاميم مدينة لا تتكون إلا على الورق ، أحب الرسم وأكثر الأماكن طموحاً وطفولة من الفرح [١]".

إنّ المدينة التي لا تتكون إلا على الورق هي المدينة الحلم أو الوجه الآخر لها الذي يتسم بالإنسانية ، ويساعد الإنسان على تحقيق أحلامه .

والمدينة كما صورها بعض القصص العربية القصيرة تواجه ظاهرة الهجرة من الريف او البادية إليها لأنها مكان جاذب باعتقاد الكثيرين لما فيها من فرص متاحة للعمل و لتحسين مستوى المعيشة " فتصبح المدينة حلم الإنسان، ولسنا ندري إذا كان قد هاجر إليها مختاراً أم مدفوعاً بفعل عوامل الطرد والجذب والإغراء ، ولكن الذي نعرفه ونراه واقعاً أمام أعيننا هو أن أعداداً متزايدة من الناس في كل المجتمعات تتجه نحو المدينة [٢]".

إن جاذبية المدن تغري الإنسان القروي أو البدوي فتدفعه إلى هجر بيئته التي عاش ونشأ فيها ، ولعل عوامل الطرد قد توفرت في بيئته ، مما جعله يحسم صراعه الداخلي لصالح المدينة

---

[١] انظر ملحق من الاطروحة ، ص ٢٥٣

[٢] أ. د. فهيم حامد ، علم الاجتماع والادب ، ص ٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي يتوجه إليها ، باحثاً عن فرص جديدة للعمل لتحسين معيشته ، وتحقيق ذاته وهذا الجانب صوره القاص وعبر عنه تعبيراً عميقاً وصادقاً

" منذ متى جئت إلى المدينة ؟"

– منذ سنة لكن لقمة العيش تجر الإنسان من بلاد إلى بلاد ...

– ولماذا تركت البلاد ؟

– البلاد تركها صغار الملاك وتركوا أرضهم وراحوا يبحثون عن أعمال في المدن ..."[1]

لقد ترك مسقط رأسه بكل ذكرياته وحميميته وآثر الهجرة إلى المدينة للعمل وكسب لقمة العيش . فهذا يعني أن [redacted] (الطرد) بينما كانت المدينة هي الجاذبة له .

وبعد أن يتم قرار الهجرة إلى المدينة يبدأ الشوق إليها يتصاعد شيئاً فشيئاً، لكن الارتباط بمسقط الرأس يتصاعد هو الآخر فكل خطوة نحو المدينة تقابلها خطوة نحو مسقط الرأس .

" كان القطيع في رحلته المهلكة يتحرك عبر أسوار مدينة الحلم الزاهي ، وكانت مأساته أن كل قدم توجد خلفها أخرى وبدل أن تنفصل الثانية عن جاذبية تأخرها المؤلم لتجاوز الأولى كان العكس يحقق وجوده على الرغم من حرقة الشوق "[2].

ورغم تساوي الخطوات نحو المدينة ونحو مسقط الرأس إلا أن العلة دائماً تكون للمدينة وتبدأ عملية نسج الآمال ، والطموحات . فيشعر الإنسان المهاجر بفرحة ويتأمل بفجر جديد يبدد حلكة أيامه :

---

[1] الوان من القرية البسيطة المعاصرة ، ص ١٢٤

[2] قصة ديوان العرب ، قسم القصة القرن الثاني ، ص ٧٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" الفجر هنا رائع ...ترك قريته واتجه إلى المدينة ... وكان أمله أن يكون الفجر أكثر ضياءً[١]".

وعندما يهاجر إليها يواجه واقعها وقسوتها فيظن أنه يريد تركها لكن هيهات له أن يتخلص منها فقد أدمن صخبها وقسوتها :

" يجب أن تعود إذا وجدت في حياتك أحرة العودة . ولكنّ (سعد الدين) لم يكن يسمع ، كان يريد أن يبقى في المدينة الصاخبة، السائرة رغم كل شيء، يفتش، ويلف ، ويدور، ويبحث عن شيء ما [٢] "لقد اعتاد صخبها فعلى الرغم من تحطم أحلامه على أعتاب المدينة إلا أنه كان مصراً على أن فيها شيء ما لم يجده ولم يفقده وهذا الشيء هو المكان وراء جاذبية المدينة والتمسك بها .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولما كانت المدينة مرتع الأحلام فإن تحطم الأحلام هي مشاريع ذكريات سواء أكانت ذكريات حزينة أم مفرحة .مع أن ما تختزنه الذاكرة عن المدينة يتشح بالحزن فعلى قدر تحقيق الأحلام فيها تكون الإخفاقات والخسائر. وتتكدس الذكريات في فضاءات الذاكرة مما يحول المدينة إلى فضاء تذكري تلجأ إليه الشخصية هرباً من قسوتها وواقعها المؤلم حيث لا تجد الشخصية إلا احتقار الذكريات التي حملتها قبل مجيئها إلى هذه المدينة " هو يرى المدينة الضيقة لا يستحق أن ترى فكلها وحد واحد .. المكان موحش والساعة قد توقفت من زمان و إذا تلذذ فباستعادة ذكريات الحرب والموت في العائلة ومواسم (الحضرة)أو مناسبات تحليل الليمون وتقطير الزهر[٣]".

---

[١] القول من القصة السابقة ، ص ٢٦٥

[٢] الحوار من القصة السابقة ، ص ٢٦٢

[٣] لعبة الأشواك والحلم وقراءة في ذاكرة القصة العربية ، ص ٤٢

لقد توقف الزمان في لحظة إحساس الشخصية بقسوة المدينة فما وجدت غير مساحة التذكر هرباً من واقع المدينة الموحش وهنا نجد صراعاً بين المدينة /الواقع والحلم من جهة وسقط الرأس /الذكرى من جهة أخرى .ورغم انتصار الذكرى فإنها تبقى مجرد ذكرى يسقط منها على مدينته التي اختارها واعياً أو مجبراً . وعلى الرغم من هزائمه فيها ، فإنه لا يستطيع إلا البقاء والاستمرار :

" تقدم على مهل نحو الشاطئ حريصاً على ألا يقطع حبل أفكاره الكثيرة التي تذكره بحياة طويلة قضاها هناك بالجبل . وبصلاً كان يخرج منه دائماً قائلاً ...ولم يلحق به الطرقة إلا هناك بالمدينة منذ خمسة أعوام ، هرعة منذ لقيته ولعقدايه ولإنابه ومبادئه وتربيته[1]"

فلئن حقق الإنسان في المدينة كثيرة وإمكانية مقابل ذلك الكثير من ذاته ، وقد يتخلى فيها عن انتمائه ، ومبادئه التي اكتسبها في مسقط رأسه لذلك تتراحم الذكريات السابقة في ذهن هذا الإنسان المديني الطارئ .

وقد تكون المدينة في الغربة أقرب إلى النفس في المدينة في الوطن لارتباط الأولى بالذكريات الجميلة وارتباط الثانية بالواقع المؤلم القاسي الذي تعانيه الشخصية فتعيش على اجترار الذكريات.

" لم يكن يخرجها من حجرتها الحقيرة في حي بائس في المدينة سوى جوعها فتراها تطرق الأبواب على استحياء ...تساعد النساء...تتحدث قليلاً وتأكل لقمتها وتتذكر كم كان الجو دافئاً في مدريد [2]"

---

[1] قسطل جرار ، ص ١٥

[2] قصارات من القصة القصيرة في الأردن ، ص ٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمدينة هي المدينة أينما كانت لكن قربها أو بعدها من النفس إنما يتوقف على نوع الإحساس نحوها وما يرتبط بها من ذكريات مختزنة في ذاكرة إنسانها .

وعلى الرغم من ارتباط المدينة بالذكريات المؤلمة إلا أن القصة العربية وفي أمثلة قليلة جداً ربطت المدينة بذكريات جميلة مفرحة تقربها إلى النفس ليس ارتباطاً بالمدينة باعتبارها مكاناً ،وإنما لارتباطها بأرواح سكنتها أو ما زالت تسكنها .

" مدّ ببصره إلى المدينة البيضاء الجميلة وارتسمت ابتسامة على شفتيه فتقلصت التجاعيد شيئاً ما ، تقشعت سحابة الحزن التي تظل من عينيه ، عانق في شوق بيوت المدينة ومآذنها وقبابها وسورها ...عاد الصوت الشجي وأهنأ جميل الرياح فيدفعني إلى الأمام :

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأسأل الفلك عن أخبار كل من الجامعة الاردنية

هل من رسالة حب أستعين بها

على سفامي فقد تشفي الرسالات[١]

لقد كان للمدينة حيز من الذكريات الجميلة حتى إن وصفها بالبيضاء والجميلة يخفف قليلاً من صورتها القاسية التي ارتبطت بها .وما صراع الذكريات هذا الذي كانت المدينة ميدانه إلا تأكيدٌ على ارتباط الإنسان المديني بالقرية والصحراء لأنهما الجذر الذي تفرعت عنه المدينة .

---

[١] مجاري الصمت الكاتب نوري ، ص ١٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣-جدلية المدينة والصحراء :

إنّ ثالوث الأمكنة المفتوحة : المدينة والصحراء والبحر ، في الأدب العربي لا سيما في الرواية،وبشكل أقل في القصة ، لا تنفصل عناصره ، فنحن نجد تفاعلاً بين المدينة والصحراء من جهة وبين البحر والصحراء من جهة أخرى كما سنرى لاحقاً عند الحديث عن البحر .

وقد أظهرت القصة العربية القصيرة متانة العلاقة بين المدينة والصحراء ، هذه العلاقة التي اتسمت بالتناقر والضدية وكان الصحراء تحاكم المدينة على حطف أبنائها وتشبثهم في طرقاتها وعلى أرصفتها .

والمدينة شاحبة. تمعن في فسوقها وانحطاطها وتراجعها أمام الصحراء. وهذه العلاقة الجدلية بين المدينة والصحراء تجلت في صورة المدينة المكونة في ذهن العربي القاطن في عمق الصحراء. فقد يرسم لها صورة مالئة في الوقع وقد لا تمت إليه بصلة لكنه يربط بالمدينة ارتباطاً ذهنياً :" كانت المدينة آنذاك في اعتقاده تمثل الجن والخوف حيث الناس يسورون أنفسهم بحيطان حجرية ويتراصون تحت اسقف متماسكة ...ولقد فسر هو – عندما تناهى إلى علمه ما يفعله سكان المدن في الليالي المدلهمة والمقمرة على حد سواء – أن إيقادهم لتلك الأنوار إنما يتم على خوف متأصل فيتوسلون بها إلى ابتلاع تلك المخاوف[1] ".

هذه هي الصورة التي تبدو للمدينة في ذهن هذا القاطن للصحراء المتشرب لمبادئها وأخلاقياتها ، وهي صورة مهزوزة قبيحة .

---

[1] في القصة في الأدب السعودي الحديث ، ص ص ١٨١-١٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصورت بعض القصص العربية رحلة الصحراء والمدينة لأن الصورة المكـــون للمدينـــة في ذهن قاطن الصحراء تجعله يشعر بشيء من الفضول لمعرفتها ،والوقوف على حقيقتها فيغـــادر صحراءه متوجهاً إلى تلك المدينة الصورة بدافع الفضول وحب الاكتشاف .

" يتم شطر المدينة يدفعه فضول متشوق لخوض . وقد نسي تماماً الخيمة التي تربض كـــالأم في قلبه إلى خطوات منه، يجذبه نحو الأنوار احساس عجيب لا يقاوم كالذي يشد مؤشر البوصلـــة نحو القطب ولعله قرر أن يهرب إلى الأبد نحو الأضواء[١] "

لقد تحول الفضول إلى حلم والحلم إلى واقع إلا انه يطرح سؤالاً كبيراً . إلى متى ســـيصمد وهل قراره التخلي عن الخيمة والهروب نحو الأضواء والمدينة سيستمر طويلاً ؟ لعل في المثال التالي الاجابة

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" إنّ ضياعنا وسط [redacted] لقد اســـتطاع دفء الإنسان فيها إن يملأ أطرافها المترامية فخلقت مجداً من القيم[٢] "

نعم ، لقد قاوى قراره بعد أن عايش المدينة ، وعانى من قسوتها ،وشعر بالوحدة والتشـــتت فيها ، فعادت إليه صورة الصحراء جميلة ، فهي تحرم المدينة بقيمها وأخلاقياتها وحتى يبرر لنفســـه وللآخرين تراجعه عن قراره يحاول بكل ما أوتي أن يجد تفسيراً لذلك .

" وهكذا استقر عزمه – لعله بدافع العناد – أن يجوب هذه المدينة بحثاً عن مثالب يمكنه عـــن طريقها التدرع لمهاجمة من يمتدحون المدن أو أهلها من الخضر والرعاديد[٣] "

---

[١] من القصة في الأدب السعودي الحديث ، ص ٥٥

[٢] القصة في جزر العرب ، قسم القصة الكويتية ، ص ٢٦٩

[٣] من القصة في الأدب السعودي ، ص ١٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن عاد إلى نفسه وغادر المدينة ميمماً نحو صحرائه وجد قد تخلص من عقدة (المدينة) مؤمناً بقيمة صحرائه وقيمها محتقراً المدينة :

" هناك تطرق الحديث – بعد أن التف حوله كبار رجال القبيلة احتفاءً به حول مجلس القهوة– إلى التعامل مع " الحضر " أي سكان المدن ... كان هو في قرارة نفسه يحتقر كلّ ما يمت للمدينة بصلة [١]"

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[١] في الصحراء لا أدري : مصدر سابق : ص ١٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤-المدينة الرمز :

ومن أبرز جماليات المدينة من حيث هي مكان مفتوح ، ما تحمله في طياتها من أبعاد تتجاوز واقعها كمدينة حيث " تكتسب بعداً رمزياً عميقاً مما تحمله من إيحاءات لتعبر عن صورة المدينة العربية وارتباط الإنسان العربي بها "[١].

وهذه من أبرز وظائف الأدب ، أن تحمل الأشياء أبعد مما تحمله من دلالات ومعان . فكانت المدينة الرمز التي حفلت بأبعاد عميقة وجماليات عديدة .

لقد صورت القصة العربية القصيرة المدينة على أنها " الوطن " الذي يحمي أبناءه ويمنحهم الهوية ، حيث يواجهون رياح الخوف والحظر فكل خوفهم وقلقهم يحملون هذه المدينة المبعة فكانت الوطن (الأم) الذي يستشعرون قربه وحنانه.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" - قد يأتي النهر ليلاً والمدينة نائمة ونباح الأحلام لا يوقظها ذلك... لذا تخرج سيارات تحمل أبواقاً تعلن بصوت مرتفع عال بأن النهر قادم الليلة وعلى كلّ من يسكنون بجواره أن يبارحوا بيوتهم . فيختلط الفزع بحب الاستطلاع ويخرج الناس زرافات نحو المدينة العتيقة يحتمون بأسوارها "[٢] فالمدينة التي ترمز إلى الأصالة هي رمز (الوطن) الذي يحميهم من النهر القادم (العدو) وهذه المدينة عتيقة بأصالتها وتاريخها العظيم .

وهي الوطن الذي يواجه تيارات التغيير ومظاهر التحضر التي تهدد التراث والهوية فيهب للدفاع عن ذاته بالعودة إلى تاريخه العريق المليء بالانتصارات والإنجازات ، للنهل منه والتغني بأمجاد الماضي.

---

[١] إيهاب حسن . الاتجاه الزمني في الرواية الفلسطينية ، ج ١ ، ص ١٢٤

[٢] نجيب محفوظ . الكرنك ، ترجمة صبري حافظ ، ص ٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤-المدينة الرمز :

ومن أبرز جماليات المدينة من حيث هي مكان مفتوح ، ما تحمله في طياتها من أبعاد تتجاوز واقعها كمدينة حيث " تكتسب بعداً رمزياً عميقاً مما تحمله من إيحاءات لتعبر عن صورة المدينة العربية وارتباط الإنسان العربي بها [١]".

وهذه من أبرز وظائف الأدب ، أن تحمل الأشياء أبعد مما تحمله من دلالات ومعان . فكانت المدينة الرمز التي حفلت بأبعاد عميقة وجماليات عديدة

لقد صورت القصة العربية القصيرة المدينة على أنها " الوطن " الذي يحمي أبناءه ويمنحهم الهوية ، حيث يواجهون رياح الخوف والضياع ليكتشفوا ذاتهم ، ويكون هذه المدينة المبعة فكانت الوطن (الأم) الذي يستشعرون قربه وحمايته .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" – قد يأتي النهر ليلاً والمدينة نائمة وشاح الأحلام فلا يوقظها ذلك... لذا تخرج سيارات تحمل أبواقاً تعلن بصوت مرتفع عالٍ بأن النهر قادم الليلة وعلى كلّ من يسكنون بجواره أن يبارحوا بيوتهم . فيختلط الفزع بحب الاستطلاع ويخرج الناس زرافات نحو المدينة العتيقة يحتمون بأسوارها [٢]" فالمدينة التي ترمز إلى الأصالة هي رمز (الوطن) الذي يحميهم من النهر القادم (العدو) وهذه المدينة عتيقة بأصالتها وتاريخها العظيم .

وهي الوطن الذي يواجه تيارات التغير ومظاهر التحضر التي تهدد التراث والهوية فيهب للدفاع عن ذاته بالعودة إلى تاريخه العريق المليء بالانتصارات والإنجازات ، للتنهل منه والتغني بأمجاد الماضي

---

[١] مها حسن القصراوي ، المكان في الرواية الفلسطينية ، ص ٢٦٤

[٢] صبحي فرنسيس ، الخطاب الروائي ، ص ٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" مدينتنا حصينة ....بسورها المنيع الذي لا يستطيع النهر احتراقه . فهو أقوى من سدود مهندس المياه وعلمه . يحمي مدينتنا العتيقة من مياه النهر المتدفقة على الشوارع الحديثة خارج السور فنعم بالدفء ، ومهدهدنا أحبار الماضي الجيد وخدرنا كؤوس الشاي الصغيرة فسوداء شجاعة وتمرح في أعماقنا الفرحة بالخوف ..."[١]"فهي الوطن الذي يحمي هويته ووجود أبنائه بسور الماضي الذي يواجه مر التمدن الغربي الذي يخالف جوهر هذه المدينة العتيقة وتاريخها.

" تراكمت كتل سوداء من السحب الكثيفة فأظلم الأفق وضاعت شمس البهجة بين الكتل السوداء ...وحاصرت المدينة رياح محملة بأتربة صفراء فكان الجو العام خانقاً مريباً كئيب الوحشة في النفس ثم فجأة خالف السواد الأعلى مع الاصفرار الأرضي والغمر المطر حبات كبيرة وكثيفة وتوقف المطر فجأة وكان الارتياح عظيماً لأن هذا الجو هو المحيط بالنهاية "[٢].

إن هذا الوصف للمدينة والأجواء التي يلفها لم يكن إلا وظفت توظيفاً رمزياً يعني الوطن الذي يعاني من تحالف السواد الأعلى (الأعداء) مع الاصفرار الأرضي (المنافقين) أو (المتعاونين)وهذا البعد يمنح المدينة باعتبارها مكاناً مفتوحاً وجوداً مهماً جداً في القصة العربية القصيرة فهو بعد حي عميق بدلالاته ومعانيه .

وللمدينة في القصة الفلسطينية حضور متميز، فهي رمز الوطن المحتل الذي عانى الكثير من الاحتلال متألما عانى إنسانه ذلّ التهجير وقسوة البعد فكان الشوق زاد المهجرين :

" يا حاكم المدينة آتي لأزرع الأرض بالشوق ، والشوق مسامير تغرز في قلبي.جراحها لا تندمل وهنا رائحة الحبايب يا حواجا ، وهل غير رائحة الحبايب تطفئ الشوق "[٣]

---

[١] عبدالرحمن منيف الآن هنا شرق المتوسط ، ص ٢٠

[٢] القصة ديوان العرب ، قسم القصة العربية ، ص ٤٣

[٣] غسان كنفاني العودة الفلسطينية ، ص ٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمدينة رمز (الوطن) حاكمها محتل ليس من أبنائها ، وأبناؤها تدمي قلوبهم مسامير الشوق القسري ويعيش الوطن في قلوبهم ،يحملونه أينما حلوا وارتحلوا في عالم الشتات ،والوطن صامد ما زال وسيبقى :

" قلت للقدس ابتعدي قليلاً عن المكان...اخرجي من جلدك واهربي... اصرخ من بعيد وكنت بلا صوت... ضاع صوتي في ضجيج النحاس وصخب الأحذية الثقيلة لكنّ القدس ظلت واقفة في المكان ذاته و ابتعدت أنا "[1]القدس هي مدينة الحلم ،وطن الشتات،ورمز الصمود واجهت الظلم والقهر والتشريد لكنها ثابته ، شامخة .

والمدينة الفلسطينية رمز (الوطن) الذي يواجه الاحتلال ، فهي مدينة ليست معادية ولا قاسية بل صامدة ومجاهدة :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعية

" أمسك الفرشاة بدأت ...غمستها في اللون وبدأت أرسم بطء على السور ، لم يكن الخط أنيقاً. ولكنه كان واضحاً ومتماسكاً وثابتاً ...وكان السور يتلون في ظل المطر والمدينة الثائرة كلمات من نار " اضراب...اخرجوا للمعتقلين ...لا للاحتلال "[2] فالمدينة الثائرة هي الوطن المحتل الذي يعوض في ظلام الاحتلال ومع ذلك فلا يعدم اهله وسائل النضال والنضال.

وللمدينة في القصة الفلسطينية بُعد رمزي آخر فهي أرض اللجوء والشتات بعد مجيء الاحتلال جاء في إحدى القصص الفلسطينية:

" كنت ككل طفل صغير ، أعيش فرحة المدينة الجديدة ، ولم افقه شيئاً عن الحرب المزيفة

(١) إشراقة حنا القصة الفلسطينية ، ص ص ٢٤٨ ٢٤٩

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي كانت تجري فوق أرضنا وقرب مدينتنا ...حتى جمعتنا أمنا ذات مساء بعد أن طالت غيبة أولادها الكبار ، وقالت لنا بشجاعة نادرة :

– لقد سقطت اليوم الرملة واللد واصبح احدنا " لاجئ "[١]

وهكذا فإن المدينة في القصة الفلسطينية تعددت دلالاتها التي كانت كلها تصب في صمود الوطن المحتل ، ورفض أهله للاحتلال ، والثورة ضده

٥– المدينة الفكرة :

وظفت المدينة في نماذج من القصة العربية القصيرة ، للتعبير عن العديد من الأفكار السياسية والاجتماعية والثقافية متلما وظفت للتعبير الرمزي

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

فهي تعبر عن فكرة التفاوت الاجتماعي الذي يشعر فيه الإنسان الفقير بإنسانيته أو بوجوده ، حتى إن تقسم المدينة إلى مناطق شرقية وغربية ، وشمالية أو جنوبية هو تأكيد لهذه الفكرة الاجتماعية :"هذه الجموعات من العمال التي تواصل هجرتها اليومية كل صباح فتسبق الشمس يومياً نحو غرب المدينة اليافع والذي ينمو بسرعة " تثير الإعجاب"كما يقول المسؤولون والزوار الأجانب والعمال أنفسهم الذين يصنعون هذا النمو...وتعود هذه الجموعات إلى شرق المدينة مهدودة ...متعبة... بلا أمل تاركة الشمس تدفئ نصف المدينة الآخر ... يعودون لنصفها الذي لفه الظلام والفقر والكثرة [٢]

وما بين شرق المدينة وغربها هوة إنسانية عميقة ، فشرقها المهدود يبني غربها المتطور القاسي الذي يتحول إلى وحش ينقض على شرقها لتعريبه وتشريد ساكنيه الذين يتكاثرون بالكثرة

---

[١] اميل حبيبي الوقائع الغريبة ، ص ٣٣٨

[٢] عبدالله عبدالله القصة القصيرة في الأردن ، ص ص ١٥٥ – ١٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العددية مع القلة المادية على عكس عربها . وهذا بالضرورة ينعكس على طبيعة العلاقات الباردة التي تربط إنسان غرب المدينة بإنسان شرقها وهي علاقة مشوهة لا انسجام فيها وقد تحدثنا عن طبيعة هذه العلاقة عند الحديث عن المدينة المعادية

وعكست المدينة في بعض القصص العربية القصيرة فكرة التغير التي أصابت المجتمعات العربية التي تتجه نحو المعاصرة ومسايرة التطور " إذ ترتبط بالمدن ، داخلها أو بجانبها أو حولها أو قريباً منها، إفرازات المجتمع المدني إنها التحولات التي تكاد تكون ذات مرجعية واقعية ولكنها تنبئ بجوهر التغيرات "[١].

وكان لهذا التغير وجهان أحدهما الخلقي والآخر سلوكي وأما الوجه الإيجابي فيظهر في عملية التغير والتطور نحو الأفضل بصورة طبيعية ومرغوب فيها إذ تغير شكلي يرافقه تطور روحي وإنساني

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" انطلقت في طريقي... أمهد الطرق وأشق السبل المتعددة إلى كل ما هو خير وجميل... كنت أسير في شوارع المدينة التي لم تعد تعرف الغبار بخطوات ملؤها الثقة بما المخزون والإيمان الكامل بما سوف أحقق في قادم الأيام[٢]".

لقد تخلصت هذه المدينة من غبار التخلف والتأخر وأخذت تنعم بالإنجازات وفتحت طرق الخير لجميع أبنائها

أما الجانب السلبي لهذا التغير فهو تغير الشكل مع بقاء قبح الجوهر وتأخره إنسانياً.

---

(١) عبد الغني العطاري: جدلية المكان في ... ص ١٢٧، ١٢٨.

(٢) الموقد في القصة العربية، ص ١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" كما تسرع الشمس بالغرب من شرق المدينة ...هكذا (باص)المؤسسة يهرب بنا من غرب المدينة رغم أنّ المدينة منذ ازدادت سياراتها وهكذا فحاة – معروفة بأزمتها المرورية ...

يخاطب أبو محمود نفسه : لم يحمل (الباص)من غرب المدينة إلى شرقها سوى عمال فقط [١].

إنّ الزيادة المفاجئة في عدد السيارات في غرب المدينة تأكيد على أن التغير غير طبيعي وبالضرورة فإن القوة الإنسانية المرافقة له ستكون أيضاً غير طبيعية .

ومن الأفكار التي عبرت عنها المدينة باعتبارها مكاناً مفتوحا في القصة العربية القصيرة . فكرة التخاذل والانهزامية التي يعانيها الإنسان العربي الذي يعلم ألا يواجه واقعه أو حتى يحاول تغييره فيفضله على علاّته ويدفع في ذلك ثمناً .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" أناس حاولوا الهرب ...وفوجئوا بالخروس يقف ببوابة المدينة . فارتدوا خائبين ... ليلتها جاءهم بيان مقتضب

" من يغادر المدينة آنه لمدة ثمانين دقيقة كل ليلة ...فلم يفكر أحد – بعدئذ– بالهرب "[٢]

لقد أوقف الخوف تفكير أهل هذه المدينة فما وجدوا غير القبول بالأمر الواقع وهذه أم المصائب التي يعانيها الإنسان العربي على امتداد الوطن .

ولعلّ مما يميز المدينة إنسانها المنقف الذي يشعر بشظي ذاته بين ما يعتقد ويفكر وبين أفكار وبين ما تفرضه المدينة من نواميس وقوانين تخالف ما يعتقده ويفكر فيه لأنها تريد فرض فكرها ونواميسها . وكل من يخالفها فهو متمرد تحكم عليه بالحجر وإلا فالنفي :

" خرج إبراهيم يجوب شوارع المدينة ، داخلاً إدارة ، وخارجاً من أخرى ...عارضاً

---

(١) مقتطفات من القصة القصيرة في الأردن ، ص ص ١٤٦ ، ١٤٧

(٢) المصدر نفسه ، ص ص ٤٤ ، ١٤

قصيدته للنشر وكلما دخل إدارة خرج منها بعد هنيهة والخيبة تلوح على وجهه وكان جواب المحررين واحداً : آسف يا سيدي : صحيفتنا لا تشتغل هذا الفن [١] .

وتحمل المدن المقدسة في القصة العربية القصيرة فكرة هامة جداً تتمثل في فكرة الإصلاح والدعوة إلى التمسك بالدين وأخلاقياته ومبادئه حيث نجد تراجعاً عن هذه المبادئ وإخلالاً بها .

" عدل الكلّ عن إصلاحي .وتنكبوا جادة شرائعي ...وشتموني وألحقوا بذاتي كل نقص ورذيلة ،وأنا أنا مقر " مصباح الهدى " وقلبي " منوى الكتاب المشرف " انا "الحجاز [٢] .

فها هي الحجاز رمز كل مدينة مقدسة تشكو لنكب الناس لها وتدعو ليتحمل الجميع مسؤولية التمسك بالدين والدعوة إلى الإصلاح

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لقد تحولت المدينة إلى فكرة تعرفها وتعتقدها أو لا تعتقدها وهذه هي الوظيفة الأدبية المهمة لها لأن الأدب هو وعاء الفكر الذي تحمله وتقدمه للآخرين

لقد رأينا أن نتبع الحديث عن هذا المكان والمدينة بحديث عن مكان آخر يرتبط به وهو الشارع لأن المدينة تتميز عن القرية وعن أي مكان آخر بكثرة شوارعها المعبدة التي نجد فيها الإنسان متنفساً ووسيله للانتقال والعبور من مكان إلى آخر في المدينة المتسعة الممتدة

---

[١] في الصومعة في الأدب السعودي ص ٩٤ .

[٢] في الصومعة في الأدب السعودي ص ٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- الشارع :

إنه المكان الذي يُتعبُ ولا يتعب ، وهو المكان الذي يمتاز عن غيره من الأمكنـــة بـــالضيق الذي يعوّضه الامتداد،فهو مكان لا متناه، وفي امتداده هذا يكمن جوهره ، ومنه تنبثق جماليـات عديدة في الواقع المادي والواقع الفني .

والشارع من الأمكنة التي يعدها الكثيرون طارئة في حياتهم ، وظيفته الرئيسة تنحصر في أنـه وسيلة للانتقال من مكان إلى آخر ولو أخذنا بدلك لكان الشارع مكانـاً عـابراً لا يسـتحق التوقف عنده وإدراجه ضمن هذه الدراسة . ولكنه يُعد مكاناً هاماً لأنه هو المكان الذي يجمـع بين الأمكنة الأخرى فقد يصل بين مكان مغلق وآخر مغلق مثل البيت /المقهى ، وبـين مغلـق ومفتوح مثل البيت /المدينة ، ومكان مفتوح ومفتوح مثل المدينة /البحر وهكذا.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولقد لفت انتباهي احتلال الشارع مكاناً هاماً في القصة العربية القصيرة ، وتمثلـت فيه جماليات عديدة ، إذ أدى في القصص المدروسة وظائف مكانية عميقة .

من صوره البارزة في القصة العربية اعتباره مكاناً للترويح عن النفس ، حيث يخلو للكثيرين التنزه والتسكع في الشوارع :

" خرجت من القبو لأتنزه قليلاً في الشوارع ... كانت خالية تقريباً إلا من قامـات تعـبر بسرعة نحو منازلها (١)" لقد اختارت الشخصية التنزه في الشارع وسيلة للترويح عن النفـس . ولعل هذا يقودنا إلى وظيفة أخرى ترتبط بهذه الوظيفة تتمثل في تحـول الشـارع إلى مسـاحة مكانية للهروب وتفريغ مشاعر الحزن والقلق التي يشعر بها بطل القصة نتيجة لضغوط الحياة أو

(١) موسوعة القصة العربية في سوريا ، ص ٢٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قسوة الأمكنة الأخرى : " جرت إلى البوابة ...الى الشارع ...أصواتهم وحش يفترس كل أمنها وسلامها (١)، فلم تجد هذه الشخصية مكانا تفرغ حزنها وخوفها فيه إلا الشارع بعدما قسا عليها البيت فكان الشارع ملاذا لها تنفث فيه خوفها و قلقها .

وقد اختارة الشخصية لتنفث هزائمها الذاتية حيث تسير باحثة عن ذاتها التي بعثرتها الأمكنة الأخرى :

" لمست جراحي ،وأوجاعي المثابرة وقمطتها ثيابي حتى اعتدل تكويني...وقررت ان أجول في الشوارع و لا أعود حتى أتعب الحراس والشرطة صغيرا و وصراخا وسؤالا عن اسمي وبطاقتي ومن أين أنت ؟ وما مقصدك (٢)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إن حالة التيه التي كانت فيها الشخصية في رحلتها للبحث عن ذاتها كان الشارع ميدانها ومكانها الرئيس .

وهذه الوظائف تدفعنا للتساؤل لماذا الشارع دون غيره من الأمكنة تختاره الشخصيات في القصة وفي الواقع لممارسة هواية السير والتنزه ونفث الهموم والانكسارات؟ ولعل السبب يكمن في امتداد الشاعر الرأسي الذي يتيح للإنسان مساحة واسعة من الحرية والانطلاق وعدم التقيد بحدود مكانية مقارنة مع غيره من الأمكنة، فالبيت على سبيل المثال مهما كانت مساحته فلن تتجاوز بضع مئات امتدادا وعرضا كذلك بالإضافة إلى عدم توفر عوامل التوحش التي تتوفر في الصحراء مثل الحيوانات المتوحشة ، وانعدام الماء ، وقلة الطعام ...الخ لذلك نجد ان الشارع يوفر هذه الحرية شبه المطلقة للإنسان "اغتسلت وغيرت ثيابي وخرجت...وفي

---

(١) القصة ديوان الغرباء ، قصير القصة الشرقية ، ص ٢٤٤

(٢) الديوان ، القصة نفسها ، ص ٢٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشارع عاد الهدوء إلى نفسي وشعرت بأنني انطلق من سجن مغلق ...وأخذت أتجول في الشوارع وأنا على غير هدى [١]".

لقد أحست الشخصية هنا بالحرية التي يشعر بها سجين انطلق للتو من سجنه . وفي هذا السياق يعكس الشارع حالة الشتات وعدم الانسجام التي تعاني منها الشخصية . وهذا التبعثر لا يناسبه غير الشارع مكاناً" و إذا كنت أريد أن أعبر عن سخط فيفضل أن أعبر عنه لنفسي وأنا أمام المرآة ...ويحسن أن أتسامر مع ظلي حين أمشي في الشارع،أو مع رؤى وأحلام يقظة حين أجلس أو أستلقي [٢]".

لقد ارتبط الشارع بالحالة النفسية للشخصية التي يعاني عدم الانسجام والوحدة في كل الأمكنة . فهي هنا عندما تطوف في الشارع تحاول تخفيف النفس فتشعر بنوع من الخفيفة، أما الظل في عتمة الشارع فلا يمكن أن يكون تجسيداً للحقيقة أو صورة مقربة عنها فكان اختيار الشارع لمسامرة الظل أعمق تعبيراً عن الحالة النفسية للشخصية .

علاوة على أن الشارع هو المكان الذي يجسد الحقيقة الكبرى في حياة الإنسان من حيث هو مجرد عابر في هذه الحياة . وفكرة العبور تعني في وجه هام من وجوهها الموقت والعابر في حياة الإنسان لأن كل شيء في الشارع مؤقت وعابر لا استقرار فيه ولا دوام ولا سيما ما يحمله الشارع في حالات نادرة من الفرح الذي قد يشعره الإنسان : " قادها عبر الشارع الصاخب إلى الرصيف..ودت أن يمتد عرض الشارع إلى مالا نهاية ، ودت أن نسير هكذا في

---

(١) الوان من القصة اليمنية ، ص ٢٥

(٢) موسوعة القصة القصيرة في سورية ، ص ٢٤٢

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رخاوة ودون عناء مستسلمة كقط تمسد شعره يد حنون ...وتلاشى من حولها صخب الشارع بشكل مبهم حتى وصلت إلى الرصيف التالي "[1].

إنّ المسافة الفاصلة بين الرصيفين (الشارع) هيأت لهذه الفتاة الكفيفة فرصة للإحساس بالفرح العابر الذي تلاشى لحظة عبور الشارع والوصول إلى نهايته عرضاً (الرصيف). وهيهات لهذا العرض أن يمتد كما تمنت .

والشارع يختص الكثير من الذكريات التي تجرها الشخصيات عبر التأمل والامتداد في الذاكرة لا سيما ذكريات الطفولة حيث اللهو البريء والاستمتاع بأجمل لحظات الحياة وأعمق معاني الحرية :" كان الوداء بالنسبة لها شيئاً أثير من كل الأشياء الأخرى التي ينفرد بها دولابها الكبير . فلطالما أمضت الليالي [redacted] ذكرياتها التي أمضتها مع (فريد)في الشارع الخلفي الصغير... صغيراً تحيرت هنا وهناك "[2]. تحول الشارع الصغير إلى مرتع لذكريات الطفولة التي كانت عابرة لكنها مع الأيام صارت محور حياة الشخصية وشيئاً هاماً في واقعها الصعب .

وضمن هذه الوظائف الإيجابية للشارع التي عكستها القصة العربية القصيرة نجد الشارع يتفاعل مع الشخصية وكأنه ذات حية تفهم وتستوعب الحالة النفسية لها . حتى لكأنه يمتد أو يقصر تبعاً لهذه الحالة حزناً أو فرحاً: " سار في الشارع المضيء وفي ذهنه تموج الصور العابرة منتصف الساعة الواحدة. ضاع ضجيج السيارات في الفضاء، وبقي الشارع مقفراً وباردا

---

(١) في القصص العراقي المعاصر، ص ص ١٠٣-١٠٤.

(٢) في القصة في الأدب السعودي، ص ٢١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وطويلاً. لم يكن ينتظره احد في غرفته ولذلك كان يسير على مهل وسبابته تنقض عن السجارة القصيرة رماداً لم يتكون بعد [١]".

لقد تفاعل الشارع مع هذه الشخصية قاسد لأنه أحس بالوحدة التي تعيشها لأن لا أحد ينتظرها في البيت (الغرفة).

وقد يشارك الشارع الشخصية أفراحها ضمن هذه الوطيفة مثلما شاركها أحزانها سابقاً.

" رأيت نفسي بعد هذا اللقاء أمشي في الشارع وكأني أمشي فوق السحاب ... كأني تحررت من أثقال كنت أجرها في قدمي وأحملها فوق ظهري [٢]".

لقد عدا الشارع سحاباً تظلم فوق الشخصية احياناً وفرحاً . وهنا يمكننا القول بأن الشخصية كانت تسقط انفعالاتها الداخلية على الشارع فاتسم بسمات إنسانية جعلته يستوعب هذه الانفعالات ويتفاعل معها.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وعلى النقيض مما سبق يتحول الشارع إلى مساحة ملأى بالخوف ، والقلق، والقسوة التي تعانيها الشخصية إذ إنّ طبيعة الشارع ، وطبيعة العلاقات الإنسانية المقطوعة فيه ، تجعله يحمل في طياته الخوف والقلق لا سيما إذا كان الشارع مقفراً وباردا في ليلة شتائية ممتزجة بهموم ذاتية فكم سيكون هذا الشارع قاسياً عندما يساهم في تعميق حالة الخوف والحزن لدى السائر فيه

" لفحته رياح كانون القارسة الفية وأعاد إليه المطر المهمر بعض وعيه فتلفع بمعطفه الثقيل ومضى في الشارع المقفر محني الرأس...قرع رأسه ميزاب بيت هرم .اندلق الماء العكر

---

(١) أحمد المصري والأدب والمجتمع في قاعدة القصة العربية ، ص ١٢٨.

(٢) القصة ذراعاً العربية ، دار القصة الليبية ، ص ٥٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على وجهه... تسلل تحت معطفه مطفا ذرات الدفء في عنقه ... اندفع مسرعا إلى الأمـــام قرعه ميراب آخر تذكر عادل :

– أخي في الرضاع كسرت يده دون ان أدري – مطمور بالفقر ابن الـ... منذ وصولـــه إلى الشام يشترك في المظاهرات...ماذا سيقولون عـــني في القرية ؟أيـــن ســـاحتي وجـــهي ؟..امتزجت دموعه بماء المطر والميازيب لمح امه تقترب منـــه دون ان تخاطبـــه ...ناداهـــا بصمت:

–" يا ضـــاع حليبي فيك يا حـــيس [1]

لقد تحول هذا المثل الى لوحة [illegible] الشخصية .وبأمثالها،وارتدادهـــا عبر الذاكرة واضفت عليها حركة رياح كانون التي شعرنا مدى بردها معنى آخر من معـــاني القسوة . وقد شاركت الميازيب المنهمرة على رأس الشـــخصية في اكتمـــال تلـــك اللوحـــة التراجيدية التي كان الشارع خلفيتها الرئيسة السوداء ومكانها الملائم .

و" الشارع يبدو مع شخصياته أقل رحمة ،عاجزا عن أن يحدد شبكة صلاتها وعلائقها وكأنـــه لا يصلح إلا أن يعيشه المرء بصمت وصبر في الرواح والإياب. حيث لا شيء يتغير [2]" فطبيعـــة العلاقات بين شخصيات الشارع تتصف بالجمود والانعزالية وقد تكون الصلة الوحيـــدة هـــي المصالح التي يمكن أن تجمع هذه الشخصيات لذلك فالشارع من الأمكنة المفقرة انسانياً.

" كوني يقف منتصباً عند الشارة الضوئية ...بخيل واحمر ...يمد ذراعاً نحيلاً يحمل صحيفـــة وتحت إبطه يحمل رزماً من الصحف ...يساعده جـــده الخفيف في السقل ... بينمـــا رشـــاقته

(١) من موسوعة الأمثال الشعبية في سوريا ، ص ٢٠٠

(٢) حسن حجازي : شعرية المكان ، ص ٢٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطارلة محفوفة بالرعب والخوف من الحركة المجنونة للسيارات حولـــه ...يلامـــس بأصابعـــه المتسخة زجاج نوافذ السيارات الأنيقة اللامعة ومن ثم تمتد أياد بيضاء ، محمرة باردة ، معطـــرة تأخذ منه الصحيفة ...تجعله يحس بتعادل إنساني غامض حين تحدث الملامسة ... لكن الشـــارة الحمراء تقتلع كل شيء من جذوره "[١].

لقد جسّد هذا المثال حالة المفارقة الانسانية في طبيعة العلاقات بين شـــخصيات الشـــارع ، المفارقة التي تكمن في نقطة الالتقاء بين أصابع (كوني) المتسخة ونوافذ السيارات الأنيقة اللامعة من النظافة ، كذلك التقاء الأيادي البيضاء الحمراء المعطرة الباردة من الإنسانية بيـــد (كـــوني) الباردة بسبب الفقر والتسول بين الإشارات وتجسد فيه المفارقة التي عبرت عنـــها القصـــة في إحساس (كوني)بالتعادل الإنساني لحظة الملامسة فقط لا يرى تعادل هذا الذي مبدانه الشـــارع، وتقتلعه الإشارة الحمراء من جذوره "لحظة تعادل مزيف طارئ".

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويمثل الشارع باعتباره مكاناً مفتوحاً العديد من الأبعاد والظواهر الاجتماعية التي عـــبرت عنها القصة العربية القصيرة وجعلت الشارع ميداناً لها لأنه المكان الذي يختلط فيه الناس مـــن شتى المستويات الاجتماعية، الأمر الذي يرشحه مكاناً يتم فيه تفريغ نتائج المجتمع التي هـــي في معظمها نتائج أو مظاهر سلبية كما ورد في معظم القصص المدروسة

فالفقر كان له وجوده في هذا المكان ، إذ قـــد يعكـــس الشـــارع المســـتوى الاجتمـــاعي للشخصـــيات المارة به أو التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بـــه :" إن أبنـــاءه يخرجـــون إلى الشارع فيشهدون أبناء الحي يتقافزون ويتراكضون في حيوية ونشاط وهم يطاردون بعضـــهم بعضاً وراء كرة للقدم من خورت قديم ، فيشاركونهم المرح بأنظارهم مـــن مكـــان جلوســـهم

---

(١) عشرات من القصة القصيرة في الأردن ص ٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لدى الباب، إذ لم تعد أجسامهم تقوى على ما تقوى عليه أجسام أطفال في بيوتهم الكثير من الخيرات[1]"

لم يعد الشارع مجرد مكان للعبور أو للعب يمارس فيه الأطفال هواياتهم والعابهم.بل ادى وظيفة اجتماعية اذ عبر عن التفاوت الاجتماعي بين مرتاديه عبوراً او لهواً

بالإضافة إلى أنّ الشارع من الناحية الاجتماعية يعبر عن بعض أنماط التفكير الاجتماعي أو ما يمكن تسميته بالمعتقدات الاجتماعية :

" شباب العائلة وصباياها لم يعودوا بحاجة لإتمانك ونصائحك بألا يسيروا مجتمعين في شارع واحد حتى لا يصابوا "بالعين"،فجميعهم يعرفون تماماً خطورة ذلك "[2]".فقد حمل هذا المثال بعداً دينياً واجتماعياً يتمثل في حقيقة الحسد وورودة في القرآن الكريم وإضفاء الناس على هذا البعد الديني صبغة اجتماعية تتمثل في ان شكل سير ابناء العائلة وهم مجتمعون في الشارع هو السبب في حدوث الحسد .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويمثل الشارع كذلك بعض العادات والتقاليد الاجتماعية السلبية التي عبرت عنها القصة كازدحام سيارات الأعراس في الشارع ، وإغلاقه ، وسيرها بشكل متتابع مطلقة أبواقها غير مكترثة بالمارة الذين يعانون من الأصوات المرتفعة والغبار المتناثر هنا وهناك : " عمرت أرجاء الشارع أصوات السيارات التي انطلقت مسرعة تثير الغبار.وانتشرت أصوات النسوة(يهلهلن) ، ويزغردن..كان الأشخاص الذين يقعون داخل هذه السيارات يصفقون ويصنعون الفرح

---

(1) من العتمة في الأدب السعودي ، ص ١٦٥

(2) عبارات من القصة المقتبسة في الورقة ، ص ١٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيعلو الانفعال وجوههم[١]".

وعبر الشارع عن فكرة الرفض للواقع الاجتماعي في بعض البلاد العربية لا سيما ما يتعلق بإهمال المناطق الفقيرة في الأحياء العربية. وما يترتب على هذا الإهمال من مزيد من التراجع والتأخر ومزيد من التفكك والآفات الاجتماعية الأخرى فقد ورد في إحدى القصص السورية : " تحدث الأسود بالفصحى قائلاً : المعذرة ...جاء بي فايز إلى هذا العالم العجب .

– عرفتُ أهما تعارفا في الحمارة.. بقصد الأزقة الضيقة والعتمة في الشوارع ورائحة الفقراء .. البلدية لا تشعل المصابيح في أحرمة البؤس كي تزدهر الأحداث الدامية ..سرقات ..جرائم قتل ..اختلاط نتاسلي " لقد وجميع الحقوق قياداخرومة لمكتبة الجامعة الأردنية لوقوعها في أحياء فقيرة . فإن الجهات المسؤولة عن التطوير والتحديث . كالبلديات لا تقيم لها بل ولسهم في تفاقم السلبيات الاجتماعية المنتشرة فيها" وهذا ما يؤكده مثال آخر ورد في إحدى القصص السودانية " أبواق السيارات تندفق فوق الشارع والمطر ، سيارات وزحام لأول مرة تدرك أن هذا الشارع القديم لم تمسه يد إصلاح ويبدو أن الأشياء لا تعمر كما ينبغي "[٢].

إنّ عدم اهتمام الجهات المسؤولة بالإصلاح والتغيير في الشوارع هو دليل على تراجع مستوى الخدمات في بعض البلاد العربية لاسيما إذا عرفنا أن الاهتمام بتطوير الشوارع ونظافتها من أهم مظاهر التحضر في البلاد الأجنبية .

---

(١) في المصير العربي المعاصر ص ١٣٠.

(٢) دوسه ها الفقه والقديم في سورية ص ١٧٠

(٣) [illegible] ص ٤٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جحيم ونار على المحتلين . ومساحة إحساس بالحرية والكرامة لأهل الوطن المحتل فقـــد ورد في إحدى القصص الفلسطينية كما في غيرها الكثير .

" ربما بدت الشوارع الخالية كأنما هي لمدينة أشباح ولكن (أبو هاشم) كان يعرف أنها ستكون بلدة شياطين في اليوم التالي ، حين تخرج الجموع الغضبى في جنازة الشـــابين اللذيـــن ســـقطا صريعين مساء ذلك اليوم برصاص المستوطنين ، وكان يأمل في سره أن يشتد المطر والبرد عـــلّ ذلك يخفف أو يرجئ الصدام المنتظر "[١].

لقد كان هدوء الشارع الفلسطيني مليئاً بالرعب لهذا الجندي الإسرائيلي الـــذي تشـــكل الشوارع الفلسطينية في حينه صورة للجحيم الذي يتمناه لهم بإلقاء حجارتها يوماً بعد يوم .

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

مما سبق نتبين أن الشارع باعتباره مكاناً مفتوحاً أعطى هويته من حيث كونه همزة وصل بـــين الأمكنة المختلفة جعله يتحمل تفاعل الأمكنة المختلفة ، فضلاً عن أنه يمثل مساحة مكانيـــة متميزة جمالياً وفنياً في القصة العربية القصيرة .

---

[١] انظر لوحة الصمة الفلسطينية ، ص ٢١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج- الصَحراء :

ورد في لسان العرب أنّ" الصَحراء من الأرض: المستويةُ في لـــين وغلـــظ دون القـــف ، وقيل : هي الفضاء الواسع . وراد ابن سيدة لا نبات فيه ...وقال ابن شميل . الصَحراء مـــن الأرض مثل ظهر الدابة الأجرد ليس فيها شجر ولا إكام ولا جبال ملساء ...وأصحر المكـــان اي اتسع[١]".

ومفهوم الصحراء جغرافياً لا يبتعد عن هذا التعريف اللغوي لها ، فهي امتدادات واسعة مـــن الأرض ، ملأى بالكثبان الرملية ، وجوها حار جداً ، تعاني انعدام الماء،وندرة النبـــات وهـــذه السمات وغيرها تميز هذا المكان عن غيره فهو الأكثر انفتاحاً ، إذ إنّ الانفتاح فيـــه لا متـــناه وغير محدود

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ونظرة خاطفة إلى خارطة الوطن العربي توحي بامتداد الصحراء الشاسع واحتلالها الجـــزء الأكبر من مساحة هذا الوطن حتى ان المناطق التي تخرج عـــن نطـــاق الصحـــراء لا تتجـــاوز مساحتها خمس عشرة بالمئة . وهذا بدوه يؤثر تأثيراً مباشراً وعميقاً في طبيعة التكويـــن الثقـــافي والاجتماعي للإنســـان العربي حيث الصحراء بفرض مفاهيمها وقوانينها ، كيف لا والصحـــراء معادلة لمفهوم الحياة بالنـــسبة للعربي ، فيها عاش ، ومنها استمد سماته التي ميزته عن غـــيره مـــن أبناء المناطق الأخرى ، وراد تأثيرها بعد نزول الوحي فيها على النبي محمد – صلـــى الله عليـــه وسلم – لذلك شكلت الصحراء بعداً معتقدياً وثقافياً و مخزوناً حسياً للإنـــسان العربي فـــساهمت في تشكيل حياته وتحديد معالمها .

---

[١] ابن منظور . لسان العرب ، مادة صحر ، ج ٤ ، ص ٢٤٠

" ولم تكن الصحراء لسكانها بيئة حياتية فقط ، بل كانت أيضاً بيئة ذهنية وفنية ، ولئن عرفت بضيق مواردها . فقد غذّت أحيالاً متعاقبة من البدو ولا تزال تغذيهم حتى أيامنا، يعطشون معها ، ويعيّدون في عيدها ويسعدون بانتعاشها وهي كذلك على رتابتها ، قد أمدت الشعراء المصورين بالعديد من اللوحات وبالحمل النفس من المعاني،وبالمعين الثر من الموضوعات[١]"

ولما كانت الصحراء ملهمة الشعراء في العصور السابقة وعلى الرغم من أنها تشكل " أحد أبرز معالم الذاكرة العربية ، ومع أنها أيضاً تشكّل جزءاً كبيراً من الأرض العربية ، إلا أنها بدت أقرب إلى الغائبة عن أ[illegible] في الشهرات الأخيرة قبل أن يعيد إليها بعض كُتّابنا الكبار الاعتبار، وهم يدركون أنها جزء مهم من الذاكرة العربية التي تتعرض لمحاولات الطمس والتشويه والمحو[٢]"

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد استغلت السمات الجمالية الجغرافية للصحراء ووظفت توظيفاً فنياً في الأدب العربي لأنها " مصدر لجماليات نادرة ، إذ تستأثر الصحارى بمعظم الجماليات المتعلقة بالرحابة المشهدية ، وجماليات شروق الشمس وغروبها . والتدفق الضوئي، والقدرة على ملاحقة مراحله وتفاصيله بدقة كبيرة وتناغم ذلك مع التكوينات التضاريسية ، والأجرام السماوية ، وجميع ما تضمه السماء العميقة البعيدة [٣]"

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الجماليات المادية للصحراء من حيث هي مكان مفتوح لها أثرها في تعميق جمالياتها المكانية الصبة في القصة العربية القصيرة التي هي في رأيي لا تختلف عنها في الرواية إلا في اتساع المساحة المادية والذهنية المتاحة لها في الرواية حيث الصحراء تحتل حيزاً كبيراً من مساحة الرواية بل إن بعض الروايات يتخذ المكان الصحراوي مكاناً رئيساً تدور فيه أو حوله أحداثها و تكتسب فيه دلالاتها العميقة كرواية رجال في الشمس لغسان كنفاني ، بينما في القصة العربية القصيرة كانت الصحراء – إذا جاز التعبير – مكاناً عابراً ولكن على الرغم من ذلك فقد غنى هذا المكان بجماليات عميقة .

لقد " كان تحريك المكان الصحراوي من أبرز المهام التي واجهها وأكثرها جدوى لإخراجه من سلبيته المعتادة ومنحه مقادير [redacted] لصنع الجمال الفني : " وهذا التحريك للمكان الصحراوي كان يقصد زيادة محمولاته الدلالية عبر استقصاء النصوص وتذوقها من الداخل واستنطاقها بجماليات مكانية عميقة .

ومن أهم جماليات المكان الصحراوي طرحة لجدلية الفراغ والاتساع إذ إنّ امتداد الصحراء واتساعها أشاعا إحساس الرهبة والخوف وهذا الإحساس ناتج عن اكتناط الصحراء بالعديد من عوامل الخوف فهي مكان معاد لما فيه من كائنات متوحشة . بالإضافة إلى مناخها المتسم بالقيظ وقلة الماء والغذاء ، عدا عن ارتباطها بالمجهول :

" بدت الصحراء شاسعة مظلمة تشبه غابة من الجماجيل ...هذا هو الصباح الأول إذ كانت نظرته المتوجسة تستكشف المكان– المكان صحراء مفتوحة على السماء[٢]"

---

[٢٠] صلاح صالح ، رواية الغربة في الصحراء ، ص ١٠

[٢١] عبدالله خليفة ، الأعمال ، ص ٢٢٨

إنّ هذا الاتساع للصحراء يثير إحساس الخوف والتوجس من المجهول بالإضافة إلى أنه يترتب عليه إحساس آخر يتمثل في إحساس التيه والضياع " فبسبب الاتساع الهائل ، ورتابة المشاهد ،وتأثيرات القيظ والسراب، وانعدام نقاط الاسترشاد والاهتداء ، يصبح الطرف مماثلاً للضياع ، والضياع لا يشترط أن يكون فردياً، وإنما يمكن أن يكون ضياعاً جماعياً"[١]. وليس شرطاً أن يكون ضياعاً مادياً حقيقياً ، وإنما يمكن أن يكون ضياعاً معنوياً وهذا هو البعد الجمالي الحقيقي للتيه الذي تعنيه الصحراء في القصة العربية القصيرة.

وامتداد الصحراء حتى لكأنها تتصل بالسماء على امتداد البصر يشعر الإنسان بتقزمه وتلاشيه بين كثبانها الرملية ، أينما امتد فالمكان صحراء بلقع لا يستطيع أن يتقدم فيها أو يتأخر ، وبدأت الوقت لا يستطيع الصمود ومن هنا تتحرك في نفسه مشاعر عدائية نحو هذا المكان :

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" انكمش على نفسه...إن تقدم مات وإن عاد مات وإن بقي مكانه دون حراك فإنّ جسده سيجف من الجوع والعطش "[٢]. إن الصحراء لا تعرف الحلول الوسطى إما الموت ، وإما الموت ،كما دار في حلد هذه الشخصية.

إنّ استثمار عناصر الحركة واللون في وصف الصحراء أضفى عليها أبعاداً جمالية عمقت الإحساس المعادي نحوها إذ إن الحركة الدائبة للكثبان الرملية ذات اللون الأصفر تعكس عدم الاستقرار النفسي الذي تعيشه الشخصية وقد توحي بما هو أشمل وأوسع ، فقد تعني حالة عدم الاستقرار التي يعانيها الإنسان العربي الذي تتنازعه تيارات عدة لإثبات وجوده وتحدي واقعه.

---

[١] الواحي صالح : الرواية العربية والصحراء ص ٢٥

[٢] عبارات من قصة القصبة في الأردن ، ص ١١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" الفراغ حوله مجرد فضاء أسود فالابل نفرت باكراً إلى قلب الصحراء لا عواء ذئاب ولا وأواة كلاب... تحته حيات رمل تتحول عند هبوب الريح إلى مطر رملي أصفر وفوقه سماء عابقة بالغيوم ، بعد يوم عاصف ماطر"[١].

إن توظيف الألوان لا سيما اللونان الأسود والأصفر يوحيان بعدم الاستقرار والخوف بالإضافة إلى حركة رمل الصحراء الذي يعبر عن تأرجح الحياة وعدم اتزانها فلا ثبات في الصحراء .

وتطرح أيضاً جدلية الصحراء والآخر، الصحراء التي تعني الأصالة ، والتاريخ ، والوجود ، في صراعها مع الآخر الغريب الذي يحاول تشويه صورة الصحراء التي تسكنه الصحراء عبر امتدادها في ذاكرته الجمعية حالة من الصراع بينها وبين كل واحد من محاولات لطمس هويته وتشويهها: " تحب أن تعرف كيف تحافظ على قارورة عطرك.. تتساءل تصعلك تشدك أناقة الاستهلاك الفارغة ، تشتهي أن تكون مرتدياً للسيدات أو مصمماً للأبسطة الضيقة ، لكن حيث تقف على كثب رمل وترى الصحراء التي تكره الضيق تحدك من أطرافها ... تفرض عليك أن تكون هاب ريح أو أخا أشم"[٢]. وهكذا فإن اتساع الصحراء هنا لم يكن اتساع خوف ورعب بل كان يعني الأصالة والتاريخ العريق والتمسك بالهوية ورفض الآخر .

وعلى الرغم من اتساع الصحراء واندراجها ضمن الأمكنة المفتوحة إلا أنها قد توحي بالانغلاق بسبب طبيعتها المنعزلة عن غيرها من الأماكن ، وهذه العزلة أو هذا الانغلاق يتمثل

---

[١] الكرمي ، سميحة الخليل ، الرواية النسوية ، ص ١٠٩

[٢] الكرمي ، الإشارات ، ص ١٠٩

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية - مركز إيداع رسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في تصوير الإحساس بالضيق ، فالصحراء تمتاز بمكانها المتعدد فهي تجمع بين الاتساع والضيق(الانغلاق). الاتساع الحقيقي والإحساس بالانغلاق المعنوي حيث يشعر الانسان بالضيق وتقييد حريته في هذا المكان الممتد :" انسحبت خيوط الشمس وراء المغيب... كان ليلاً عظيم الظلام ...أطبق عليّ وانتزعني من بين أطفالي ...انتزعني بعيدا والقى بي في صحراء يقع سدّ عليّ المنافذ من كلّ الجهات وشدّ على خناقي[١]".

فالصحراء مرادفة لمفهوم السجن الذي يشعر فيه الإنسان بالضيق ، والمفارقة تكمن في اتساع الصحراء وضيقها في الآن نفسه .

ومن جماليات المكان الصحراوي ثنائية الكثافة والشفافية . فالصحراء تجمع بين كثافة الرمال والصخور التي تمثل الصورة المادية المحيطة بالإنسان وبين شفافية الألوان ، والضوء ، وهما البعدان النفسيان العميقان لهذا المكان . وبالتالي تعكس طبيعة الإنسان المرتبط بهذا المكان كما تصور واقعه الذي يعيشه .

" نظر مفيد حوله متفحصاً المنطقة المحيطة به... كانت شاذة تماماً تختلف عن كل المناطق التي عرفها في حياته ...فسيحة ، لا يحد البصر مداها ، حمراء مطوقة بسلاسل من الجبال المنخفضة التي كانت تبدو من خلف ستار من ضباب أبيض شفاف،مبعثه الأنفاس المتطلقة بفعل القيظ والحر، والأرض وعرة ، يكاد لا يخلو جزء منها من صخرة بارزة [٢]".

إنّ هذه الصحراء تجمع بين عناصر الكثافة كالصخور والجبال ، وبين عناصر الشفافية

---

[١] انظر: حارث من القصة القصيرة في الأردن ، ص ٨٦

[٢] انظر: حارث من القصة القصيرة في الأردن ، ص ٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالضباب الأبيض والأبخرة السرابية المطلقة بفعل الحرّ الشديد ، فلا بداية واضحة لهذه الصحراء ، ولا نهاية كذلك .

وثمة ثنائية الانطلاق (الوضوح) والغموض إذ إن اتساع الصحراء يوحي بالانطلاق والوضوح إلا أن انعزالها وتوفر عناصر الخوف من المجهول يربطها دائماً بالغموض والأسرار.

" بالرغم من ذلك الغموض الموحش كانت الصّحراء مفتوحة على المدى البعيد لا تحدها جهات ...متوحدة مع حرارة الشمس اللاهبة ... كانت تلك الوجوه المتعبة تترقب الوصول بصبر نافد[١] "

وهذه الثنائية لها انعكاسها على الإنسان الذي يسعى دائماً لفك طلاسم الصحراء واكتشاف مجاهيلها لتحاصر[illegible] وتوحد هذه الثنائية هذا العربي الذي ما وجد وصفاً لمهرته أدق من تشبيهها بالصحراء ، وكان في وصف الأعراب الصغيرة بكلام حلس هو إلى الشعر أقرب ...وكان يقول : إن فيها من الصحراء انطلاقها وغموضها ومن السماء طولها ومهابتها [٢]". لقد شبه هذه المهرة بالصحراء في انطلاقها وغموضها أيضاً

وحملت الصحراء مدلولات رمزية فقد كانت الوطن بمفهومه الواسع حين يعبّر عن آمال وطموحات أبنائه الذين يحلمون بالتغيير نحو الأفضل وطموحاتهم :

" آمال المستقبل كانت ...تلك الصحراء الفاحلة التي كانت الأم تراها وقد تحولت إلى حقول ووديان وأكواخ محاطة بحدائق يانعة ...يسكنها مجموعة من البشر الصالحين [٣]"لقد

---

[١] مختارات من الإذاعات ، ص ١٢٠

[٢] مختارات من القصة القصيرة في الأردن ، ص ١٤٢

[٣] الوان من الشعب السنة ، ص ٢٠٣

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبرت الصحراء عن فكرة الإصلاح والتغيير نحو الأفضل وهي الصورة التي يطمح الإنسان العربي إلى تحقيقها .

وكانت الصحراء بالنسبة للإنسان الفلسطيني رمز الوطن المحتل الذي تعيث فيه الوحوش فسادا وتخريبا وتشريدا لأبنائه :

" وإذا انبثق عواء حيوان صحراوي جائع من مكان ما في الصحراء ...تضاعفت الرعشة في جسده فجعل يتحسس حديد بندقية الصواري خلف ظهره ...كانت الصحراء خلاء موحشا ، شاسعا لا نهاية له . تضرب الريح جنباتها بفوضوية وشراسة . شعر حامد الذيب بشيء ما حاد يهطل في داخل صدره ، وراح قلبه يخفق بشدة ، فما جعل هتاف حار يندفع من أعماقه [١]" فالصحراء كانت الوطن الذي عجزت كل الوحوش الجائعة (اليهود) والريح الشرسة التي تمثلت هذه الوحوش في السطوم الحرب (دول الغرب) وحامد الذيب هو رمز الفلسطيني الصامد الذي يواجه هذه الوحوش ولم تستطع الريح اقتلاعه .

الصحراء في القصة الفلسطينية القصيرة رمز للمنفى ، فهي تحمل في طياتها صورة التهجير وعذابات الرحيل القسري الذي عاناه الفلسطيني قبل الرحلة إلى المنفى وفي أثنائها ، وما عاناه أيضا في بلاد الشتات والنفي : " كانت طريق المنفى تمر عبر هذه الصحراء ...غير أنها كانت طويلة مرعبة [٢]".

---

[١] استولوا على الحصة الفلسطينية ، ص ٢٠٠

[٢] البئر ، مصدر سابق ، ص ٢٧

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" وسط الصحراء توقف حامد الذيب، وكان الليل قد هبط رمادياً، شاحباً كئيباً يغلف الصحراء . وكانت ريح الصحراء الليلية الباردة قد أحدثت هبّ في عنف تمسح عري الأرض وتحمل الغبار لتلقيه في الفضاء المعتم "[1].(حامد) رمز الفلسطيني المهجّر، والصحراء (تيه وغربة المنفى)أما الليل فهو (المحتل) وعري الأرض (ريفها)المتمثل في حدلان العرب للإنسان الفلسطيني وخيانة الغرب له .

وللصحراء في الخليج العربي حضور خاص ، وهذه الخصوصية ارتبطت بتفجر النفط في قلب هذه الصحراء في مطلع القرن العشرين ، وما ترتب على هذه الثروة من تحولات اقتصادية واجتماعية ، وتغير في أنماط الحياة ، وطبيعة العلاقات التي أحدثت تغيراً في نفسها . فقد " غير النفط أنماط الحياة الاجتماعية وقلب العلاقات بين الناس رأساً على عقب، وبدأت العلاقات القبلية تتفكك ولو ببطء، وصار كثير من القيم القديمة يتوارى لتحل محله قيم جديدة . وبدأت تظهر في المجتمع العربي الخليجي، شرائح اجتماعية، وطبقات لا تصنف على أساس النسب ، وإنما على أساس اقتصادي ومهني "[2].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولعل من أبرز التحولات الاقتصادية اعتماد الناس في الخليج اعتمادا مباشرا على العمل في المجالات التي أتاحها استخراج النفط بعد أن كانت الحياة تعتمد على البحر، والعمل في الصيد ، والغوص على اللؤلؤ ،وصناعة السفن ، وبناء على ذلك أحدثت الصحراء تشكل مكاناً سحرياً متشبعاً بأحلام الفقراء الذهبية .

---

[1] إعلام وحيا الخصاونة، مرجع سابق، ص ١٩.

[2] عبد الحميد القاسمي ، مرجع سابق، ص ٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" غام عمران وهام ثم جلجل.. استدار بشكل سريع وبعد أن استرد أنفاسه غمغم : أنا اشتغلت ، وعدولي بعد أسبوع هناك في الصحراء أحرس البترول ...هكذا باغتها دون مقدمات وما إن استكمل حديثه حتى استدار عائداً"[١].

ولم يقتصر الأمر على الإنسان الخليجي فقد عكست القصة صوراً عن التركيبة الطارئة للمجتمع الخليجي الذي أصبح يتألف من نسيج غير متجانس يضم أعراقاً مختلفة من شتى بقاع العالم .

" غداً سيتم توزيعكم على مواقع العمل... زعق الموظف مخاطباً الجمع غير المتجانس . قالها بعدة لغات بعد أن استطلع تلك الوجوه اليائسة ، وكان الظلام قد حل في تلك الأرجاء من الصحراء الواسعة ، وعرش الأكتئاب ، أو كآبة الغربة ، قد بدأت تضع أولى لبناتها كونية عرشت على المكان حاجبة الرؤية ...استقى عمران على ظهره ، وكان نحيف المزاج ، ودخل في فضاء رمادي مختوم بالهواجس "[٢].

لقد تشبعت الصحراء الخليجية بأحلام هؤلاء المهاجرين الذين تشبعوا هم بهواجسهم اللامتناهية عبر امتداد الصحراء الملتهبة بالنفط وبالموت والخوف معاً " على جزء من السماء صحراء بترولية مفتوحة على النار.. كان صليل النار يقرعه ويدخله في متاهة من الخوف والهواجس وكان الخوف قد بدأ ينجدد في جسده "[٣].

لقد جمعت الصحراء الخليجية ثنائية الحياة والموت / الحلم والهاجس فاستحقت الخصوصية والتميز بين الصحارى العربية .

---

[١] نجاة عبد الله من الإمارات ، ص ١٢٩.

[٢] المصدر نفسه ، ص ١٢٠.

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٢١.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي نماذج قليلة جداً وجدنا ما يمكن تسميه بأسطرة المكان الصحراوي لا سيما ارتباطه بالجن والشياطين مما يعكس جانباً من جوانب العقلية العربية التي ربطت بين الاتساع اللامتناهي والفراغ الموحش للصحراء ، وبين العوالم الأخرى المتمثلة بالجن ، والشياطين وبعض الكائنات الأسطورية الخيالية ، مما يضفي على الصحراء عمقاً خيالياً مثيراً.

" والده أكد لأبناء القرية بأنه حاربت الجن في نومه ويقظته ...قروفهم معقوفة وحادة . الشيخ لم يكذب في هذه المرة ...هذا صحيح . لا ريب أنه سيصادفهم في هذه الصحراء الموحشة . ماذا سيفعل ؟ أين يهرب؟ لا لا يمكن أن تقتله الجن... أبوه حاربها وليس هو ...اذهبوا إليه "[1].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إن ارتباط الصحراء بالجن والشياطين [illegible] من جوانب العقلية العربية التي تؤمن بالعوالم الأخرى التي تتجاوز الإنسان العادي وهذا يستند على أهم القواعد التي رسخها الإسلام الحنيف فهي ليست ضرباً من الخيال أو الخرافات بل حقيقة ثابتة لا شك فيها .

مما سبق يمكن القول بأن الصحراء عالم مؤثر بالحركة والصخب المنبعث من صمتها المطبق ، واتساعها اللامحدود كما صورتها القصة العربية القصيرة ، فهي نقطة التقاء السماء بالأرض ، ومكان الإنسان الأول ومستقره الأخير .

---

[1] ك "الصمت العراقي المعاصر" ص ١١٨

د- البحر.

يشترك البحر مع الصحراء في الامتداد ، والاتساع اللامتناهي على امتداد البصر ،ويباقصها في كونه امتداداً مائياً "ورغم استئثار البحر بالمساحة العظمى من سطح الكرة الأرضية، فإن وجوده المائي جعله أكثر ابتعاداً عن احتضان الوجود البشري والاسهام فيه ، على خلاف الصحراء التي تشكل امتداداً طبيعياً لأماكن العيش ، إضافة إلى صلاحيتها الخاصة والنسبية لذلك "[1].

وهنا نكمن نقطة الافتراق بين الصحراء والبحر . فالصحراء لامتدادها اليابس تمنح الانسان القاعدة الثابتة لممارسة نشاطاته ، واقامة مدنه وأسباب بقائه ، بينما البحر لا يمكنه ان يوفر مثل هذه القاعدة ، لذلك كانت علاقة الإنسان بالبحر دونما الإنسان العربي الذي ارتبط وجوده بالصحراء- علاقة ذهنية حتى أولئك المتعاملين معه كالتجارة ، والغواصين ، فهم يتعاملون مع سطحه المائي أو أعماق بسيطة منه لكن أذهانهم دائمة الارتباط بأعماقه الصخرية التي يكمن فيها رزقهم ، وأسباب وجودهم .

ولما كانت القصة العربية القصيرة زاخرة بالأمكنة المغلقة والمفتوحة على حد سواء . فإنها لم تهمل هذا الحيز المكاني المائي الذي كان له نصيب ، وإن لم يكن كبيراً ، من مساحة القصة العربية ، إلا انه ، وعلى قلة شواهده ، يتمتع بجماليات عميقة جسّدتها القصة القصيرة ،وجعلتنا نردد مع (عبد الرحمن منيف)في روايته (مدن الملح – بادية الظلمات)وعلى لسان إحدى

---

[1] السعافين ، صالح : الرواية العربية والصحراء ، ص ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شخصياتها (هاملتون): " البحر .يا صاحب السمو ليس المياه والزرقة والأمواج .إنه فلسفة كاملة ، تبدأ بالخوف ثم التأمل وأخيراً بالتواصل ، والتواصل يشكل قاعدة المثلث[١]"

وبالخوف تبدأ جماليات البحر، الذي ارتبط بمشاعر الخوف لا سيما الخوف من المجهول الذي منعته غموضه، وعدم استقراره فهو مرة هائج ومرة هادئ ، وعدم الاستقرار هذا جعل العلاقة به مشوبة بالخوف والترقب : " البحر لا يؤمن جانبه... بين لحظة وأخرى يمكن أن يعكر مزاجه فيفرز موجات هوجاء تهدد السفينة بالابتلاع [٢]" لقد تمت انسنة هذا البحر فبدا وكأنه انسان مزاجي لا يستقر على حال .

حتى إنّ هدوءه غالبا ما يفسر بأنه هدوء ما قبل العاصفة وهذا تأكيد على اضطراب علاقة الإنسان بالبحر حتى في اصفى وأهدأ حالاته :

" سقط على الشاطئ جانبا ... والأمواج تتقدم نحوه لتغمره على الرمل في وداعة خادعة لا اطمئنان فيها [٣]".

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية
All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينجلي هذا الخوف من البحر لدى الغواصين والصيادين الذين ترتبطهم به علاقة جدلية غريبة فهي تجمع بين الحب والخوف ، الحب لأنه مصدر رزقهم ، والخوف لأنه دائماً يهددهم بالموت والابتلاع . كما أنه يرتبط بخيبات الأمل عند هؤلاء المتعاملين معه :

" منذ نشأ وهو لصيق بالبحر... وما فتح عينيه عليه حتى عشقه هائماً به ، وكم من مرة أنقذ وهو يكاد يغرق ! عندما تعلم العوم لم يفارقه ساعة إلا في فصل الشتاء إذ يكتفي

---

[١] عبد الرحمن منيف : سباق الملح وبداية المكاشفة، ص ٧

[٢] الوادي في الأرض السبعة ، ص ١٨٩

[٣] نبأ وفاة الأفق ... الشفة في الوادي الأرض السبعة ، ص ٢٢٢

بالنطواف بشاعرية معرفة على سفه ، أو رامياً شصه باحثاً عن ديدان البحر الحمراء التي تغوي أجود الأسماك باستسلام فمها لصارته وهي معمضة العينين [١]"

لقد ارتبط بالبحر ارتباطاً شديداً جعله لا يفارقه أبداً فقد أحبه لطول الاتصال به ، و لأنه مصدر رزقه ، إلا أنه في كثير من اللحظات يتحول إلى مصدر لخيبة الأمل ومعين لبؤسه عليه.

" يجول ببصره ، هنا وهناك في الأعماق المزرقة التي حوته زمناً في أحضانها ولم يعد من عندها بظفر من البحر أو أعطية تعينه على حياته البائسة اليوم [٢]"

فالبحر صديق لا يؤمن جانبه فقد جمع البحر – كما بين سابقاً–بين المتناقضات : الخوف والأمان ، الحب والكره ، وهذا بحد ذاته حالة عميقة تجعل الإنسان يقف ملياً أمام هذا البحر المتناقض.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتتجسد بناء على حالة الخوف من البحر حالة أخرى هي التأمل والترقب ذلك لأن هدوء صفحة البحر وهدير أعماقه تدفع الإنسان إلى الوقوف أمامه متأملاً ، فيتحول بذلك البحر إلى مساحة للتأمل واجترار الذكريات :" شعرت بالسفينة تترجح بدلال وهدأت أعصابي لتترجح السفينة الهادئ وبدأت أيامي الخوالي ترتسم أمامي من جديد ، وعاد شريط الطفولة يطاردني [٣]".وهنا تأكيد على أنّ ارتباط السفينة بالبحر ارتباط أولي، هو ارتباط المكان المتحرك المرتحل (السفينة) بالمكان الثابت (البحر) وقد وظف عنصر الحركة توظيفاً جمالياً عميقاً جعل الشخصية تستمد من هدوء البحر واتزان حركة السفينة ، هدوءها الذي دفعها إلى التأمل واسترجاع الذكريات الماضية لا سيما ذكريات الطفولة

---

[١] عبارات من الإشارات ، ص ٢٤٣

[٢] المصدر نفسه ، ص ١٤٩

[٣] الكوابيس في الغرفة الدببة ، ص ١٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحتى يكتمل المثلث نصل إلى قاعدته الهامة وهي التواصل " فعلى الرغم من جبروت البحر وقوته، لكنه ملجأ الإنسان ليستمد منه القوة والأمان[١]" وليبته همومه ، فقد حسدت القصة العربية القصيرة جمالية التوحد مع المكان (البحر)وهو من الأبعاد الإيجابية لطبيعة العلاقة بين الإنسان والبحر :

" كان قد اقترب من حافة الماء ، ووقف يرقبها وفي عينيه نظرة ليست منه ، واستند إلى سيف قارب يحجبه عن المدينة ، ويكتم عنه أصواتها فكأنه في وحدة مع البحر [٢]"

وهذا يعيدنا إلى أجواء المدينة بصخبها وضجيجها الذي دفع هذه الشخصية للجوء إلى البحر وعيش حالة التأمل التي لا بد منها عند الوقوف على شاطئه وهذا التأمل هو الذي يشعر الإنسان بالتوحد معه فكأنه [illegible] ويتفاعل معهم ويحاول التخفيف من وطأة معاناتهم .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" خرج فجأة من هذا البيت، من البيوت المتضامة الكثيفة إلى الكورنيش ، (وتراءى الأنقوشي)بأنّي مضمحلاً من بعيد ، كأنه يحمل رسالة مصيرية إلى أصحابها في نهاية المدينة ، ووشوشة البحر تصل إليه مع هوائها المالح ، مهدئة معزية [٣]" لقد أحسّ البحر بمعاناة الشخصية فأرسل نسيماته مهدئة معزية لها .

فالبحر أعمق دلالة في حياة الشخصية من أن يكون مجرد ماء وزرقة وأمواج، إنه روح تتحد معها أرواحنا كما فعلت هذه الشخصية .

---

[١] مها حسن : المكان في الرواية الفلسطينية ، ج ٢ ، ص ٤٦١

[٢] القصة ديوان العرب ، ج ٢ ، القصة السورية ، ص ٦٢٩

[٣] المصدر نفسه ، ص ٦٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتصور القصة جانباً من واقع مجتمع العاملين في البحر، وهذا يعبر عن بعد اجتماعي يتجلى في بساطة المستوى الاجتماعي والثقافي لهذه المجتمعات حيث يعمل في البحر كل أفراد الأسرة أحياناً ، وقد تفوت الصغار منهم فرصة التعليم والالتحاق بالمدارس فهم أكثر من الكبار انشغالاً بهذا البحر لارتباطه بالرزق :

" غرق في غرامه " للحداق"بعدنٍ حتى ذقنه فتلهى فترة غير قصيرة به .وبعوالم بحره الهائم به دوماً.أدخل في أثنائها كل أقرانه المدارس ، وانسلوا من صف إلى الذي يليه وهو لم يزل في انشغاله بالبحر ، ودووه في غفلة عن الأمر غير مدركين أهمية المدرسة [١]".

لقد شكل البحر مركز حياة هذا الصبي الذي لم يعرف غيره عالماً فانشغل به حتى فاتته فرصه الالتحاق بالمدرسة شأن أقرانه

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد عبّر البحر عن فكرة التعمق والتطهير النفسي فالماء دائماً مرتبط في حياة الإنسان لا سيما المسلم بالطهارة الحسية والنفسية . وقد وظف هذا الجانب توظيفاً جمالياً فيما يتعلق بالبحر باعتباره مكاناً مفتوحاً يشكل الماء جوهره وحقيقته وعنوان تميزه عن غيره من الأماكن حتى لكأن الإنسان يغسل بمائه أدرانه وهمومه التي اثقلته بها الحياة وتلمحه بطهر جراحه :

" لا أدري كيف حمل صدري هذا المجنون عذاباته كل هذا العمر ، بعد مرّ التجربة واجهت البحر ، اقسمت له أن اطهّر هذا القلب المتهور ، اغسله بماء الملح حتى يعرف السكينة والخلد، لا يلتفت بعدها إلى رفات الزهور وألوان الفراشات المغسولة بالندى ...لا تسقطه الحيول التي تعبر الحقول الخضراء [٢]".

---

[١] عبابات من الأمطار ، ص ١٤٧

[٢] المصدر نفسه ، ص ١٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالبحر حمل في طياته عناصر التطهير : الملح والماء وكان مساحة للبوح والإصـــرار علـى التغيير ومع ذلك " سوف يبقى البحر مدنساً، كما كان، ما دامت نفـس التناقضـات قائمـة وذات المأساة الإنسانية مستمرة بشكل أو بآخر على أرض الواقع [١]".

ومثلما حملت الأمكنة السابقة ، سواء المغلقة أو المفتوحة ، مدلولات رمزية فالبحر كان غنياً بهذه الدلالات إذ حمل صورة الوطن وعبر عنها بأعمق معانيها ، فقد لاحظنا سابقاً كيف كـان الوطن هو البيت ، والمقهى ، والسجن، وكذلك الصحراء والمدينة ...وهنا أيضاً كان البحـر الوطن الكبير على امتداده الواسع : " قبض حفنة الماء ، قربها من فمـه، وهمـس بكلمـات لم يتبينها وهي خليط من الحلم والأمنية لمسافات من بين أتعابه امرأة ...طفلة حجلى وقـرت مسرعة .وقف . كان السائق يراقبه بابتسامة عجلانة ثم أدار لحوته وقال

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

– ألم أقل لك إنه يتكلم

رد السائق بالانجليزية : – لا أفهم

تابع وكأنه يحادث نفسه :

– البحر يتكلم ، إنه يتكلم العربية

كان البحر يصهل خلف ظهره وهو يرتد إلى السيارة مخلفاً وراءه دهشة السـائق ، وآثـار الملح التي أخذت ترتسم بين أصابعه خرائط مبهمة الملامح [٢]".

---

[١] علوي الهاشمي : من قاتله البحار يس ٤٠٤

[٢] محمود درويش : في الوطن المحتل ، ص ١٣٩

لقد كان البحر هو الوطن العربي الذي يشترك أبناؤه في الدين ، واللغة والتاريخ ... إلا أنه بات يحمل في طياته عناصر الفرقة وتشتت الرؤى التي عبر عنها بـ" الخرائط المبهمة الملامح" إذ تجزأ الوطن وصار خرائط متعددة بينها حدود فاصلة فصلت القلوب والأفكار قبل أن تفصل الأرض .

وكان للوطن(البحر)أبعاد رمزية ايجابية وأخرى سلبية إلا أن الجماليات السلبية كانت هي الغالبة ، ففي الوقت الذي ينعم فيه أبناء هذا الوطن في جزء منه بالحرية والكرامة ويشعرون بالانتماء إليه ، يقررون الثبات فيه على الرغم مما يعترضهم من صعوبات مثل هذا الإنسان الذي وجد أنه يمتلك وطنه عناصر وجوده يقرر البقاء فيه ومواجهة ما قد يكون من صعوبات :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" اضرب بعصاك البحر فشق البحر طريقا لنعبر فيه

– البحر : لماذا البحر ؟ أهاجر .. لا لن أهاجر : انا أمتلك من خزائن ملكي حبيبات الرمل وأمتلك الماء [1]" لقد كان البحر بالنسبة إليه الوطن الذي يملك أهم عناصر الوجود الرمل والماء وهما رمز الإنسان العربي المنتج لأن اصل الإنسان من طين (الرمل والماء).

وفي بعد مغاير لهذا البعد الإيجابي نجد هذا الوطن (البحر)يدفع بأبنائه إلى هجره والرحيل عنه إلى بقاع أخرى لأنه يمتلئ بالعوامل التي تدفعهم إلى ذلك الرحيل عن وطنهم ، لا سيما عدم توفر فرص الحياة الكريمة ، فيهاجرون بحثا عن مصادر الرزق ، وهذا البعد يصور واقعا يعانيه أبناء الوطن العربي .

---

[1] قباني من الصفحة السابعة ، ص ٢٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" كانت الأسماك الذهبية في أعماق البحر تلعب وتمرح وتحب... والأسماك الكبيرة تطـــارد الصغيرة وتلتهمها ثم سافرت مجموعة الأسماك إلى مواقع جديدة، إلى حيث يوجد القوت[1]"

بالاضافة إلى عوامل الصراع الطبقي الذي بدأ يتفشى في المجتمعات العربيـــة ورمـــز إليـــه بالأسماك الذهبية ،والكبيرة، والصغيرة.

وحالة التناقض التي يعيشها الإنسان العربي في وطنه كانت من جماليات البحر التي عبر عنها باعتباره رمزاً للوطن :

" سيدة الأزمان أنا يا سدوم رغم الفضاءات المغلقة ..رغم أن بحرنا ميت والصراخ ممنوع، والعواء ممنوع والممنوع عن ممنوع ممنوع[2]

فالبحر بمعنى (الوطن) لم يعد كما كان قديماً الوطن الذي يتيح للإنسان حرية التعبير والتفكيـــر فقـــد جعلهم يعيشون حالة من الكبت وتدخل الآخرين بشتى أنواعهم وضروبه الوقحة .

جميع الحقوق محفوظة
لا يجوز نسخ أو استخدام أي جزء من هذه الرسالة بأي شكل من الأشكال بدون الحصول على الإذن الخطي من صاحبة الحق الفكري
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وضمن هذه الأبعاد السلبية للبحر نجده يعبر عن حالة الترقب التي تعيشها الشخصية الـــتي بدورها تعكس واقع الإنسان العربي الذي عانى كثيراً من خيبات الأمل ، والعديد من النكســـات والنكسات .وأخذ واحدة من الحقائق والثقة بنفسه لذلك فهو يعيش حالة من الترقب مما دفعـــه إلى عملية بحث مضنية في أعماق بحره (الوطن)عسّا يعيد إلى نفسه الأمل من جديد :

" قال : هناك ملايين من الخارات في قاع البحر يا حسن، أتستطيع أن تؤكـــد أن صاحبـــا الغوّاص لم يحمل الخارات المخطوطة ، ويترك كل الخارات الفارغة هناك ؟

---

(١) أقوال من القصة السابقة ص ١٦٦

(٢) العبارات من القصة القصيرة في الأردن ، ص ٥٠

وجلسنا أمام الرجل ، ودفع له سعد الدين كل ما في جيبه ، واختار كومة صغيرة وبدا لي في تلك اللحظة أن وجود لؤلؤة في هذا الكوم من القاذورات المبتلة طموح لا مبرر له[١]".

والبحر هو رمز الوطن المحتل بالنسبة للإنسان الفلسطيني الذي يسرقه المحتلون ويسرقون معه الإحساس بالأمان :

" أتوقف عند بوابة البحر . كنت أسميها بوابة البحر وكنت طفلاً كثير السؤال :

-" من أين الطريق إلى البحر ؟"

فيقولون

" من باب الخليل

إذن هي بوابة البحر . وأبقى بالقرب من الإشارة حيث كان يقف الشرطي ذو الخوذة المدببة ، يزجرنا في حالة الاقتراب ... نسلم في خيالاتنا طريقاً طويلاً وواسعاً يمتد من خلف الباب ليصل إلى شاطئ البحر تحت اشكالاً رهيبة للوجوه التي تسرق البحر

-" أمي، كيف هم اليهود ؟"

-" أناس مثلنا "

لم اصدق . شيء ما في داخل الطفل لم يكن يصدق .

- ولماذا عندهم البحر؟ هل البحر لا يتسع للجميع ؟"

تقف واجمة عاجزة عن التوصل إلى إجابة[٢]".

---

[١] سهيل ادريس القصة الفلسطينية ، ص٢٤٣.

[٢] المصدر نفسه ، ص٢٤٤.

جميع الحقوق محفوظة
يمكن إيداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من أن العدو يحتل البحر ويسرق الأمان إلا انه ما استطاع أن يسرق الحلم الذي هو زاد الفلسطيني في مواجهته لهذا المحتل ، فالبحر غدا الوطن الحلم الذي يسعى بكل ما أوتي أن يصنع طريقاً للوصول إليه :

" تساءلت عمتي وهي تستقبلني على عتبة البيت

– هل رأيت القدس تغيرت ؟

لم أجب ...وكنت ما أزال أفكر في الطريق الآخر المؤدي إلى البحر [١]"

ولعل الطريق الآخر هو الجهاد والسعي نحو تحقيق الحلم لتحرير البحر (الوطن)

مما سبق تبين أن البحر لم يكن مجرد مكان مفتوح ومغلق كذلك مجرد ماء ، وزرقة ، و أمواج بل كان فلسفة ، وفكرة

مركز ايداع الرسائل الجامعية

[١] انظر لوحة العودة الفلسطينية ، ص ١٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

(علاقة المكان بالعناصر الفنية للقصة)

أ- علاقة المكان بالشخصية

١- علاقة المكان المغلق بالشخصية :

أ- البيت

ب- المقهى

ج- السجن

د- المكان الديني

٢- علاقة المكان المفتوح بالشخصية :

أ- المدينة

ب- الشارع

ج- الصحراء

د- البحر

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ب- علاقة المكان بالزمان

ج- علاقة المكان باللغة :

١- المشهد المكاني بين الوصف والصورة الفنية

٢- الألفاظ

٣- مستويات اللغة

٤- السرد والحوار

٥- تيار الوعي

٦- الضمائر

٧- الرمز

٨- الأسطورة

٩- التضمين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة المكان بالعناصر الفنية للقصة :

إنّ القصة بناء يتكون من عناصر متماسكة ، ومتآلفة. يؤدي كلّ منها دوراً في تكامل هـذا البناء وبما أن دراستنا هذه تركز على المكان ، ووظائفه الفنية الجمالية التي يؤديها في النص القصصي، فإنّ من الضروري جداً الوقوف على طبيعة العلاقة التي تربط المكان بغيره من العناصر الفنية ولا سيما الزمان والشخصية.

فيما سبق وجدنا أن المكان ليس بقعة جغرافية ذات أبعاد هندسية مادية محددة حسب ، بل عالمٌ قائمٌ بذاته نابض بالحياة وزاخرٌ بالدلالات العميقة وهو كذلك وسيلة من وسائل الكشف عن رؤى وأفكار ووظائف اجتماعية وسياسية واقتصادية تقوم القصة بتقديمها أو الإيحاء بها ، او الايماء إليها فيما يكتبون .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولم يكن المكان ليقوم بهذه الوظائف الفنية والدلالية لو لم يتفاعل مع غيره من العناصر الفنية لأنه كما أشرنا يتشكل " وحدة بنائية وعضوية،ذات علاقات داخلية وهو بالتالي كان له استقلاله . وتفرده،وخصوصيته[١]".

فالمكان لا ينفصل عن الزمان ، كما أن فعل الزمان ظاهر في المكان وتفاعل المكان والزمان له تأثيره على الشخصية التي تتحمل نتائج هذا التفاعل.فالمكان يساهم في تشكيل شخصياته،كما أنه يتفاعل معها ويتأثر بها أيضاً.

أما اللغة فهي أداة التعبير التي تحدد المكان وتظهر دوره،وتعمق دلالاته لأن القاص إذا كان متمكناً من أدواته الفنية ولا سيما اللغة التي يصوغ بها وصفه المكان، ويعبر بها عنه ، فإن

---

[١] إبراهيم الخطيب : البنائية في النقد العربي الحديث ، ص ٢٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توظيفه له بأسلوب غير تقليدي سيكون ناجحاً وسيخدم الناء القصصي الذي هو الهدف الأول والأخير .

وعليه يمكننا القول : " إنّ علاقة تلك الأشياء ببعضها علاقة مكانية بحكم تجاورها. وتصبح الأشياء ذات بُعْد زماني ومكاني من خلال فعل الإنسان والمجتمع "[١].

وسنقف فيما يلي على طبيعة العلاقة التي ربطت المكان بالشخصية والزمان واللغة . محاولين استكناه جوانبها ومدى نجاح القصة العربية القصيرة في صياغة هذه العلاقات وتقديمها .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[١] أسماء سلطان . جماليات المكان في روايات حنا مينه . ١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- علاقة المكان بالشخصية :

ليست علاقة الإنسان بالمكان علاقة وظيفية أو ثانوية أو طارئة ،بل هي علاقة أزلية ، فقد ارتبط وجود الإنسان بالمكان منذ أن كان جنينا يحتويه رحم الأم الذي هو المكان الأول الذي يرتبط به،وهو الذي يهيئه بالتالي للارتباط بأمكنة أخرى.

وعلاقة الإنسان بالمكان علاقة وجود وهوية ، فلا يمكن أن نتصور إنساناً دون مكان يرتبط به ويتشكل وفقاً لمواصفاته وخصائصه ، من هنا كان تركيز معظم الدراسات الإنثروبولوجية على أن الإنسان هو ابن البيئة التي ساهم مع مرور الزمن بتشكيل سماته وصفاته الجسدية والنفسية أيضاً إذ " تبرز الفوارق بين الحضر والبدو وحتى فوارق بين الأمكنة. فالبحر يختلف عن الصحراء، وابن البحر يختلف عن ابن الصحراء والغربيون يختلفون عن الشرقيين لاختلاف البيئات والأمكنة أساساً"[١].

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وهذه الاختلافات المكانية نجدها تنعكس على تمايز الناس، واختلاف صفاتهم الجسدية ، والنفسية . فعلى سبيل المثال نجد " الواقعية والتقشف والارادة الصلبة جملة صفات لا بد لمن يعيش في الصحراء من التحلي بها . فالجدب وفقر الموارد يجابه بالتقشف والزهد بوسائل الرفاه. والمناخ القاسي يقتضي إرادة قوية تكافح دائماً من أجل استمرار العيش، والجدب والقسوة يفرضان بدورهما نوعاً من التعامل الواقعي مع العالم والأشياء و الآخرين، ذلك شرطٌ لا بد منه لتحقيق التكيف مع واقع لا يترك للإنسان حيزاً للاسترخاء والتعامل غير الواقعي مع العالم[٢]"

---

[١] أحمد رشيد الخلايلي ، جدلية المكان ،ص ٢٢٦

[٢] صلاح صالح ،الرواية العربية والصحراء،ص ٢٧

فهذه جملة من صفات أهل الصحراء ما كانوا يتصفون بها لولا أن طبيعة المكان الصحراوية أسبغت عليهم هذه الصفات . وهذا الجانب لم تغفله القصة العربية القصيرة فقد كشفت لنا انعكاس طبيعة المكان على إنسانه من ناحية حسية ونفسية ، بالإضافة إلى كشف المكان عن طبيعة الشخصية وسأقوم بدراسة بعض ملامح العلاقة بين المكان والشخصية .

والأدب الحديث الذي تعد القصة أحد فنونه،لا يتعامل مع المكان باعتباره موقعاً للحدث، أو حتى بُعْداً جغرافياً للشخصيات فيه، و" إنما يتناوله باعتباره جوهراً أو محوراً ثابتاً في مواجهة مجموعة متباينة من المحاور المتغيرة بالصورة التي يصبح معها المكان هو البطل الرئيس للعمل،أو الموضوع الأساسي للمعالجة ، وتكتسب معه علاقته بالشخصيات أبعاداً فنية فلسفية جديدة . وتحول المكان إلى عنصر إيحائي فاعل يضفي على الشخصيات مجموعة من الدلالات والإيحاءات الجديدة[١]".

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

من هنا تكتسب العلاقة بين المكان والشخصية في القصة العربية القصيرة خصوصية وتميزاً.

---

[١] صبري حافظ: خرائط الحكاية الجديدة، الأقلام، ع ١١، ١٢، ت ٢، ك ١، ١٩٨٦، ص ٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١-علاقة المكان المغلق بالشخصية :

إن المكان المغلق ولتميزه عن المكان المفتوح بأنه محدد هندسياً وجغرافياً وله جدران وسقف وباب ونوافذ يسهم في تشكيل بعض السمات ، والخصائص النفسية والاجتماعية والفكرية للشخصيات المرتبطة به اسهاما مختلفا عن إسهام المكان المفتوح وسأحاول الوقوف على أهم العلاقات التي تربط الشخصية بالأماكن المغلقة :

أ-البيت :

يعد البيت وكما مر بنا سابقاً العالم الأول الذي يراه الإنسان و يحتك به ويسهم في تشكيله. وقد كشفت لنا النماذج القصصية المختارة طبيعة العلاقة التي ربطت المكان(البيت) بمن فيه من الشخصيات، إذ اتسمت هذه العلاقة في بعضها بالانسجام إلى درجة التوحد والتماهي في المكان (البيت) وذلك عندما توفرت فيه عناصر الأمان والحميمية التي تبحث عنها الشخصية فلم تجدها إلا فيه.

" إنها محقة بعض الشيء في الحرص على أثاثها ، فلا مثيل له الآن من حيث الدقة والإتقان وهو يروي وبلا شك عشرات الحكايات عن رجال ونساء جلسوا في هذه الصالة، إن فعل الإنسان فيه جلي ويستحق منا بعض الاهتمام كما أن فعله في الإنسان جلي "[1].

لقد كشف لنا المكان عن عمق ارتباط الشخصية به، إذ إن حرصها عليه وعلى موجوداته دليل تشبثها بوجودها ، وهذا الحرص تجذر في كيانها فقد صار جزءاً منها فهو المأوى والذكرى وهذا يكشف عن عمق ارتباط الشخصية وانسجامها مع البيت.

---

[1] اعترافات من القصة القصيرة في الأردن، ص ٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تبدو العلاقة بين الشخصية والبيت مشوبة بالغموض عندما لا تستطيع الشخصية التحديد ما إذا كانت تشعر بالانسجام أو التنافر مع المكان،وهذا بطبيعة الحال يعكس الواقع النفسي لهذه الشخصية مثلما نرى في حال هذه الشخصية " لا أعرف هذا المكان ولا أعرف من أوصلني إليه، إنه غريب، إنه ليس بيتي . من جاء بي إلى هنا؟! نفسي متعبة ، ومحبطة ، وبائسة ، وغير راغبة في شيء على الرغم من أن كل شيء معد أمامي ، السّرير المرتب ، والفواكه وكافة أنواع الأطعمة والترفيه "[1].

إنّ فشل الشخصية في تحديد هوية المكان (البيت) ومدى انتمائها أو انتسابها إليه يُشعر بغموض العلاقة التي تربطها به ، ويرد ذلك كما فسرت إلى الإحساس بالفشل ،والإحباط الذي لا يجعلها ترى في المكان (البيت) إلا عالما مبهما غامضا يساهم في زيادة توترها، وقلقها على الرغم من توفر أسباب الراحة والهدوء والاستقرار بكل ما تحتاجه من أشياء حسية مشتة ، منشغلة غير راضية عن شيء.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

ولا تخفى الدور الذي تؤديه تقنية وصف المكان (البيت) في الكشف عن صفات الشخصية والوقوف على سماتها وخصائصها ولا سيما النفسية وطرائق تفكيرها ، واتجاهاتها السلوكية،ومستواها الاجتماعي والثقافي.فعلى سبيل المثال يعكس المكان طبيعة الانفعالات التي تعانيها الشخصية فحالة الاضطراب والتشتت يعكسها وصف الأشياء في المكان الذي ترتبط به

" تجدي عادة تقلقه ولا تريحه، لكنه يحس في ممارستها والتشوق إليها راحة وطمأنينة ، فهو إذا لم يضع ملابسه وكتبه وسريره في أمكنة بعينها ، وفي أوضاع خاصة لا يرتاح باله . فإذا

---

[1] عشارات من الإمارات ، ص ١٢٤

وجد أقل تغير في وضع كتبه وملابسه غيرها إلى نفس الوضع والمكان لأنه يتفاءل بأمكنة بعينها،ويتشاءم من أخرى [١]".

قد يظن القارئ - من الوهلة الأولى- أن هذه الشخصية تمتاز بالترتيب والتنظيم لحرصها على وضع كل شيء في مكانه. لكن هذا الوصف لسلوكها الذي كان المكان/ البيت ميدانه كشف لنا عن سمات نفسية لا تخلو من انحراف وقد أكد ذلك بأنه " يتفاءل بأمكنة بعينها ويتشاءم من أخرى" فإيمانه بالتفاؤل أو التشاؤم يعني تناقضاً مع ما ظهر من أنه إنسان مثقف حظي بنصيب من العلم يجعله يدرك أن التشاؤم والتفاؤل انما هو من المعتقدات التي تخالف الدين والعقل . وما أظهرته من صفات "توحي بالتقارب صاحبها إلى الاستقرار والاطمئنان[٢]"

" حين همّت بالعودة إلى المنزل استوقفها ما تعانيه في شقة بالعمارة المواجهة..امرأة شرسة تطارد زوجها بمكنسة من غرفة إلى أخرى. والمكنسة ترتفع و تنخفض على ظهر الرجل وهو يتلوى من الألم، بينما ارتفعت كفه تخفي العالم من أمامه وصوت المرأة يخترق هيبة الصمت رفعاً حاداً[٣]".

إن هذه الأحداث التي تم وصفها، وكان المول ميدانها، إنما تعكس أولاً صورة مشروخة ومشوهة للعلاقة الزوجية بين هذه المرأة وزوجها وكشفت أيضاً عن القسوة التي اتصفت بها الزوجة ، على حين كان الزوج مهزوزاً فاقداً لشخصيته وقوته أمام زوجته على عكس الواقع العام . وكان للمكان (البيت) دور في تصوير طبيعة العلاقات التي تربط بين الشخصيات من جهة باعتباره منزلاً للزوجية ومن جهة أخرى فقد كشف سمات كلتا الشخصيتين: الزوج

---

[١] مختارات من الأدب السوداني ، ص ١٩٧

[٢] إبراهيم حليل . حوار إبراهيم حمدي ص ٣٢

[٣] مختارات قصصية لكتاب تونسيين ص ١٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والزوجة بشكل فردي . بالاضافة إلى أن تجاور الشقق السكنية في المدينة مثلاً وقرب بعضها من بعض يجعل الأسرار مكشوفة ودليل ذلك ما كشفه هذا التجاور من صفة الفضول لدى الشخصية التي كانت تراقب ما يدور في الشقة المقابلة .

ومثلما كشف المكان / البيت عن العوالم النفسية والأبعاد الفكرية والسلوكية للشخصية، فإنه يفصح عن المستوى الاجتماعي الذي تعيشه فقراً أو ثراءً فمستوى الشخصية يتجلى في طبيعة علاقتها بالمكان لأن الإنسان إذا كان ذا مستوى مادي مرتفع فإن أول مكان يحسنه ليتناسب مع مستواه هو البيت . بينما إذا كان مُعْدماً فإن فقره سينعكس على هيئة البيت مما قد يشكل عاملاً ناظراً بين الشخصية وكشف ذلك كله عبر تقنية الوصف التي ترصد المكان بكل ما فيه حيث " مظاهر الحياة الخارجية من مدن ومنازل وآلات وأدوات وملابس ...الخ تذكر لأنها تكشف عن حياة الشخصية النفسية "[١] من جهة ، وعن مستواها الاجتماعي من جهة أخرى بطريقة تجعلنا نعيش المكان متفاعلاً مع شخصياته.

" لا فائدة . في كل مرة يدخل فيها هذا البيت آتياً من ناحية البحر من خلال الأزقة الضيقة الملتوية ، ويتجاوز هذا الباب الخشبي القديم، تصدمه رطوبة السلم المظلم الضيق. رائحة من حياة الناس ، وطبخهم ، ونومهم ، ونسلهم وأوساخهم المتراكمة طوال السنين. وهو يصعد درجات السلم في بطء ، يسمع مواقد (الجاز) تفحّ من خلف الأبواب ، وأصوات الأمهات المجهدات تدعو على الأولاد الذين لا يهدأون أبداً.وتفرغ وتلتم، وتلعن الأيام السوداء!"[٢]

---

(١) أسماء شاهين . المكان في روايات حنا مينا ص ٧٩

(٢) الفقه فواز الحريري . الفضة المصرية ص ٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن مبالغة الشخصية في وصف الحديقة التي بدت لنا كما بدت للراوي إحدى جنات عـــدن توحي بالمستوى الاجتماعي لها بالإضافة إلى أنها تكشف لنا عما تعانيه من حواء فكري ونفســـي تعمل على ملئه بهذا الوصف المبالغ فيه .

مما سبق تبين عمق ارتباط الشخصية بالبيت كما أن هذه العلاقة لم تكن محددة واضحة المعالم وإنما كانت تتفاوت من شخصية إلى أخرى ولعل مرد ذلك إلى طبيعة العلاقـــات الـــتي تربـــط الشخصية بغيرها في المكان / البيت وطبيعة الانفعالات التي تسقطها الشخصية على المكان .

ب–المقهى :

و سمة الانغلاق/ الانضواء التي يتسم بها المقهى من حيث كونه مكاناً مغلقاً جغرافياً ومفتوحـــاً لإطلاله على الأماكن المفتوحة وتوقعها فيها كالشارع والمدينة .. الخ ، هذه السمة لهـــا تأثيرهـــا على طبيعة ما يربط في المقهى والشخصيات من علاقات هي في مجملها قائمة على الحيادية تعـــني أن الإنسان قد يشعر بالنفور والمعاداة أو الانسجام مع البيت لأنه يربـــــط بـــــاكني البيـــت بعلاقات اجتماعية متعددة لا سيما علاقة القربى ، بينما رواد المقهى فلا يجمعهم إلا بالصلـــة المكانية

وبناء على تلك العلاقة الحيادية التي تربط الشخصية بالمقهى نجدها تلجأ اليه لتتابع حريتـــها في نفث همومها . " كان يترك البيت إلى المقهى بعد كل خصام فيجلس فيه حزيناً مـــهموماً ولا يريد أن يكلم أحداً"[١] ففي المقهى لا يستطيع أحد أن يتدخل في شؤونه على عكـــس البيـــت لذلك نراه يجد في المقهى مساحة للإحساس بالوحدة التي تشعره بالراحة نوعاً ما .

---

[١] في القدس الغرفي الجليد ص ١٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يكشف وصف ما يجري في مكان ما لا سيما المقهى عن صفات شخصياته (رواده) وطبيعة تفكيرها وسلوكها:

" تعلمت منذ أعوام أن لا أتكلم وأن أختزن همومي في ناحية من صدري... لقد وصلت إلى المقهى وها هم يتحدثون. إنك تعرفهم بلا شك باستطاعتك أن تتصورهم وأنت تقطع المسافات الشاسعة ، يتحدثون ويلعبون الورق ويحتسون القهوة. و " البارد" يتحدثون ويلعنون الحظ ويترقبون الترقية [1]"

كشف لنا هذا النموذج عن بعض الصفات النفسية للشخصية الرئيسة التي تميل إلى الانعزال واختزان همومها الذاتية ، ما يجعل عملها سلوكاً يتمثل في مراقبة رواد المقهى ورصد سلوكهم فقد كانوا جزءاً من مواقف الذين يحتفظ للأبد بذكراتهم، العمل في هذا المقهى الذي امتص احاديثهم وأصواتهم [illegible] هذه الشخصيات محطة، وساخطة على الواقع ، ومترقبة للترقية التي قد يحصلون عليها وقد لا يحصلون فالمقهى هنا كان مساحة لفئة من الناس ممن يوصفون بذوي الدخل المحدود الذين يرتادونه هرباً من واقعهم وتنفيساً عن احباطهم وهمومهم

" إن تكوين المكان ، وما يعروه من تحولات أحياناً يؤثر في تكوين الشخوص، بل قد يكون وصف الأمكنة دافعاً من الدوافع التي تجعلنا نفهم الأسرار الدفينة للشخصية [2]". فالمكان وإن كان ثابتاً جغرافياً إلا أنه متغير في عناصره ومكوناته وما يجري فيه من أحداث ، وكل هذه التغيرات التي تحصل في المكان (المقهى على سبيل المثال) تؤدي إلى تغير في مفاهيم الشخصية

---

[1] د. إبراهيم صحراوي ، الرواية في الأردن ، ص ٢١

[2] إبراهيم خليل ، الرواية في الأردن ، ص ٢٤٦

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتصرفاتها ومستواها الاجتماعي وسماتها النفسية وعليه فإن أي تغير في المكان يؤثر في الشخصية كما أن أي تغير في سلوك الشخصية تفسره علاقتها بالمكان :

" وقد أبسط المعلم " أبو بلطة" إلى حد لم يصدق معه أن دخله سوف يرتفع بهذا الشكل، فهو لم يحلم على الإطلاق بأن تصل أرباحه اليومية إلى خمسة دنانير. فبإمكانه الآن أن يمد كرشه أمامه حتى يلامس الطاولة ، ويتناول غداءه في المقهى على راحته ثم يستمتع بتدخين الأرجيلة ، وأحياناً يأخذ (تعسيلة) بعد ظهر كل يوم [1] "

كان لتغير مستوى الاقبال اليومي على المكان (المقهى) أثره وانعكاسه في سلوك الشخصية التي يمثلها (المعلم أبو بلطة) الذي غير من عاداته القديمة فأخذ يتناول غداءه في المقهى بدلاً من البيت، والاستمتاع بتدخين الأرجيلة لأنه يستطيع الآن أن يوظف عمالاً لديه بعد أن كان يقوم بالعمل في المقهى بنفسه. ومن الممكن القول هنا إن المقهى كان تغيراً مجازياً عن واقع اقتصادي متقلب ومتغير .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع رسائل الجامعية

وتبين مما سبق أن المقهى من الأماكن التي لا تفرض قيودها على الشخصية ، فهو مساحة من الحرية المقننة والنسبية مقارنة مع مساحة الحرية التي يوفرها البيت الحميمي للشخصية .

ح- السّجن :

السجن مكان مرادف للعبودية ومصادرة الحرية لذلك فإن علاقة الشخصية به تتسم بالنفور والمعاداة لأنها تفقد بين جدرانه أبسط حقوقها في الإنسانية وهذا هو الجانب المهم والرئيس الذي أبرزته النماذج القصصية .

---

[1] أبو لوحا القصة المنشورة ، ص ١٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالإنسان، أي إنسان ، من جرّب السجن ومن لم يجربه ، تتشكل في مخيلته صورة قاتمة قبيحة له فهو لوحة سوداء تتكون من الظلمة والأبواب المغلقة والسقوف المخفضة و انعدام النوافذ، عدا عن التعذيب والهوان الذي يلاقيه الإنسان في هذا المكان المغلق ، مادياً ونفسياً: " أصغيت إلى حديث زوجتي " جندي .. حيتي .. صرامة .. عنف .. اختلطت الكلمات بالظلمة ، أصبح كل ذلك كابوساً يطاردني حتى باب المنزل ..عند ذلك أيقنت أن السجن في داخلي [١]".

بدا لنا أن علاقة الشخصية بالمكان(السجن) علاقة ذهنية تقوم على المعاداة لأنه مكان توفرت فيه عوامل النفور والتغول كالظلمة والصرامة والعنف ... الخ وما يترتب على ذلك من مصادرة للحرية ، وهنا نجد أن السجن وضمن علاقة الشخصية به وظف توظيفاً رمزياً تحولت فيه الذات إلى سجين مما يعبر عن [illegible] يحرم غالباً من ممارسة حريته لا سيما في التعبير عن فكره ورؤاه

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولئن كان السجن مكاناً تنفر منه الشخصية لما توفر فيه من عوامل القسوة فإن لعلاقة الشخصية به جانباً آخر يتمثل في أنه يغير الكثير من مفاهيمها وسماتها الشخصية ففيه تتعلم الصبر الذي أجبرت على تعلمه : " صنع الكرسي في السجن ..جف ظهر سجين وهو يصنعه لفرط ما عكف عليه والحنى . جف ظهره لترتاح ظهور الموظفين : اخواتك منهم وأبناء البلد، وقد يعجب هؤلاء بفنه وقدرته، فن نابع من الصبر والقهر معاً[٢]" إنّ السّجن باعتباره مكاناً مغلقاً لا حرية فيه انعكست صفته الانغلاقية هذه على الشخصية التي وجدت أنّ لا مناص لها إلا الصّبر والصبر العميق الذي لا حدود له ، هذا الصبر النابع من القهر والتقييد .

---

[١] ألوان من الدمعة البنية ، ص ٢٦

[٢] عبارات من الأدب السوداني ، ص ٢٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تختلف علاقة الشخصية بالسجن من سجن عادي إلى سجن سياسي إلا في طبيعة انعكاس هذا المكان على الشخصية . فبينما يعني السجن للسجين العادي (المجرم) مكاناً للردع والتأديب ممتزجاً بانعدام الحرية كل هذا قد يثير في نفسه مشاعر السخط وأحياناً الضعف والإحساس بعميق الألم . بينما هو بالنسبة للسجين السياسي مكان يمنحه ثباتاً على آرائه وأفكاره ومواقفه التي يرى فيها نفسه فكون احتماله للتعذيب والتنكيل أعظم وأكثر ثباتاً، ورد في إحدى القصص اليمنية :

" - كنت من المناطقين مع حركة الكفاح المسلح في جنوب الوطن وكان يسعى وكراً للفدائيين و أسلحتهم وذخائرهم

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- عمل وطني مقدس .. كان عملاً عادياً دائماً ومقدساً حتى الجميع يعرفون ذلك لكن مع اندلاع الأحداث الأخيرة ، وجرى ما جرى ..وجدت نفسي مرمياً في السجن ..وقاسيت ما قاسيت [1]".

كان موقف الشخصية وجهدها السياسي نابعاً من فكر تعتقده ، وتقتنع به مما جعلها تعتبره عملاً مقدساً حتى لو قادها إلى السجن . فما السجن إلا مساحة لتثبيت وتجذير تلك الأفكار والمواقف .

ويؤكد هذا الرأي المتمثل في أن السجن له جانب مضيء نسبياً في حياة الشخصية المرتبطة به إذا كانت تمثل رأياً وفكراً- يؤكد هذا الرأي والرؤية شخصية أخرى في إحدى القصص الفلسطينية :

---

[1] اقتباس من القصص المقصود في الحاشية ص ١٨٠ ، راجع الحاشية نفسها ، ص ٢٥٩

" لم تكن الحياة مظلمة بالنسبة لي وأنا في الزنازين .. كانت تملئني أملاً بالمستقبل كنت دائماً متفائلاً لم يتسرب اليأس إلى نفسي.. في السجن لم ينتني شيء عن عزيمتي وصمودي [١]".

إنّ علاقة الشخصية بالسجن وكما أبرزها بعض القصص العربية اتسمت بالنفور وعدم الانسجام فكانت من أكثر العلاقات التي تربط الشخصية بالمكان قبحاً وعدوانية .

د- المكان الديني :

على النقيض تماماً من علاقة الشخصية بالسجن نجد علاقة الشخصية بالمكان الديني علاقة تتم بالانسجام فالمكان الديني يمثل في حياة الشخصية مساحة تشعر فيها بالأمان ، والطمأنينة والسكينة الروحية التي لا تجدها في أي مكان آخر ، في المسجد.. انحنى جانباً مستنداً إلى أحد الأعمدة في انتظار إقامة الصلاة، كان يشعر بالأمن والطمأنينة . أغمض عينيه مستسلماً [٢]".ومرد هذه الطمأنينة استشعار الإنسان قربه من الله عز وجل -في هذا المكان. ويؤكد هذا الإحساس بالطمأنينة شخصية أخرى :" كان الحلم يقفز من أحداقها وهي تحدث عن سفر مشمول ببركة الكنيسة [٣]".

لعل الفرح الذي كانت تشعر به الشخصية عند حديثها عن السفر هو إحساسها ببركة المكان الديني مما يخفف من وطأة ذلك السفر وقسوته .

وقد يكشف لنا ارتباط الشخصية بأمكنة العبادة عن المستوى الديني لها ، وتمسكها بالفضائل والأخلاق وإحساسها بتميزها عن غيرها في ذلك

---

[١] أبجدولوجيا القصة الفلسطينية ، ص ٨٨

[٢] شارات من القصص القصير في نهاية عقد ، قسم القصة السعودية ، ص ١٧٤

[٣] شارات من القصة القصيرة في الأردن ، ص ٤٣

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" تذكر حديثاً تعلمه أثناء خطبة الجمعة في جامع صغير بقريته : سيتضاءل الإيمان شيئاً فشيئاً حتى يختفي "[٦].

إن ارتباط الشخصية بالمكان الديني وترددها عليه و استيعابها لما يرد فيه من خطب ومواعظ دليل على استقامتها . وقد بدا المكان الديني في هذا النموذج مساحة لمحاولة استشراف المستقبل مبنية على أسس من الشرع. فالإيمان وإن كان سيتضاءل يوماً بعد يوم إلا أنه سيعود قوياً بإذن الله .

وفي أمثلة قليلة جداً –لا يمكن تعميمها– كانت علاقة الشخصية بالمكان الديني علاقة عدالية سبق أن تحدثت عنها عند الحديث عن المكان الديني.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[٦] فيض حرائر ، ص ٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢-علاقة المكان المفتوح بالشخصية :

تبدو علاقة الشخصية بالأمكنة المفتوحة كما صورها النماذج القصصية المختارة علاقة مشوبة بالغموض والتوجس و اللامحدودية . لسبب بسيط هو الانفتاح الجغرافي والمعنوي الذي تتسم به تلك الأمكنة مما يجعلها تبدو عالما من المجاهل التي تسعى الشخصية إلى اكتشافها وسبر أغوارها ، ومحاولة الاحتراط في أجوائها ولكن بكثير من الحيطة والحذر ، ومن أكثر الفضاءات المكانية حضورا في القصة فضاء المدينة

أ-المدينة :

هذا العالم المتناثر واللامحدود يشكل فضاء مخيفا للشخصيات التي ترى فيها عالما غريبا ، غامضا يثير غموضه قصورها ، وخذلها أحلامه وجعله هاجس الزوال اللحوح دائما على ألسنة الشخصيات :

" ماذا يحتمل في بطن هذه المدينة ؟ تذهب في حذر وحذر (الحرم) كلما طلعت عليها شمس،وقبل أن تغيب تكون ملابس الليل مضمخة بالعود ودهن العود وطيوب النساء [1]"

وحتى يتم للشخصية الإجابة عن هذا التساؤل نجدها تحجر مسقط رأسها سواء أكان صحراء أم قرية محملة بأحلام تسعى لتحقيقها في هذه المدينة ويبدأ الصراع الذي يتصاعد حتى يبلغ درجة من العلاقات تتسم بالتنافر وعدم الانسجام. ومن الطبيعي أن ينشأ ذلك لتوفر عوامل النفور مثل: القسوة ، والتغول مما يشعر الشخصية بالتشظي والاغتراب .

---

[1] عقارب من الأعراب ، ص ١٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" هكذا صرت متمرداً على قيود الزمن والوهم وعلى الطقوس الخرافية من حين كنت طفـــلاً مرمياً في هذه المدينة المدينة غير التي تعرفون [١] "

إن إحساس الشخصية بقيود المدينة ، وقمعيتها لإنسانيتها أشعرها بالتنافر مع هذا المكـــان فقررت التمرد على قيوده .

وهذا النفور من المكان لا سيما المدينة يعتمد على وعي الشخصية ، إذ إن وعي الشـــخصية وإدراكها للمكان وعوامل المعاناة فيه يجعلها ترفض التماهي حيث إنّ" تبدل الواقـــع بأمكنـــة تبدلاً قسرياً ينعل قوة غاشمة قد أثر في ذوات الأبطال .. إلى درجة عدم التكيـــف والشـــعور بالغـــربة والاغتـــراب والاحســـاس بتدهور الأمكنة إنها هي أمكنة معادية تدفع الإنسان إلى تركها [٢] ".

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولعل هذا الواقع القسري - الذي يفرض نفسه على المدينة وبالتالي ينعكس علـــى طبيعـــة علاقة الشخصية به - يتمثل في القصة الفلسطينية إذ إن وجود المحتل بما يمارســـه مـــن تســـلط وتقييد للحرية وانتهاك للإنسانية يدفع الشخصية إلى رفض هذا الواقع فتترك المكـــان قســـراً: " كيف تراني تركت مدينتي ، من يصدق أني كنت سأفعل هذا؟ كان يخيل إلي دائماً كأني حجـــر قديم في اسوارها.. كم أحببتُ أن أحدثهم عن رفاقي صبية القدس : محمود ويوســـف وعلـــي وصالح . وعن لعبنا وركضنا وصخبنا واحساسنا بأن القـــدس بقبابهـــا ومآذنهـــا ومســـاجدها وكنائسها وديورها وأزقتها ، ودروبها ، واسوارها هي ملكنا ، هي دارنا [٣] ".

---

[١] الوقد من القصة الرمزية ، ص ٢١٣

[٢] رفقة دودين ، المكان المتعدد في الرواية ، أفكار ، ع ٢٠٠ ، عمان ، ٢٠٠٠ ، ص ٤

[٣] اميل حبيبي القصة الفلسطينية ، ص ٣٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن إحساس البطل بالذهول لترك مدينته المقدسة يدل على أن تركه لها كان قسراً لوجود قوة غاشمة تتمثل في المحتل ، لكن هذا الاعتراب عنها مؤقت، ومقدمة لعودة يؤكدها بقوله :

" هي ملكنا، هي داريا".

ونلاحظ هنا اختلاف علاقة الشخصية بالمدينة فهي علاقة حميمية لكنها معادية للقوة الغاشمة التي حلت في المكان (المدينة) فشكلت عامل طرد للشخصية

والمكان في القصة العربية وضمن علاقته بالشخصية يكشف لنا عن صفات جماعية للشخصيات وعن صفات فردية أيضاً. وعلى سبيل المثال عندما يتم الحديث عن المدينة ، ووصفها نجد تعبيرا وكشفا عن صفات ساكني المدينة الذين شكلت صفاتهم تأثير المكان (المدينة) :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" تبرز قامته التي تطل وترتفع عوقد عليها أن تعيد خلق الصور التي حطمها هذا العصر، لقد أصبح الإنسان وحيداً في أشد المواطن ازدحاماً إن ضياعنا وسط مدينتنا وإحساسنا بالوحدة مرهق [1]"

لقد كشف لنا وصف المدينة هذا مأها . وعلى الرغم من ضجيجها وصخبها و الناس فيها يشعر كل منهم بالوحدة ؛ فالجسور التي حطمها هذا العصر في المدينة هي جسور الإنسانية وروحها التي تربط أناسها . وتقيم بينهم علاقات ترقى فوق ماديتها لكن الأمر على النقيض من ذلك ، فإن ما يربط بين سكانها لا يتجاوز العلاقات المادية الجامدة التي قطعت جسور الإنسانية والتواصل بينهم مما يعني أن وصف المكان (المدينة) كشف عن صفات عامة جماعية تتسم بالسأم والجمود.

---

[1] نجمة دوار العرش، قسم القصة الخرساء، ص ٢٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكما كشف وصف المدينة عن صفات مجموع الشخصيات المرتبطة بها فإنه يكشف عن صفات فردية . إذ إنه ونتيجة لانقطاع العلاقات الإنسانية في المدينة نجد إنسانها يشعر بالوحدة والشتات والضياع حتى إنه قد يضطر إلى مسامرة نفسه تخفيفاً من وطأة تلك الوحدة.

" شعر برغبة ملحة في التحدث إلى شخص ما. صرخ بأعلى صوته في الشارع المقفر

- أريد أن أكون صديقكم .. لا تخافوا .. أحبكم !

قاطعه الرعد واخذلت خيوط المطر النحيلة سلالاً تقرع المدينة "[1].

لقد تقطعت السبل بالشخصية التي لم تجد من المدينة إلا وجهاً حلت قسماته من الإنسانية والرحمة فلم تجد مناصاً من الصراخ الذي عبر عن فراغ المدينة وإحساس الشخصية بالوحدة.

وعلى النقيض من السود وجوه العلاقات التي عكستها المدينة عن شخصياتها بتأثير نواميسها وطبيعتها نجدها قد كشفت عن الإحساس المرهف والسمات الإنسانية التي يمكن أن تتصف بها الشخصية فقد ورد في إحدى القصص التونسية ما يؤكد ذلك :

" صمت علت ابتسامة واهنة شفتيه .تذكر نفسه عندما كان بالمدينة الكبيرة كلما انهى عمله آخر الليل عاد وجياده إلى الاسطبل حيث ينامون معاً . هي أسفل وهو في سُدّة من خشب يشرف عليها من فوق وبمجرد صهيل يستيقظ من نومه ، يسرع إليها يتفقدها .يحنو عليها كالأم الرؤوم [2]".

لقد ضاقت المدينة الكبيرة على الشخصية حتى خنقتها في اسطبل تحول إلى بيت يحتضنها وعائلتها المكونة من الخيول التي تقوم على رعايتها.وقسوة المدينة لم تزد الشخصية إلا إتساعاً في قلبها ومشاعرها إذ إن تصرفها في المكان (الإسطبل)، وحسن معاملتها للخيول عبر لنا عما تتميز به من حنو و إحساس مرهف، فالمكان (المدينة) الذي حرمها الست كان له دور فاعل في

---

[1] موسم القصة الجديدة في سوريه ، ص ٧٤

[2] مختارات قصصية لكتاب تونسيين ، ص ٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشكيل هذه الصفات لدى الشخصية التي أدى افتقادها للبيت بالمفهوم الحقيقي والطبعي، الى عمق إحساسها بقيمة الجياد التي شاركتها وحدتها ، وخففت من وطأتها مما جعل هذه الجياد بمنزلة الأبناء لهذه الشخصية التي بدت كأم رؤوم تحنو عليها ، وهذا جعلها ترتبط بالمكان ارتباطاً يؤكد " ان ارتباط الإنسان بأي مكان هو ارتباط بدلالات إنسانية "[١].

مما سبق نتوصل إلى أن علاقة الشخصية بالمدينة، وكما صورتها بعض القصص العربية اتسمت بطابعها العام بالخمود والفور ، ولكنها لم تخلُ من نفحات إنسانية فردية .

ب-الشارع:

يُعَدّ الشارع من [illegible] عنها من الأمكنة الأخرى بكثرة شوارعها المعبدة التي يعبرها الناس يومياً لقضاء مصالحهم ويجتازوها للوصول إلى الأماكن الأخرى فهي [illegible]

جميع الحقوق محفوظة
هذه صورة وصل من الرسائل الجامعية

ونظراً لما يوصف به الشارع من الامتداد والتحرر من الحدود الجغرافية والهندسية فإن الشخصية تجد فيه مساحة للتسكع وترويحاً عن النفس أو تفادياً للهموم

والشارع باعتباره مكاناً " يعكس الحالة النفسية .. فبوسعنا أن نلاحظ العلاقة بين الشارع في ساعة متأخرة من الليل والشخصيات التي تعمره ومنهم السكارى[٢]" لأن الشارع هو المكان الذي يتلاءم بامتداده وانعطافاته مع الشخصية في ترحها وعدم اتزانها :" ظلت أحاسيسه المضطربة تدفعه إلى تناول الكحول بشكل عنيف بحثاً عن نسيان الشهرة ، وبلغ به الحال إلى

---

[١] رمضة عودين . المكان المقدد في "رواية أنكار" ج ١٥٩ ، شباط ٢٠٠٧ ، ص ٤١

[٢] إبراهيم السعافين . الأمكنة والزمان ص ٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السير في الشوارع في أوقات متأخرة من الليل مرحا يغني أغاني غير مفهومة [١]»

ويبدو أن علاقة الشخصية بالشارع علاقة وثيقة، فالسكير ذو الهموم لا يحتويه مكان ولا يستوعب همومه وانكساراته غير امتداد الشارع وهدوء ليله .

وتصور بعض القصص العربية وضمن هذا السياق جانباً آخر من جوانب العلاقة بين الشارع والشخصية ، تتمثل في تباين صورة المكان الواحد المتصف بنفس الصفات بالنسبة للشخصيات المرتبطة به، وذلك بعود لاختلاف زوايا النظر . فهو لإحداهما مكان قريب، حميمي تشعر بالانسجام معه، أما لغيرها فهو مكان سلبي تشعر بالنفور منه وهذا الأمر يدفعنا إلى التساؤل عن الأسباب الكامنة وراء هذا التباين، ويحول الإجابة تكمن في أن الشخصيات تسقط انفعالاتها على الشارع فتعكس صورة انفعالاتها فيه. فالشارع ، على سبيل المثال ، قد تشعر فيه الشخصية بالغربة والانطلاق، ونجد هذا واضحاً كما في المثال التالي :

" غريب هذا اليوم، الشارع فارغ من الناس والسيارات . والهدوء يرسم لوحته الشفافة.. أين الازدحام الذي اعتدت أن أراه في هذا الوقت ؟ هل أدركوا أني مسافر فأخلوا لي الطريق حتى لا أتأخر على عملياء؟ [٢]»

ألفى للشارع المزدحم الهدوء الذي يجعل منه مكاناً شفافاً بهذه الصورة الجميلة لولا ان الشخصية تعيش حالة من الهدوء والانسجام مع الذات .

---

(١) القصة في الرواية العربية المعاصرة ص ٢٤٦

(٢) نجوى الأمير من الأعماق ص ١٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى النقيض من هذه الصورة نجد الشخصية تشعر بامتداد الشارع الذي لا ينتهي انعكاساً لما تعيشه من حزن: " وقفت تحت مصباح في شارع طويل لا نهاية له .. أطول من الدنيا .. أسندت ظهري إلى خشب عامود المصباح وتنهدت..ذعر جرد مني فاختبأ في وكره ..للجرذ بيت[1]".

لقد أظهر هذا المثال إحساس الشخصية بطول الشارع حتى ليكاد يكون أطول من الدنيا وهذا مرده إلى ما تشعر به من شتات ووحدة أكدهما تعجبها من أن للجرذ بيتاً. وكأنها توحي بأنها فاقدة للاستقرار والأمان.

ومما صورته المقاطع القصصية من جوانب العلاقة بين الشارع والشخصية يتجسد في كون الشارع مساحة تختبر فيه الشخصية قدرتها على التفكير والتحليل ثم الاختيار الأمثل فإن نجحت في الاختيار فهي تستشعر الاستقرار النفسي ووضوح الرؤيا أما إذا فشلت فإن هذا يشي باضطرابها ، وعدم قدرتها على الاختيار وضبابية الرؤية التي مردها التشتت الذهني وعدم الاستقرار النفسي .

" أوقفت السيارة حائراً حين رأيت شارعين أحدهما يتجه إلى اليمين والآخر إلى اليسار.لا أذكر أنني رأيت هذين الشارعين من قبل . ترددت في الاختيار[2]" إن اجتماع الشارعين ووقوف الشخصية على مفترقهما مكنت لتميز الشخصية قدرتها على الاختيار والتي بدا من وصفها لذاتها بأنها غير قادرة على اختيار الطريق الصائب بدليل قولها " ترددت في اختيار أحدهما".

---

[1] الطوفان في المدينة المستطيلة ، ص ٢٧٥

[2] القصة ديوان العرب ، قسم القصة الشعرية ، ص ٢٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلاقة الشارع بغيره من الأمكنة ولا سيما البيت على سبيل المثال تكشف عن بعض صفات الشخصية ولا سيما حالة التغير والتبدل التي طرأت على سلوك تلك الشخصية وانفعالاتها ." منذ سنوات كان البيت هادئاً لا تصله اي ضجة ، بعد ذلك أصبح الحي شارعاً رئيسياً وبدأ البيت يفقد حميميته وهدوءه ايضاً وما عاد بمقدورها ان تحافظ على نظافته الدائمة، فالغبار يشكل في آخر النهار طبقة سميكة تغطي كل الأثاث و إذ ترفع عنه الغبار ، لا تشعر بالسعادة التي كانت تشعر بها في الماضي ، إذ ما إن تنتهي من ذلك حتى تلاحظ الغبار يداهم الأثاث من جديد[١]".

كان للتطور الذي طرأ على الحي الصغير بحيث اصبح شارعاً رئيساً يعج بالسيارات والمشاة انعكاس على مكان آخر هو البيت الذي ارتبط حميمي به ، وقد يظن القارئ وللوهلة الأولى ان الشارع هو السبب كما ادعت الشخصية أن الشارع كان يسبب لها تراكم الغبار على أثاثها ، ولكن السبب يكمن في حدوث تغير في الشخصية . وللشارع دوره في إماطة اللثام عن هذا التغير . بدليل قول الشخصية " وإذ ترفع عنه الغبار، لا تشعر بالسعادة التي كانت تشعر بها في الماضي" وسير أحداث القصة يكشف ما عكسه الشارع من تغير في حياة الشخصية وهي امرأة توفي عنها زوجها. وهجرها أبناؤها فما عادت تشعر بحميمية البيت لأنها كانت تجد فيه سابقاً مملكتها التي تحرص على نظافتها وترتيبها.

ومهما يكن من أمر علاقة الشخصية بالشارع فإن هذه العلاقة تظل غير واضحة المعالم لأن الشارع ارتبط احياناً بالحالة النفسية للشخصية وأحياناً أخرى ارتبط بحالة التغير في سلوك

---

[١] القصة ديوان العرب، قسم القصة القصيرة ، ص ٤٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشخصية ، وفي بعض الأحيان لا يتجاوز كونه ممرا تستخدمه الشخصية للعبور والوصـــول إلى أماكن أخرى.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج - الصحراء :

لئن كانت الصحراء موطن العربي الأول ، وعالمه الفسيح الذي شكل مفاهيمه وصاغ شخصيته الأولى قبل أن ينحرط في غيرها من الأمكنة الطارئة مثل المدينة على سبيل المثال، لئن كانت كذلك فقد ارتبطت دائماً في ذهنه بالشتات والتيه لما تتميز به من امتداد لا حدود له يتيه فيه البصر والإدراك ، بالإضافة إلى ما ارتبط بها من الضواري والكائنات المتوحشة مما شكل لها في ذهن الإنسان -سواء الذي عاش فيها أو الذي لم يعش - صورة ملأى بالغموض والصلابة وهي صورة ذهنية توحي بحذر العلاقة بين الإنسان والصحراء .

" بدا وكأن خطاه شاردة تجتاح بعيداً في فوضى مطلقة وتلقائية ، حافي القدمين يقطع مسافات في حلم لا تأتي له نهاية . تداهمه رؤى ضبابية حيث يذوب تماماً عن الحضور[١]".

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وللتدليل على عمق الصورة التي بدت عليها الشخصية ، فقد شبهت بحال من يسير في صحراء موحشة ، شاسعة . بطأ رمضاءها الحارقة بقدمين عاريتين، ولا يكاد يستبين طريقه وسط لهيبها ، وعبارها وسرابها مما يؤكد ارتباط الصحراء في ذهن الشخصية بالضبابية والمجهول

" الشمس اللافحة تكوي الجباه السمر . والأرض القاسية الملبدة بالأحجار والأشواك تثير الآلام في الأقدام المتعبة فتقلص الوجوه وهمس الشفاه بمهمات مبتورة[٢]".

إن شمس الصحراء المحرقة أكسبت بشرتهم اللون الأسمر الذي يميز سكان الصحاري عامة . وما في الصحراء من تضاريس غير مستوية ، وأعشاب شوكية . وإن كانت تسبب الألم، فإنها تكسب إنسان الصحراء القوة والصلابة. وهذا مثال على دور المكان الصحراوي في تشكيل

---

[١] اضطراب من الإشارات ، ص ٥ .

[٢] الحمى ، مجموعة قصصية ، ص ١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صفات الإنسان المرتبط به . وهذه هي الصورة الرئيسية من جوانب العلاقة بين الشخصية والمكان الصحراوي وتندرج تحتها العديد من الصور الذهنية والنفسية والسلوكية

ومما صورته النماذج القصصية من جوانب العلاقة بين الشخصية والصحراء تلك العلاقة الناجمة عن امتداد الصحراء ، واتساعها حتى لكأنها تتصل بالسماء على امتداد البصر مما يشعر الشخصية بتقزمها وتلاشيها بين كثبانها الرملية . أينما استدارت فالمكان صحراء بلقع لا تستطيع أن تتقدم فيها أو تتأخر وفي الوقت ذاته لا تستطيع الصمود ومن هنا تتشكل في نفسها مشاعر عدائية نحو هذا المكان :

" الكمش على نفسه إن تقدم مات وإن تأخر مات وإن بقي مكانه دون حراك فإنّ جسده سيجف من الجوع والعطش "[1]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية
لمكتبة الجامعة الاردنية

إن الصحراء لا تعرف الجمال الوجداني فإما الموت ، وإما الموت كما دار في خلد هذه الشخصية .

وكشفت لنا بعض القصص عن علاقة الشخصية بالمكان الصحراوي من خلال علاقة هذا المكان بغيره من الأمكنة لا سيما المدينة التي تشكل حلماً ، وعالماً جاذباً لإنسان الصحراء الذي ما إن يقصدها حتى يشعر بتهميشه فتلفظه المدينة كما ورد على لسان إحدى الشخصيات الصحراوية وهي تخاطب أخرى في المدينة :

" أيها الرجل . إن آلامك لا تساوي شيئاً قرب آلامي . إنك تذهب الى هناك في المدينة وتختفل تحت الشموع وناقورات البيذ . أما أنا فلم أنزل إليها إلا كشيح، او كذئب يغتصب وربة ، أعوي هنا في الفيافي ، أبحث عن عشب ضلّ من المطر والغيم، أمضغ التراب البارد

---

(١) مقطع من القصة المنشورة في الأمة ، ص ١١٠

وأنام مع أعجاز النحل الخاوية كان لي أخ هناك أحبّ جارية للأمير فقتلوه ، اصطدم رأسي بقلاع صلدة ، بأحزمة الرصاص القاسية . ثرت وقلتُ وعدتُ حتى صرتُ شحهم المرعب، مصت السنون وأنا تحت الظلام والصمت ، ألفني الذئاب والضباع حتى تركت صغارها عندي صرت جزءاً من الرمل والعيونة والصهاتر النارية ، والتلال المتحركة القاتلة [١]".

لقد كشف لنا هذا النموذج أو بكلمة أدق لخص لنا ، وبوساطة ذلك الوصف الدقيق لحياة إنسان الصحراء ، طبيعة الحياة التي تحياها الشخصية فيها . حياة تقوم على الضياع ،والبحث المستمر ، والمعاناة القاسية بحثاً عن الكلأ والمطر الذي هو بحث عن الذات، ودفاع عن الوجود.

وقد كشف لنا أيضا عن أثر المكان ومفاهيمه وقوانينه في سلوك الشخصية التي اصطدمت بقانون الصحراء الذي يحرم العلاقات الإنسانية، الذي تمثله بالقلعة الصلدة كدليل على قوة هذا القانون الصحراوي، فكان قتل الأخ الذي أحب جارية الأمير وفق قانون الصحراء دافعاً وسبباً في تغير سلوك الشخصية من البساطة والرضى بمنطق العيش إلى التمرد على هذا القانون، بقانون آخر سنه هي . قانون قائم على القتل والسفك مما أكد أن قسوة الصحراء بأجوائها وعناصر التقول فيها ، وقانونها الصلد كانت عاملاً في هذه القسوة التي بدت في مفاهيم الشخصية ، وسلوكها الجديد.

وكانت قمة المفارقة لإثبات قوة القانون الصحراوي ، وإحساس الإنسان بالوحدة في هذا المكان أن اختارت الشخصية نوعاً جديداً من العلاقات يتمثل في ارتباطها بحيوانات الصحراء الضارية التي كانت سابقاً أحد عوامل النفور منها ، لكنها صارت أحد عوامل الانسجام والتخلص من الوحدة

---

[١] القصة ديوان العرب، قسم القصة الحديثة ، ص ٢٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د- البحر :

ترتبط الشخصية بالبحر باعتباره مكاناً مفتوحاً بعلاقة تتميز عن غيرها من العلاقات التي تربطها بالأمكنة الأخرى ، ومرد ذلك الخصوصية التي تتمتع بها طبيعة البحر من حيث هو مكان يتكون عالمه من الماء الممتد باتساع ، فالإنسان مع البحر لا يتعامل مع يابسة صلدة وإنما مع ماء دائم الحركة والاضطراب حتى في أحسن حالاته مما يشعر الشخصية بقربها ورهبتها من هذا المكان .

وقد كشفت بعض القصص العربية جوانب معينة من علاقة الشخصية بالبحر وكانت غالباً تتسم بالانسجام إلى درجة التوحد والتماهي في المكان ، وذلك عندما توفرت فيه عناصر الأمان والحميمية والحرية التي تبحث عنها الشخصية ، فلم تجدها إلا في هذا المكان- أي البحر- فهو يتيح مساحة واسعة للتحرك والإحساس بالحرية والانطلاق الأمر الذي " تأثير السحر على الشخصيات ، فهو يجعل تصرفاتها محكومة بشيء خاص يمتلكه البحر وحده، فكأن هذه الشخصيات مسيّرة ، ولا تتحكم في الأفعال التي تصدر عنها "[1] حتى إن بعض الأشخاص يتمنون أن يلقوا بأنفسهم فيه :

" أحس في ذلك المساء برغبة عارمة في أن يلقي بنفسه بين أحضان أمواج البحر وأن يتحد معها في لحظة انسجام بعد أن كان يقنع بالنظر إليه وأن يعانقه بقوة قبل أن يغادره إلى الأبد "[2]

إن إحساس الشخصية بتميز البحر عن غيره من الأمكنة بالرحابة ، والطمأنينة التي يبعثها في نفسها ، يجعلها تشعر بالانسجام مع هذا المكان والرغبة في التوحد معه أكثر من غيره .

---

[1] إحسان شاهين . جماليات المكان في روايات حنا مينه ص ١٠٧

[2] قصص جزائرية ، ص ٤٠

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولئن كان البحر مكاناً لا تملك الشخصية عند الوقوف على شاطئه إلا التأمل والإحساس بالحرية ، وبالتالي الانسجام معه فإن هذه العلاقة بدت في بعض النماذج مشوبة بشيء من التوجس حتى إنّ هدوءه غالباً ما يفسر بأنه هدوء ما قبل العاصفة ، وهذا تأكيد على اضطراب علاقة الإنسان بالبحر حتى وهو في أصفى حالاته :

" سقط على الشاطئ حائراً والأمواج الصغيرة ترتمي أمامه على الرمل في وداعة خادعة لا اطمئنان فيها[١] ". ويرجع هذا التوجس إلى الحركة الدائمة للبحر ولأمواجه المتلاطمة التي لا تستقر على حال.

ولوحة البحر التي تتشكل من الماء والزرقة والسفائن . وأشعة الشمس المتلألئة على صفحته تعرف الشخصية في عالم من التأمل والتأمل الذي يستدعي صوراً مختلفة وصوراً ستأتي في لحظة تغيب فيه الشخصية عن حاضرها ، وعن مكانها وزمانها ويبدو البحر عالمها :

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" أرى بحراً عظيماً، وأرى جسدي يتقاذفه الموج، يتصعد حيناً، وأنا أتخبط وأرفع رأسي، وأصعد و أبتعد قليلاً عن الدوائر السفلية لذلك الدوار، ومن بعيد عاد صوتها ملحاً برغم الدفوف الثقيلة ، وينشط حيناً وبذبل ياسيّ ، أحسست بيدها تمشط شعري ، ورائحة عطر ليمون فاحت من أسماك تقافزت بالقرب من رأسي ، أخذت أجاهد للإمساك بصوتها وكأنه حبل نجاة، بينما كانت ترقص حيتان البحر وأسماكه[٢] ".

فالبحر كان روحاً عظيمة تماهت فيها روح الشخصية وكانت ملاذاً وفسحة للتأمل والترقب

---

[١] القصة ديوان العرب ، قسم القصة العربية ، ص ٢٢٧.

[٢] القصة ديوان العرب، قسم القصة السعودية ، ص ص ٣٤٦ ، ٣٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما سبق يتبين أن البحر أعمق دلالة في حياة الشخصية من أن يكون مياهاً ، و زرقة وأمواجاً فحسب، إنه روح نابضة بالحياة والوعي تتحد معها الشخصيات وتتفاعل . وتسقط الشخصيات عليه انفعالاتها ، وتتأثر باضطرابه .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- علاقة المكان بالزمان :

شغلت علاقة المكان بالزمان حيزاً كبيراً من الدراسات الفلسفية والاجتماعية وحتى الأدبية لكنّ القضية التي لثار دائماً ويدور حولها الجدل تتمثل في أيهما أهم و أعمق وجوداً وتأثيراً المكان أم الزمان ؟ وهل يمكن بحال من الأحوال فصل أحدهما عن الآخر.

وللوقوف على جوانب هذه القضية لا بد من التعرض لبعض الآراء حول الزمان والمكان ، وطبيعة العلاقة التي تربط أحدهما بالآخر .

يرى (هانز ميرهوف) مثلما رأى من قبله كانط و آخرون أن " الزمان هو الصورة المميزة لخبرتنا ، إنه أعم وأشمل من المجموعة الكاملة من المعلومات الآتية من العالم الخارجي للانطباعات ، والانفعالات، والأفكار التي لا يمكن أن نضفي عليها نظاماً مكانياً والزمان كذلك يعطي بصورة أكثر مباشرة، وأكثر حضوراً من المكان " فهو يرى أن الزمان يرتبط بالمكان لكنه ليس ارتباطاً تأثيرياً بنفس المستوى ، فسطوة الزمان أشد ومفهومه أشمل لأن نتائجه تظهر في المكان ، وتتمثل في الانفعالات الذاتية للإنسان .

ويؤكد علاقة الزمان بانطباعات الإنسان وانفعالاته ما ذكره (ب.س دينز) من أن الزمان "ينساب تلقائياً إلى عمق وعينا فيحدد مداركنا ، ومواقفنا ولغتنا .فنحن نحصل على المعلومة المتعلقة بالمكان إما بالعمل أو بالحواس الخارجية ، بينما تلج المعلومة المتعلقة بالزمان عبر " باب خلفي" إضافي إلى الأذهان مباشرة .

(١) هانز ميرهوف ، الزمن في الأدب ، ترجمة د. أسعد رزوق ، ص ٢٠

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن وصف بنية الزمان من خلال هذا البناء الخلفي بأنها انسياب أو تدفق متواصل بين الماضي والمستقبل يحمل معه ضمائرنا وتجاربنا من اللحظة الحالية إلى اللحظة التالية . وإذا كان المكان يرتبط في ذهن البشر بالفراغ ، فإن الزمان يجسد الحركة والنشاط الدائبين [١]" فهو يرى أن الزمان يدرك بالذهن وترجمة الانفعالات الداخلية للإنسان ، بينما المكان يدرك بالحواس، ولعله يرى أن الزمان أشمل وأعمق من المكان . على أن العلاقة بين المكان والزمان علاقة وطيدة تتمثل فيما يمكن تسميته بمفهوم الإطار وهو أن يكون المكان إطاراً حاوياً للزمان ، تقول سيزا قاسم " وإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه ، فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث . وهناك اختلاف بين طريقة إدراك الزمن وطريقة إدراك المكان، فالأول يرتبط بالإدراك النفسي أما الثاني فيرتبط بالإدراك الحسي، وقد يسقط الإدراك النفسي على الأشياء المحسوسة ليوحي بها والتعبير عنها ...فنلمس تأثير الزمن على الأشياء المحسوسة من تدهور وهدم ...الخ ومن هذا المنطلق نرى أن المكان ليس حقيقة مجردة وإنما يظهر من خلال الأشياء التي تشغل الفراغ أو الحيز، وأسلوب تقديم الأشياء هو الوصف ، بينما يرتبط الزمن بالأفعال " الأحداث" وأسلوب عرض الأحداث هو السرد[٢]" وهي بذلك تؤكد فعالية الزمن في المكان . وتوضح آلية إدراك الزمان والمكان ويمكن تشبيه علاقة الزمان بالمكان - بناء على ما ذكرته (سيزا القاسم) باللوحة التي تتكون من خلفية تمثل فضاءً خالياً لا نقوش و لا ألوان فيه إلا أنه عندما نرسم على هذه الخلفية خطوطاً ، أو نطعمها

---

[١] ماجد فهمي : المفهوم الحداثي للمكان والزمان ، ص ٢٠٠

[٢] سيزا القاسم : بناء الرواية ، ص ٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالألوان فإن هذه الخطوط والألوان تمثل الزمان بمفهوم الحدث. من هنا كان الزمان هو الأحداث بينما المكان هو الإطار أو الخلفية التي تحتوي الأحداث وتتأثر بها لذلك يمكن القول بأن تأثير الزمان في المكان تأثير عميق ، فهو الذي يملك قوة التأثير والفعل والتغير فيه وما يهمنا هو طبيعة العلاقة بين الزمان والمكان في الأدب ولا سيما في القصة باعتبار أن الزمان هو أحد العناصر البنائية الفنية التي لا تخرج كثيراً عن نطاق علاقة المكان بالزمان التي عرضنا لها سابقاً إلا في بعض النواحي الفنية التي تقتضيها فنية القصة

وقد أطلق باختين على نقطة التقاء الزمان بالمكان مفهوم (الزمكان) للدلالة على عمق الترابط بين المكان والزمان ويعرّف هذا المفهوم ليتجاوز تفاهم المكان على أنه مقولة شكلية مضمونية من مقولات الأدب...ما يحدث في الزمكان الفني الأدبي هو انصهار علاقات المكان والزمان في كل واحد مفاهيم ومتناقض ...وعلامات الزمان تتكشف في المكان ، والمكان يُدرك ويقاس بالزمان. هذا التقاطع بين الأنساق وهذا الامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان الفني [١] " وعليه يمكننا أن نفهم الزمكان بأنه يمثل اللحظة الانفعالية التي تحدث نتيجة التقاء الزمان بالمكان ولعلّ هذه اللحظة الانفعالية في القصة يوضحها ما ذهب إليه د. إبراهيم خليل بقوله : "فالمكان الذي تجري فيه المغامرة الحكية هو واحد من العناصر الفاعلة في تشكيل تلك المغامرة، وتفسير ذلك أن كلّ قصة تفضي نقطة انطلاق تبدأ منها زمنياً، وهذه النقطة لا بد من أن تندمج في المكان ، أو على الأقل ، هي في رأي (شارلز غريفال) يعلن في وقت واحد عن أصلها الزماني والمكاني [٢] "

---

[١] ميخائيل باختين : أشكال الزمان والمكان في الرواية ، ترجمة : يوسف حلاق ، ص ٦

[٢] إبراهيم خليل : الزمان في الرواية ، ص ٢٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسنحاول الوقوف على طبيعة العلاقة بين الزمان والمكان في القصة العربية القصيرة من جهة، وطبيعة العلاقة بينهما وبين الإنسان الذي يتحمل نتائج هذا التفاعل من جهة أخرى، وسنقف أيضا على ما استخدمته القصة العربية من تقنيات لإبراز هذه العلاقة ، و تجلية جوانبها، ومدى انعكاسها على تماسك البناء الفني للقصة .

أظهرت النماذج القصصية المدروسة في هذا البحث اهتمام القصة العربية القصيرة بالعلاقة بين الزمان والمكان و التي كان لها دلالات عميقة أضفت على البناء القصصي أبعادا جمالية ساهمت في تفوينه ، وتعميق الفكرة التي يحملها النص وكما هو معروف فإن الزمان له قوة وسطوة على المكان ، فهو يملك القدرة على إحداث التغيير في المكان " فهو إحدى حالات المكان التي أعطته قدرة كبيرة على التغير من لحظة وأخرى ، فالصحراء مثلا مكان أرضي صخري تتدخل عوامل الزمن والرياح لتحدث الانهيار واحتزان كمية كافية من الزمن[١]".

وهذا يندرج بطبيعة الحال على كل الأمكنة التي هي عرضة دائما للتغير والتبدل نتيجة لفعل الزمن فيها، وتأثيره عليها ، وهذا من الجوانب التي أظهرتها نماذج من القصة العربية .

وكان التغير الذي أحدثه الزمان في المكان على نوعين: شكلي يظهر في النواحي العمرانية أو المادية للمكان مثل التطور ومسايرة مقتضيات الزمن(العصر) لأن حركة الزمان التي لا تنتهي تفرع نتائجها وتأثيراتها في المكان ، فيلمس الإنسان هذا التطور والتغير الشكلي " وهكذا فإن ماضيه كان لعبا كثير المصاعب، لقد عمل صانعا في هذا المقهى بالذات حتى هذا المقهى أصبح

---

[١] صلاح صالح : الرؤية الجديدة والقصة القصيرة ص ٢٨٥

يشغل مكاناً أكبر من ذي قبل والكراسي الموجودة الآن ليست هي الخشبية القديمة ، كل شيء أصبح اليوم من (النايلون) حتى الكراسي[١]".

لقد كانت الشخصية هي الشاهد على ما أحدثه الزمان في المكان من تغيرات شكلية ، إذ إن استخدامه للفعل (أصبح) يعني التبدل من حال إلى حال أخرى ، فقد كان المقهى صغيراً يحتوي على (كراسي خشبية قديمة) ومع مرور الوقت أخذ يتغير مظهره إذ صار يشغل مساحة أكبر من ذي قبل ، ويحتوي على الكراسي البلاستيكية الحديثة .

ولا تقتصر التغيرات الشكلية المادية التي يحدثها الزمان على المكان فقط وإنما على الشخصية المرتبطة به أيضا ويكون المكان في هذا الحال هو المحرك الذي تستوعب نتائج هذه التغيرات التي أحدثها الزمان فقد ورد في احدى القصص الأردنية : "يوسف لا يتبدل (كونه) إلا مع الجيش في ١١/١ وفي هذين اليومين يكون أول من يخرج إلى الشوارع ويبدو مختلفاً قليلاً ومزهواً قليلاً يرمق قامته من فوق إلى تحت[٢]".

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إن شخصية (يوسف) الذي ظهر من قراءتنا للقصة أنه (أبله) كانت تتأثر بالزمان فيظهر ذلك على ملابسها التي تبدلها مرتين في العام فقط ، في بداية الصيف وبداية الشتاء وكان المكان (الشارع) هو الميدان الذي يشهد هذا التغير الشكلي الذي لا يعني تغيراً ذاتياً للشخصية. إلا أنه يمكننا التكهن بأن هذه الشخصية لم تكن تتصف بالبلاهة والحمق وإنما غيرها الزمان بدليل إدراكها لمعنى التاريخين الواردين في النص.

---

(١) من القصص العراقي المعاصر ص ٣٧

(٢) مجموعة من القصة القصيرة في الأردن ، ص ٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن التغير الذي يحدثه الزمان في المكان قد لا يقتصر على الجوانب الإيجابية كالتطور والتقدم، فقد اظهرت نماذج من القصة العربية أن الزمان كان يملك قوة الهدم والتدمير للمكان بالعوامل التي يمتلكها فيكون الإنسان ضحية هذا التغير السلبي:" هطلت الأمطار الغزيرة في جدة ضحى اليوم التالي..فكان بينهم أول بيت يتهدم ،وهكذا واجهته مشكلة أخرى أشد تعقيدا من الأولى ، مشكلة المأوى [1]".

كانت الأمطار أحد أشكال الزمن (الشتاء) الذي كان يملك قوة الهدم، فأدت هذه الأمطار إلى تدمير المأوى (المكان) الذي ترتبط به الشخصية. فكانت العلاقة بين الزمان والمكان تمتاز بالتنافر الأمر الذي عمق ارتباط الإنسان بالمكان.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما فيما يتعلق بتأثير الزمان في المكان فتتمثل في طبيعة الأحداث التي تجري في المكان كاشفة عن تحولات الزمن باعتباره واقعا تعيشه الشخصيات ، فيفرض هذا الواقع مفاهيمه على المكان وبالتالي على الإنسان المرتبط به .

ولعل من أبرز الجوانب التي أظهرتها القصة العربية فيما يتعلق بالتغير النفسي والاجتماعي الذي يحدثه الزمان في المكان هو تغير طبيعة العلاقات الإنسانية . فقد تبدلت هذه العلاقات من الترابط والحميمية إلى التفكك والجمود ، مما جعل الإنسان يعيش حالة من الوحدة والانعزالية وهذه الوحدة دليل على تبدل العصر (الزمن):" تبرز قامته التي تستطيل ويرتفع صوته : علينا أن نعيد خلق الجسور التي حطمها هذا العصر ، لقد أصبح الإنسان وحيدا في أشد المواطن ازدحاما ، إن ضياعنا وسط مدينتا وإحساسنا بالوحدة مرهق [2]"لقد تبدلت العلاقات

---

[1] في القصة في الأدب السعودي الحديث،ص ١٩٧

[2] القصة ديوان العرب ، قسم القصة الكويتية ، ص ٢٢٩

الإنسانية مما دفع الشخصية إلى المناداة بإعادة الجسور التي حطمها هذا العصر ، قاصدا بذلك العلاقات الإنسانية التي كان ينعم بها الناس . وكانت المدينة أهم الأمكنة التي شملها جمود في العلاقات الإنسانية مما جعل انسانها يشعر بحيادية الآخرين وعدم اكتراثهم ، مما دفعه إلى رفض هذا الواقع والتقوقع في المكان الذاتي (البيت) الذي يعني نفسه التي بات لا يشعر بالانسجام إلا معها: " كدت أن أبكي على نفسي وعندما تذكرت حيادية الناس ثم موقف الشرطي ازداد حزني قلت لا أمل في العالم ..أفضل شيء أن أعود إلى البيت [1]"

وهذه الحيادية وجمود العلاقات الإنسانية التي يفرضها الزمان على مجموع المرتبطين بالمكان يدفع بطل القصة إلى إعلان التمرد والعصيان على نواميس هذا العصر ، في محاولة منه للتغيير نحو الأفضل ، ردا معاكسا على ما يفعله به الزمن

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" هكذا صرت متمردا على قيود الزمن والوهم وعلى الطقوس الحرافية منذ كنت طفلاً مومياً في هذه المدينة [2]"

ومما يؤكد هيمنة الزمان على المكان حالة التأرجح التي يعيشها المكان . فقد اظهرت بعض النماذج القصصية قدرة الزمان على تحريك المكان ، وتغير حاله بين لحظة وأخرى ، فلا يملك إلا الخضوع لحركته وتأثيره .

" ومع ذلك فقد ظلت أحوال المقهى شبيهة بأحوال دكاكين الخردوات تزدهر يوماً وتنتكس في أغلب الأيام [3]".

---

(1) موسوعة القصة القصيرة في سوريا ، ص ١٤٦

(2) ألوان من القصة السورية ، ص ٢٧٢

(3) أطوار حيا القصة الفلسطينية ، ص ١٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تحمل علاقة الزمان بالمكان معنى المفارقة إذ من المعروف أن الزمان يحدث تغيرات عميقة في المكان مهما كانت مساحته وامتداده لكنّ المفارقة تكمن عندما يكون المكان ذا مساحة ضيقة ومع ذلك لا يملك الزمان القدرة على إحداث التأثير والتغيير: " لقد عاش سنوات طوالاً وحيداً في غرفة واحدة ، يجهد ويعمل من أجل جمع النقود، يفكر أنه سوف يؤثث بيتاً وسوف يتزوج[١]"فالمكان صغير وضيق والزمان ممتد لسنوات طويلة إلا أن التغير كان معدوماً فلم يتسع المكان ولم تحقق الشخصية أحلامها وقد يعود ذلك لقلة حيلة هذه الشخصية.

ويقابل هذا الزمن البطيء في سيره وتأثيره ما يمكن تسميته بالزمن الفعال وهو الذي لا يملك السرعة التاريخية حسب وإنما يملك القدرة على إحداث التغيير ، أو هو الذي ما زال يلعب دوراً في المكان والشخصيات على الرغم من انقضائه فالزمن انقضى فإن آثاره ما زالت ماثلة لكنه تحول إلى ذكريات تفعل فعلها في المكان والإنسان

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" إنها في نظر نفسها لم تتجاوز الثلاثين إلا من خمس سنوات ليست عددها..تقول هذا في تصميم قاطع وتزيد فتؤكده لك بهندامها وهي تخطر بين فسحة الديوان الذي تسكنه وباب (الحنية)الصغير التي جعلت منها مطبخاً (يطرقع القبقاب) في رجليها وهي تتهادى في دلال الفتاة ذات العشرين[٢]" فعلى الرغم من تقدمها في السن إلا أنها ما زالت تعيش في الزمن الماضي عندما كانت فتاة في العشرين من عمرها فهذا الزمن المنصرم ما زال يعيش فيها ، ويشكل حياتها وطبيعة علاقتها بالمكان .

---

(١) في القصص العراقي المعاصر ص ١٣٦

(٢) في القصة في الأدب السعودي الحديث ص ١٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفيما يتعلق بهذا الجانب (الزمن البطيء والفعال) نجد القصة العربية تصور وفي بعض النماذج منها ارتباط سرعة الزمان بالمكان وأثره فيه تبعاً للحالة النفسية للشخصيات . ففي الوقت الذي تشعر الشخصية فيه بالفرح وبالانتظار حدث قريب إلى النفس ،ويكون المكان ميدانه ، نجد الوقت في المكان يمر سريعاً وعلى النقيض من ذلك عندما يرتبط المكان بأحداث مؤلمة تثير في النفس الحزن نجد الإحساس يسير بالزمان بطيئاً ثقيلاً يريد من وطأة هذا الحزن والانقباض. ولعل في النموذج التالي ما يوضح هذا الجانب الذي صورته القصة تصويراً عميقاً عبرت فيه عن ذواتنا وعن إحساسنا بالزمن وتأثرنا بسيره :" لم أكن أتصور أن الأيام تركض بهذه السرعة، فقد مضت الأشهر الثلاثة وستعود إلى بيتك حيراً حانت عيا ناصر أركان البيت منذ دخل قال مالك بستانه إلى كل شيء وهادية كل شيء . أشعر وكأنني عائد من سفر طويل ربما بعد ثلاثة أعوام من الغربة" المكان واحد لكن اختلاف الإحساس نحوه فرحاً أو حزناً ، أدى إلى اختلاف الإحساس بمرور الزمن، فالشخصية هنا شعرت بأن ابتعادها عن البيت سيستغرق زمناً طويلاً بينما كان إحساسها بطيئاً بسرعة مرور الزمن عندما كانت العودة إلى البيت وشيكة . وهذا يدل على أن سرعة الزمن تتأثر بالأحوال النفسية للشخوص وبالمظهر الملموس للمكان.

إن تعلق الإنسان بالمكان يمكن أن يوصف بأنه تعلق زماني مكاني ، بمعنى أن الإنسان إذا أحس نحو مكان ما بمشاعر الارتباط والحميمية فهو إحساس وارتباط بالأحداث التي مرت به وتتمثل عادة في الذكريات الجميلة ، فكان زمناً حافلاً مما يثر لذلك تعلقت الشخصية بالمكان لارتباطه بتلك الذكريات :

---

[1] مقتطف من الإشارات، ص ص ٩٥-٩٦

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" تمنت أن تعود أيام زمان أيام بيت العز .. بـــدت المســافة بعيــدة حــداً بــين المــاضي والحاضر.. تتقلب ذات اليمين وذات الشمال لا فائدة [١]" إن تعلق الشخصية ببيت العز هــو تعلق بالأيام الخوالي العابقة بالأحداث والذكريات الجميلة مما يعطي الزمن صفة البقاء والتأثير في المكان وفي الشخصية " احتضنت هذا الفرح في داري سنين من الحب والألفة ولأنك لم تحتلوي الفراق، بل هو الذي اختارك ،بقيت تشتعلين في القلب . ظنّ أنه سيسرق روحك مــني.لكنــه فشل لأنك لازمتني منذ ليلة الفراق حتى الآن ،منذ ثلاث سنوات[٢]".

وفي مقابل ذلك نجد نفور الإنسان من مكان هو بالضرورة نفور زماني مكاني أيضاً، بمعــنى أن احتضان المكان لأحداث أو ذكريات تثير الحزن والحسرة يجعل الإنسان ينفر من ذلك المكــان الذي ارتبط بتلك الصورة المأساوية للزمان مما قد يدفع بالشخصية إلى ترك المكان ، وبالتــالي الانفصال عن الزمان الذي يرتبط به

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" دخلت البيت وأنا أشعر بجوع شديد،طلبت من امرأة أبي إعطائي العشاء فرفضت وعنفتني وبعدها هجمت علي فجأة وأخذت تضربني .. (طاش صوابي) وأخذت يداي تضربــان بقــوة بطنها المنتفخة. ارتعدت أوصالي وبعدها وجدت نفسي خارج القرية [٣]"

إن ترك الإنسان لبيته من أصعب القرارات التي يمكن أن يتخذها في حياته ولكن هذا القــرار قد يكون مبرراً عندما يفقد البيت ألفته، ويكتسي بالقسوة التي تصنعها الأحداث الجارية فيه.

ويفقد الزمان أهميته في حياة الشخصيات أو يتضاءل استمراره لصالح المكان الــذي يغــدو ارتباط الشخصيات به أحيانا أقوى من ارتباطها بالزمن، وهذا من الجوانب المهمــة والعميقــة

---

[١] الهوية ديوان العرب،مجلة الفيصل السعودية ،ص ٥٦٢

[٢] عشارات من الإمارات،ص ١٤٤

[٣] في المقهى العراقي العاشر ، ص ١٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي صورها بعض القصص العربية . ففي حياة الإنسان محطات زمانية ومكانية عديدة يمر بها ، ويرتبط في أثنائها بالمكان والزمان، ولكون قوة الزمن وأهميته وتأثيره كبيراً على الإنسان الذي ما يزال في مقبل العمر ، أو الإنسان الذي ما تزال لديه قوة الحلم والتأمل والإحساس بالمستقبل . ولكن عندما يتقدم الإنسان في العمر ويصل إلى سن متقدمة نجد إحساسه بقيمة الزمان وجمالياته معدومة ، وما تبقى من إحساس بالزمن إنما هو إحساس بقرب لحظة الموت ، وفي هذه الحالة نجد المكان هو المسيطر والمهيمن على الشخصية " هذا هو الموت يكبر في ظلام الغرفة . يتشكل في عظام رجل بلغ السبعين . جبل صخري أذابته حرارة الشمس التي تسافر مع الزمن،فطمس فيه معالم الرجل"[1]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لقد أذاب الزمن جسمه وقوته وأحاله إلى كومة من عظام هشة في غرفة مظلمة تحمد فيها الزمن وبقيت منه لحظة واحدة فقط هي الموت

وتلك الفتاة التي لم تحظ بفرصة الزواج نجد إحساسها بالزمن يتضاءل لأنه فقد وظيفته في حياتها والمتمثلة في منحها طاقات للتأمل بالمستقبل ، وصنع الذكريات الجميلة . فماضيها والزمن الآن الذي تجمد في بنيها وتحول إلى وحدة قاتلة تحيط بها :" ولما طال انتظارها عبثاً اتسع القصر الذي تسكنه على وحدتها القاسية فانتقلت ببعض أثاثها إلى الديوان في أسفل طبقة منه وعرضت الباقي للإيجار وعاشت تتجرع غصة وحدتها"[2] لقد تقلص المكان بمرور الزمن وتضاءلت معه مساحة الفرح والأمل مما دفع الشخصية إلى الانزواء في ركن ضيق من المكان يتسع فقط لوحدتها التي باتت رفيقها الوحيد في هذا المكان .

---

(1) أحمد الطعمولة وأخيه إبراهيم في الدائرة الغامضة للسرد ص ٢٠

(2) في القصة في الأدب السعودي الحديث ص ١٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يكون تعلق الإنسان الشديد بالمكان سببا من أسباب عدم الإحساس بمـــرور الزمـــان وأهميته لأن المكان هو الذي يشكل الشخصية وبوحه سلوكها لطبيعته الخاصة " غرق في غرامه "للحداق"بعدنذٍ حتى ذقنه،فتلهى فترة غير قصيرة به، وبعوالم بحره العالم به دوماً.أدخل في أتونها كل أقرانه المدارس وانتقلوا من الصف الى الذي يليه وهو لم يزل في انشغاله بـــالبحر[١]".لقـــد انشغل بالبحر إلى حد التماهي به ففقد الشعور بمرور الزمن ، وهذا يمنعه من مسايرة متطلبـــات الحياة اليومية مثل الالتحاق بالمدرسة ومتابعة حياته. فقد فصل الارتباط بالبحر على أن يـــهتم بمرور الزمن مما أفقد الزمن أهميته في حياة الشخصة على الرغم من أنها في حالة تختلـــف كـــل الاختلاف عن الحالات السابقة .

وعندما يتجهم الزمن ويحتل في طياته الماضي والقسوة تجد بتجمد في حياة الشخصية وهـــا المقصود الزمن الحاضر (المعاصر) بتوالياته المتوحلة التي يرتبط الإنسان بالزمان هـــي رابطـــه الذكريات الماضية بما فيها من خلال بلقة. وهنا تجدر الاشارة إلى أن الزمن الحاضر يتجمـــد في لحظة العودة إلى الماضي عبر تيار الوعي لدى الشخصية . " هو يرى المدينة صفة لا تستحق أن ترى فكلها وجه واحد. المكان موحش والساعة توقفت من زمان وإذا للذة فاستعادة ذكريات الحرب والموت في العائلة ومواسم الحصرة أو مناسبات تحليل اللبمون وتفطير الزهر[٢]"

إن التغيرات السلبية التي أحدثها الزمان في المكان (المدينة) دفعت الشخصية إلى الإحســـاس بوحشة المكان ، وثبوت الزمان وما وجدت من وسيلة للهروب إلا الذكريات الماضية .

---

(١) بحارات من الأعمال ص ١٤٢

(٢) لعبة الطفولة والحلم والواقع في الأدب العربي الحديث ص ٤٠

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ كثيراً من أحداث الحاضر في المكان لا سيما الفعالات الشخصيات المرتبطة به وسلوكها. قد تكون مبهمة غامضة لا يمكن تفسيرها ، أو الوقوف على حقيقتها إلا بالعودة إلى الزمن الماضي، وهذا أحد الجوانب التي صورتها القصة وهو جانب مهم في ربط الحاضر بالماضي والتأكيد على هيمنة الماضي رغم انفصاله." عندما عاد بسام إلى بيته عند منتصف الليل كان قد انتهى من قلقه العاصف ودون أي رابطة منطقية قفز خياله إلى صورة أخرى تذكر أنه ذات يوم كان في حوش قريب من المقهى مع دعد التي كان متوقعاً أن تصبح خطيبته في يوم من الأيام"[١].

لم تستطع فهم قلق الشخصية الحاضر دون العودة بالوعي إلى ذكريات ماضية وقفا بوساطتها على سبب هذا القلق الذي تمثل في إخفاق بسام الشخصية ، كما يبدو في الارتباط بـ دعد) بدليل قوله "التي كان متوقعاً أن تصبح خطيبته" ويبدو أن هذا التوقع قد خاب وانقضت الأيام وشكلت لديه هذا القلق العاصف ، فتذكُّر الماضي هنا ارتبط بالحوش القريب من المقهى

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن التقنيات التي وظفتها القصة العربية لاظهار عمق الارتباط بين المكان والزمان عملية امتزاج الأزمنة : الماضي والحاضر والمستقبل في المكان الواحد وهنا تكون الشخصية هي وسيلة تجسيد هذا الامتزاج بين الأزمنة " عدت تلك الليلة إلى منزلنا وقد انبثقت أشعة الفجر الأولى فلم أجد أحداً ينتظرني ، ومن عساه يفعل ذلك سوى الوالدة !وأمي قد استأثر بها الله منذ زمن

---

[١] حنا مينا، الثلج يأتي من النافذة، ص ٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طويل وخلفها امرأة ما كانت لتهتم بي في قليل أو كثير. وكنت اعرف أن أحد طعامي التهمته على عجل،ثم تمددت على فراشي وسبحت في أحلام مشرقة وبنيت من الخيال قصوراً رائعة..إلى أن رحت في نوم هادئ لذيذ، نقلني إلى عالم أبهج وأجمل [1]".

المكان والبيت ، مساحة امتزجت فيها أزمنة ثلاث تمثل الماضي منها بالأم وما ارتبط بها من ذكريات وهذا الزمن كانت وسيلة استدعائه الارتداد عبر الذاكرة فهو زمن تذكري . أما الزمن الحاضر فقد تمثل بزوجة الأب الذي تم تمثله بوساطة الوعي والإدراك ولعل هذا الزمن الحاضر وقسوته المتمثلة بقسوة زوجة الأب كان السبب في إطلاق العنان للمخيلة في الزمن المستقبل الذي تأمل الشخصية أن يكون مليئا بالأحلام والانجازات

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وهذا التكثيف الزماني في المكانة يعكس لهجة ما والطريقة العلاقة التي تربطهما بعض . ومن الملاحظ في النماذج المدروسة أن امتزاج الزمن الحاضر والماضي هو الأكثر شيوعاً وتوظيفاً في القصة العربية والأمثلة على ذلك كثيرة حتى نلاحظ هيمنة الفعل الماضي في القصص العربية على الأقل في القصص المدروسة في هذا البحث ، وهذا الامتزاج بين الماضي والحاضر يقودنا إلى جانب مهم في القصة العربية ويتمثل في الصراع بين الماضي باعتباره المعبر عن الهوية والتاريخ ، والحاضر الذي يحاول طمس الهوية التاريخية ، وهذا الجانب تم تجسيده والتعبير عنه من زوايا مختلفة سنقف على أهمها فيما يلي

يبدو أن إحساس الإنسان لا سيما العربي بانفجار العصر الحاضر لمعاني الإنسانية ، وانغماسه في المادية وحالة الصراع الذي يعانيه متمثلا في محاولات طمس هويته ، وأسباب وجوده ، كانت من أهم أسباب ارتباطه بالماضي لاحساسه بأن التمسك بالماضي وسيلته للدفاع عن ذلك

---

[1] عبارات قصصية لحنا مينه ، ص٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوجود، وتلك الهوية ، وهذا يتطلب دراسة الماضي ، واستلهام العبر ، وأسباب الاعتزاز بالذات بوعي وموضوعية .

" الوعي هو ان ندرك أن لحولة أطلالاً وهند القصيد. أين المرقش وخزيات أبي دواس؟.. وأين دار عبلة بالجواء؟ لحدها عادات من الرمل والنخل وأبراج الحديد.الصيف وأهل الساحل الحاضرون بالأمس كانوا..واليوم يعلون في طائرات نحوت السماء والفنادق ..بلدان الساعات المرصعة والبيت الذي تخفق الأرياح فيه لم يعد أحبّ البنا من قصر منيف، لا لبس العباءة يجدي ولا لبس الشفوف أين نرتحل[1]".

الوعي كما ورد في النموذج هو ضرورة الاحتفاء بالماضي وعدم فهم عراه والارتباط به. فالصراع الدائر بين الماضي المتمثل بالأرض الطلل والخيام والبيت الذي تخفق الأرياح فيه وما تمثله من دعوة إلى التمسك بالهوية وأسباب الوجود، وبين القصر المنيف ،وبلدان الساعات المرصعة والفنادق ذلك كله يمثل الحاضر والتغير السلبي الذي ساق فيه الإنسان العربي ضارباً عرض الحائط بمحاولات طمس هويته، وإلغاء وجوده فهذا الصراع يعانيه الإنسان العربي ويقاسي من نتائجه وقد لاحظنا كيف تم تصويره عبر ثنائيات مكانية متناثرة .

وتمثل ثنائية المدينة والصحراء وجهاً آخر لهذا الصراع بين الماضي والحاضر باعتبار أن الصحراء هي مكان العربي الأول الذي احتضن وجوده وأمجاده وذكرياته ومنحه الهوية والتميز، بينما المدينة هي التغير الذي طرأ على الصحراء ، وفرض نواميسه التي أصبحت تتنافر مع مفاهيم الصحراء وقيمها " إنّ ضياعنا وسط مدينتنا وإحساسنا بالوحدة مرهق . هذه

[1] عبارات من الأغنية ، ص ١٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صحراؤنا لقد استطاع دفء الإنسان فيها أن يملأ أطرافها المترامية فخلقت مجداً من الهيـــم[1] "وهذا الصراع بين الزمن الماضي والحاضر الممثلة نتائجه في المكان سواء الصحراء أو المدينـــة كان الإنسان هو المحمل الوحيد لهذه النتائج والمتأثر بها.

وثمة جانب معاكس لما سبق يتجسد في الدعوة إلى نسيان الماضي والتخلص من كل ما يمثلـه بدعوى التحضر والتعصرن وهذه دعوة جوفاء لا يمكن أن تصنع حاضراً ولا مستقبلاً:

" قالوا له : علة مرضك ميكروب الماضي. وتلزمك حقن المستقبل. ماذا أعرف؟ المقـهى في اعتياده اليومي ، نفس التشكيلة الاجتماعية ونفس النوع من السّباح، مغربي أسـود وشـقراء أجنبية يشربان الجعة [illegible] عشق جميع العصور في شكلها المتواصل[2]"

وهذا يمثل الصراع بين الموروث والوافد الذي يمثل الاستلاب الاجتماعي ، و هو صـراع غـير متكافئ ، ونتائجه وخيمة على الهوية والوجود [illegible] المعـاصرة ولا التحضـر، فالحضارة لا تبنى على الأنقاض بل على أسس قوية مبنية من الوعي بالماضي، والتعمق في فـهم الحاضر وعدم الانسياق وراء الآخر.

والأماكن التاريخية والآثار القديمة جزء لا يتجزأ من شخصية الإنسان إذ " إن وجود هـذه الأماكن ...يربط ما بين الحاضر والماضي على نحو ما، وكأنه يشير إلى استمرار التواصـل بـين الأجيال.في الوقت الذي يظن فيه بعضهم ،بحكم سلوكه أو الظروف الطارئة ، أنّ الانقطاع قدر لا مفرّ منه[3]"ومن هذه الأماكن البيوت القديمة التي يسميها البعض (بيت العائلة) وهو البيـت الذي تعاقبت أجيال عديدة على العيش فيه فكان مساحة اختزنت حقباً تاريخية متعـددة فـهو

---

[1] قصة عنوان المعجزات ، قصر القصة الكويتية ، ص ٤٥.

[2] أبو السمك والقط (قراءة في تاريخ القصة العربية) ص ١٠٠.

[3] حاضر الماضي . حوار مع تراثنا ص ٢٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكان مشبع بالزمن ، وقد يلجأ إليه الإنسان عندما يتجهم حاضره وتنفقه الأمكنة الحديثة مثلما فعلت هذه الشخصية في إحدى القصص الأردنية : " حدث أن لفظتني المدينة إلى (الشحرة) مؤخراً، خطر ببالي أن ادخل البيت الكبير الذي صار اسمه (بيت الحواس) ، هذا البيت يختزل حقبة بأسرها ويحيلها إلى خليط عجيب يرقد في الظل والنسيان. وصلت البيت الكبير ، قلبت الأشياء ، وأنا أستحضر صوراً مختلفة بين الماضي والحاضر[١]".

إن لجوء الشخصية إلى البيت الكبير الذي يمثل الزمن الماضي هو تأكيد على عدم الانسجام مع الزمن الحاضر فكان الماضي بكل ذكرياته ملاذاً. وفي هذا السياق نجد أن احتفاظ الإنسان بالأشياء القديمة وحرصه عليها يعود إلى الصورة التي يستحضرها الذي هو الملجأ والذكرى ، لا سيما عندما ينقطع حبل الرجاء في الزمن القادم لإنسان عندئذ منها التقدم في العمر.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" إنها محقة بعض الشيء في الحرص على أثاثها، ولا سبيل له بالطبع من حيث الدقة والإتقان وهو يروي ولا شك عشرات الحكايات عن رجال ونساء أقاموا في هذه الصالة إن فعل الإنسان فيه جلي ويستحق منا بعض الاهتمام كما أن فعله في الإنسان جلي أيضاً[٢]".

ويمكن تفسير هذا الحرص الذي أبدته الشخصية نحو أثاث بيتها بأنه حرص بالضرورة على ذكريات باتت تشكل زاداً لها في حاضرها الذي توقف فيه الزمن ، وتجمد في المكان.

من جوانب العلاقة بين الزمان والمكان التي صورتها القصة تذكر الأمكنة في مكان آخر في الزمن الماضي أو المستقبل لوجود علاقة التشابه بين كلا المكانين والزمانين وفي هذا السياق قد

---

(١) مجموعة من القصة القصيرة في الأردن ، ص ١٨٤

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكون صورة المكان انعكاساً لصورة قبحه في الزمن الماضي، وهنا تكون فعالية المكان عميقة في النفس إذ تكون السطوة للمكان الذي يساعد في استحضار صور الزمن الماضي.

" وزوج لا أدري أسميه زوجاً أم اسميه دوداً يزحف في ظلام قبري ليأكل من جسدي في نهم، وبيت ياهت متربٍ الجوانب كل ما فيه يوحي بحياة القرون السابقة التي كان طابعها البؤس والتأخر والشقاء[١]"

لقد جاءت صورة البيت بقبحها وقسوتها التي وصفتها الشخصية لتذكرنا بصورة أخرى لأمكنة مشابهة في قسوتها وشقائها في أزمنة سابقة. وقد تحيلنا الصورة الحاضرة إلى صورة أخرى مشابهة في زمن آخر لا سيما المستقبل عندما يكون مملوءاً بالحركة والجمال، إذ تفتح المجال واسعاً أمام الخيال بصورها المتباينة وتحيلنا إلى ما تحدث عن الأمسيات في (جنيته) ويصف لي نهارها وليلها في مختلف الفصول حتى جالت نفسي أقصى أصائل الأنس في جنات عدن[٢]" إن وصف ما يجري في الأمسيات التي تقيمها الشخصية في حديقة البيت أطلق العنان لمن يستمع هذا الوصف كي يتخيل صورة أجمل منها في جنات عدن على الرغم من البون الشاسع بينهما، لكن الفكرة تكمن في قدرة الزمن الحاضر على الإحالة إلى أزمنة أخرى في أماكن أخرى ماضياً أو مستقبلاً.

ومنطق الحياة يفرض أن يكون في المكان زمن واقعي (حاضر) واحد و إذا ما امتزجت في المكان الواحد أزمنة متعددة إنما تكون متفاوتة من حيث توقيتها كما تحدثنا سابقاً عن امتزاج الزمن الماضي، والحاضر، والمستقبل في المكان الواحد عبر الذاكرة، والوعي، والمخيلة. لكن

---

[١] و [٢] من القصة في الأدب السعودي الحديث، ص ٢٠٨

[٢] مختارات قصصية لإدريس، ص ٧١

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المفارقة تكمن عندما يجري في المكان الواحد زمنان واقعيان (حاضران) غير منسجمين ، والعلاقة بينهما قائمة على الصراع ، والفعل ورد الفعل . وكل منهما يحاول فرض نواميسه وسيطرته، والمكان هو الشاهد وهو ميدان هذا الصراع . فالمكان الفلسطيني مثلاً يتميز عن غيره من الأمكنة بانه واقع تحت سيطرة زمنين : الزمن الفلسطيني إذا جاز التعبير - وهو الزمن الطبيعي المتفق مع المكان والمنسجم معه ومع إنسانه، يصنع تاريخه ، ويحذر وجوده ، ويحافظ على هويته، ويمتاز بالفعالية والديناميه في صراعه، ومواجهته للزمن الآخر ، وهو زمن المحتل مع أن ارتباط زمن الاحتلال بالمكان ارتباط طارئ دخيل لأن المنطق يفرض أن يكون للزمن مكان طبيعي يوجد فيه، والمحتل زمن لا مكان له إذا اعتبرنا عودته إلى وطنه الأصلي واقعاً يفرض نفسه ونواميسه التي يرفضها ويواجهها المكان الفلسطيني وزمنه وإنسانه.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" الرائحة ذاتها تلك التي انبعثت منذ اليوم الذي انفصلت فيه الألوان صبغتها عندما استيقظت القدس في الصباح، وكانت الأشياء قد تراجعت إلى الوراء مخلفة وراءها جثثاً كثيرة ، ووجوهاً ذاهلة. يومها قلت للقدس ابتعدي قليلاً عن المكان ..اخرجي من جلدك واهربي . أصرخ من بعيد، وكنت بلا صوت. صاح صوتي في ضجيج الحاس، وصخب الأحذية الثقيلة لكن القدس ظلت واقفة في المكان ذاته وابتعدت أنا [١]".

٥٦٣١٢٨

ولئن فرض المحتل واقعه وزمنه على المكان الفلسطيني فسرق الأمن ، والأرض ، وخلف الدمار والجثث، والوجوه الذاهلة ، فإنه لم يستطع أن يسحق الصمود والثبات،وإرادة التحدي لاسترجاع المكان الفلسطيني ، ودحر الزمن الإسرائيلي

---

[١] اميل توما: القضية الفلسطينية، ص ٢٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان مما صورته القصة عبر المكان ردود الفعل التي تجري على الأرض الفلسطينية إذ إن قسوة المحتل ومحاولاته لطمس الهوية ، يقابل بارتباط عميق بالأرض وبالزمن التاريخي الذي يستمد منه الإنسان الفلسطيني ثباته، وثقته بأن التاريخ ستكون له كلمته كما كانت له دائماً في دحر كل زمن طارئ محتل ،ورد في إحدى القصص السودانية :

" محل وتاريخ الميلاد: القدس ٥٨٣ هـ

المهنة ومحل العمل : راع في الخلاء .

محل السكن بالتفصيل كهف بالقرب من عين غارت وشجرة جفت[1]".

إن المكان (القدس) والزمان التاريخي (٥٨٣هـ) يشكلان الذاكرة التاريخية التي يجب أن لا تنسى ، ويختزلان تاريخ كامل الشعب الفلسطيني الذي غارت عيون مياهه ، وجفت أشجار أرضه ، وتقدم الكهف الذي لم يخف عزيمة ولم يثني صموده

" أنا المناضل الذي لم تشقني سنوات السجن الطويلة ولم أيأس لحظة واحدة في حياتي ...لم تكن الحياة مظلمة بالنسبة لي وأنا في الزنازين ، كانت تملئ أملاً بالمستقبل ، كنت دائما متفائلاً لم يتسرب اليأس إلى نفسي.. في السجن لم يُثنني شيء عن عزيمتي وصمودي [2]".

لقد كان السجن مكاناً زج فيه المحتل بانسان المكان الفلسطيني في محاولة منه لكسر صموده، لكنه صار مدرسة يتعلم فيها المعتقل الصبر، ويمارس هواية الأمل والتفاؤل بالمستقبل، فكان بقعة مكانية امتزجت فيها أزمنة الظلم والصمود والأمل بالمستقبل

---

[1] عبارات من الأدب السوداني ، ص ١٢٧

[2] المطولوجا القصة الفلسطينية ، ص ٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن زمن الحتل هو المسيطر بل فرض الزمن الفلسطيني وجوده فدب الرعب في قلوب المحتلين ، وكانت ثورته وصموده و إتيانه بحقه هاجساً أقض مضجع الحتل وما زال، وحطم أسطورته وزعزع آماله في إقامه كيانه الطحين المشوه .

" ربما بدت الشوارع الخالية كأنها هي لمدينة أشباح. ولكن (أبراهام) كان يعرف أنها ستكون بلدة شياطين في اليوم التالي . حين تخرج الجموع الغضبى في حارة الشابين الذين سقطا صريعين مساء ذلك اليوم برصاص المستوطنين وكان يأمل في سره أن يشتد المطر والبرد على ذلك يخفف أو يرجئ الصدام المنتظر "[1]

كان هذا النموذج زاخرا بالألفاظ الدالة على الزمان (اليوم التالي - مساء - المطر - الصدام المنتظر) كل ذلك مرتبط بالزمن الذي يحتل المقاومة الأقصى الوقت الذي يخرج فيه الفلسطينيون ثائرين غاضبين في حارة الشابين اللذين سقطا على يد المحتلين ، هذا الوقت يشكل هاجساً للمحتلين الذين يتراجع رعبهم في ذواتهم أمام قوة الزمن الفلسطيني.

ومن نتائج الاحتلال على الأرض الفلسطينية التهجير والتشريد للإنسان الذي عاش في أمكنة منسوجة غزيرة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً من قبل إنها المخيمات والذي سنطلق عليه زمن المخيم الذي عاش فيه الفلسطيني بعد أن فقد المأوى والأرض ولكنه لم يفقد إحساسه بأن أشباه البيوت هذه ستزول عندما يزول زمن الاحتلال الذي فرضها . وقد صورت القصة العربية المخيم أدق تصوير و أبلغه وعبرت عنه تعبيراً صادقاً وعميقاً عمق بداخلنا الإيمان بحقنا ، ورفض الانصياع لقوانين زمن الحتل لأن الأرض لا تقبل رهناً غير زمنها الطبيعي فلنظر إلى لوحة المخيم القاتمة في إحدى القصص السورية :

---

[1] يعقوب وحيا القصة الفلسطينية ، ص ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" كان هذا المخيم يتألف من أكوام صغيرة سوداء مبعثرة على الأرض، لا يمكن إذا ما انفصلت عن بعضها أن توجد لها أسماء . أما إذا اجتمعت معاً فيمكنها أن تشكل مأوى لبعض الأشياء . غير أنها لسوء الحظ تعيش في داخلها نفوس بشرية لاجئة، ويبدو أن تاريخ البشرية لم يشهد في حياته الطويلة مثل هذه الملاجئ وإلا لوضع لها اسماً في يوم من الأيام [١]".

نعم لم يشهد التاريخ مثل هذه الأكوام من أشباه البيوت لكنه سيشهد زوال الزمن الطارئ (المحتل) واستمرار الزمن الفلسطيني الذي لم يتوقف أبداً.

ونتبين مما سبقت دراسته عن طبيعة العلاقة بين المكان والزمان في القصة العربية أنها علاقة وطيدة قائمة على التأثير والتأثر [illegible] وأعمق أثراً ودلالة بالإضافة إلى أن الزمان كان تأثيره في المكان يشكل مباشر غير المباشر الذي يحدثه فيه . ويشكل غير مباشر عبر تأثيره في الشخصيات التي تتأثر بالمكان وبتأثير الزمان عليه فتسقط انفعالاتها عليه.

المكتبة الجامعية الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[١] جبرا ابراهيم جبرا، قصة سورية ، ص ١٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج- علاقة المكان باللغة

للغة دور بارز، ومهم في الكشف عن جماليات المكان في القصة، وتوثيق علاقته بعناصر البناء القصصي. فالكاتب يبني مكانه، ويحمله آراءه وأفكاره بوساطة اللغة المكثفة المعبرة عن المعاني أو الأفكار التي يريدها

وهنا لا بد من التمييز بين اللغة العادية وهي لغة الكلام المتداول بين الناس، ولغة الأدب التي تميز الأعمال الأدبية عن غيرها. وفي هذا السياق يمكن القول بأن لغة الكلام العادي تشكل المادة الخام التي تستخدم في الأدب لكن بعد صياغتها وإعادة تشكيلها بأسلوب أدبي لأن " وظيفة لغة التعبير الأدبي ليست تعبيرية، تعلق بالفكرة ما كما أنها ليست إخبارية، بمعنى أنها لا تنقل إلينا معلومة تخصها، ولكنها في الواقع تركيب معين واختيار معين، يكشف عن النظام الدقيق المعقد الذي يربط بين العناصر اللغوية من ناحية ثم بينها وبين عالم التجربة غير اللغوية من ناحية أخرى "[1].

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والأسلوب هو الذي يبرز اللغة الأدبية ويميزها عن غيرها من لغات وهنا بالذات تكمن براعة المؤلف وتميزه من خلال طريقة إمساكه باللغة، وتوظيفه لها توظيفاً بارعاً. يربط عناصر البناء القصصي من جهة، ويبرز جماليات هذه العناصر من جهة أخرى عما فيها المكان موضوع هذه الدراسة.

وهذا يؤكد أن دور اللغة " الحقيقي ليس في ذاتها فحسب ولكن فيما تكشف عنه من عناصر أخرى هي قوام العمل القصصي، فهي القصة لا تشغلنا اللغة في ذاتها إنما هي - على نحو ما

---

[1] سيزا قاسم، بناء الرواية من وجهة نظر الدراسات الأدبية المعاصرة، ص ٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصفها بعض النقاد- كالوحاح الذي ينظر من خلاله إلى غيره ، في حين تشغلنا اللغة في القصيدة الشعرية عما عداها [١]"

فاللغة تشكل الحركة الثانية في القصة التي توازي بالضرورة مع المضمون الذي تشكل عالمه ، وتقدمه بصورة فنية مما يؤكد ما أكده النظر النقدي الحديث القائل بوحدة العمل الفني " لأن الرؤية تتشكل من صميم الحركة الثانية، فليس ثمة مضمون منفصل عن حركة البنية الداخلية للعمل القصصي إن إدراك الواقع إدراكاً جمالياً يلغي بالضرورة عملية الفصل بين الشكل والمضمون[٢]"

وتزخر اللغة بالطاقات الفنية التي يمكن استغلالها في بناء المكان القصصي، والكشف عن جمالياته، وتجلية جوانبه بعداً عن الأسلوب المباشر الذي يمنع الفكرة ولا يطور البناء القصصي والأسلوب غير المباشر والإيحاء يغني الإبلاغ والمعرفة عما هو مألوف، و المعرفة عند بعضهم هي " جوهر العمل الفني وتتبدى في مستويات مختلفة : أولها اللغة المكثفة بضجيج الحركة. وتزاحم الأفعال المتفجرة ، وتواتب الجمل الاستفهامية، وطوفان المونولوج الداخلي . وتلك الجمل المسترخية على مهاد التقرير ، كذلك المفارقة بين الداخل والخارج: المحيط المكاني بإيقاعه البطيء والحركة الجوانية المضطرمة. والحشد المفعم بالثقافة التاريخية في إطار التداعيات الحرة [٣]" وغيرها الكثير من أساليب اللغة وتقنياتها التي تساهم في تحقيق هذه المفارقة

وبما أن اللغة تؤدي دوراً مهماً في بناء المكان القصصي فإننا سنحاول الوقوف على أهم الطرائق التي وظفتها القصة العربية القصيرة في تشييد المكان القصصي ،وتوظيفه جمالياً.

---

[١] محمد صالح الشطي ،القصة القصيرة المعاصرة ،ص ٨٣

[٢] المرجع نفسه ،ص ص ٨٣-٨٤

[٣] محمد صالح الشطي ،القصة القصيرة المعاصرة ،ص ٨٤

جميع الحقوق محفوظة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونود هنا إلى أننا لا نتعامل مع قصص بعينها نقوم بقراءتها وتحليلها من أولها إلى آخرها، للوقوف على طبيعة اللغة فيها ودورها في المكان ، لكننا نتعامل مع مقاطع مجتزأة تخص بالمكان وعلاقته باللغة مما يجعل المهمة صعبة ، لذلك سنحاول الوقوف على أبرز هذه الطرائق وأكثرها تأثيراً في بناء المكان القصصي .

١-المشهد المكاني بين الوصف والصورة الفنية :

يعد الوصف من أبرز التقنيات اللغوية التي تؤدي دوراً بارزاً في القصة العربية القصيرة . حتى ليكاد يكون التقنية اللغوية المهيمنة لأن الوصف أحد الأساليب التي تساهم في تقريب المكان من المتلقي وتكشف عن الكثير من العلاقات القائمة إلى جانب دوره في تجسيد المكان واستنطاقه عما يحمله من رؤى وأفكار. كذلك فإن "الوصف أداة عمل لمتقبل القصة ملامح وسمات وخصائص وأحوالا يكون مدارها - عادة- الأشياء والأماكن والشخصيات . وتكون طرائق ذلك التمثيل وغاياته مختلفة اختلاف المذاهب والأجناس القصصية .. ومهما يكن من أمر فإن الوصف أداة أساسية في القصة بها تتم نقل الأعمال بنقل الأحوال وبها يضطلع بالبعد " المكاني" إلى جانب البعد" الزماني" الذي يؤديه السرد"[1].

ومن الجوانب التي ينهض الوصف في كشفها : الأبعاد الاجتماعية والنفسية للشخصية المرتبطة بالمكان : " أثقلها الفراغ هي الجملة حد الدهشة . شغلها البيت قليلاً وكانت مستثارة في لعبة التأثيث العجالية. غيرت أثاثه ثلاث مرات . ليس لأنها اجتماعية كانت تملأ ليالي

[1] الصفاقسي، مسعود، طرائق تحليل القصة ، ص ١٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البيت سهرات وموسيقى. بل لأنها أيضاً كانت تحب أن تستعرض ذوقها و تخفيها وكل عجائبيات بيتها [١]".

يتبين لنا بوساطة تقنية الوصف أن الشخصية تتمتع بمستوى اجتماعي ومادي مرتفع بالإضافة إلى أنها تتصف نفسياً بالخواء الفكري الذي تحاول ملأه بلعبة المأثث العجائبية ، وقضاء الأوقات بما لا يفيد كالسهرات والموسيقى .

والوصف يساهم في تحريك المكان ، ويسهّل عملية التنقل في أرجائه وبالتالي الإحساس بوعينا به وبحيويته" إنه يصعد إلى غرفته الموحشة على السطح إلى الجدران الصماء التي تحيط بأيامه، تحدق بوحدته، وتحدد فيها بالخطوات وظلامه وعليه أن يعد فراشه بنفسه كل ليلة وقد ضجر بذلك كله [٢]".

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إن وصف المكان بالغرفة، بجدرانها الصماء وتحديقها الدائم بوحدته أشعرنا بأن المكان متحرك نابض بالحيوية على الرغم من اسمه (غرفة) أو بعض الكلمات التي تدل على السكون في وصفه مثل (جدران صماء ..تحدق).

والوصف السَردي للمكان يساهم في تمكين القارئ من تخيّل الصورة التي هو عليها " مقهى شعبي يعج برائحة النبغ والأجساد الناحلة ذات الوجوه الغارقة في بحر من الكآبة والرماد توقف قليلاً عند مدخلها الكبير ، كانت العيون شاخصة يلفها الانكسار تتابع شاشة تلفاز ملونة، اضطربت أمعاؤه ألماً، شعر بالاختناق . نظر للبوابة المشرعة فمها للشارع . خرج مبللاً بالعرق[٣]".

---

[١] لعبة الطفولة والحلم وقراءة في ذاكرة الأمكنة الشعرية، ص ٧٦.

[٢] القصة فنون النثر، قسم القصة القصيرة ، ص ٥٢٤.

[٣] مسافرات من الإمارات ، ص ١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد ساهم وصف المكان (المقهى) عبر الصور الوجوه العارقة في بحر من الكآبة ، العيون الشاخصة ، اضطربت أمعاؤه ، في تجسيد الهموم والقسوة التي يختصها هذا المكان عبر وصف حال روّاده ، بالإضافة إلى أنه كشف عن علاقة الشخصية الرئيسة بالمكان الذي وجدت فيه مكاناً موبوءاً بالهموم والحزن فآثرت تركه والانفلات من قيوده

وثمة أسلوب يقوم على وصف الشخصية باعتبارها جزءاً من المكان . فالمكان " ليس مجرد ديكور بل يتسرب إلى البنية التكوينية للشخصية ذاتها لأن الكاتب ينمي عملية الوصف فلا يقف بها عند النضاريس الخارجية للمكان ، بل يقترب تدريجياً من الشخصية التي يقف المكان شاهداً على بعض قسماتها"[1] وتجربة احتفاء القصص محفوظة

مركز الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

"هو هو لا داعي لأن تقرأ أكثر شقاء .. أه .. لا تعرفان الا الحديث عن فلسطين وطاولة المقهى والأصدقاء المجتمعين"[2]

كانت الشخصية وبما ظهر من وصفها بأنها واعية لواقعها السياسي من خلال ارتباطها بالمكان (الوطن) ، بالإضافة إلى تميزها بسمات اجتماعية أبرزها ارتباطها بالأصدقاء الذين كان المقهى مكاناً يجتمعون فيه . فقد رأينا عند الحديث عن المقهى أنه يتحول إلى مساحة مكانية تبدي فيه الشخصيات آراءها في القضايا السياسية على اختلاف مستويات هذه الشخصيات الفكرية والثقافية .

وفي بعض النماذج القصصية وجدنا الوصف يساهم في إبراز سمات البيئة التي ينتمي إليها

---

[1] محمد صابح السلمي . القصة القصيرة الفلسطينية . ص ٢٠٠

[2] محمد عبد الله . القصة القصيرة في فلسطين والأردن . ص ٢٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكان ، وهذا نلمح في القصة القصيرة واضح ، وهو الذي تمكننا عبر تقنية الوصف من أن ندرك إن كانت البيئة التي ينتمي إليها المكان بيئة شامية أو مغربية أو خليجية ... الخ فعلى سبيل المثال لا الحصر " دخل إلى البيت فألفى زوجته بانتظاره والعشاء جاهز والموبع الكبير نظيف والكراسي الصغيرة مرصوفة على جانبيه ، وفي الصدر مجلسه والطرابيح التي يتخذها هو والزوار متكآت لهم في أماكنها والعوطة قبالة البيت "[١].

كان لاستخدام بعض الكلمات في وصف المكان مثل (طرابيح - العوطة) دور في إبراز سمات البيئة الشامية التي ينتمي إليها المكان .

وفي نماذج قصصية أخرى وجدنا اتكاء وصفي المكان وتجسيده على الصور الفنية التي ساهمت في تشخيصه مما أضفى عليه حركة وأعطاه مزيداً من الوعي الذي جعلنا نتفاعل معه، وبالتالي كانت الفكرة التي أراد الكاتب إيصالها عبر هذه الصورة أقرب إلى الفهم والاستيعاب .

" وقف .. كان السائق يراقبه بابتسامة متعجبة ... نظر حوله وقال :

ألم أقل لك إنه يتكلم

رد السائق بالإنجليزية

لا أفهم

تابع وكأنه يحادث نفسه : البحر يتكلم ، إنه يتكلم العربية

كان البحر يصهل خلف ظهره وهو يرتد إلى السيارة محلقاً وراءه دهشة السائق ، وآثار الملح التي أخذت ترتسم بين أصابعه خرائط مبهمة "[٢].

---

[١] جميل عشرة قصة سورية ، ص ٤١

[٢] عبد الله عن القصة القصيرة في الأردن ، ص ١٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان لملح البحر القدرة على الكلام ولا سيما باللغة العربية أثره في تعبيره عن ضرورة التمسك بالهوية العربية . بالإضافة إلى ما أضفته الاستعارة المكنية (البحر يصهل) على المكان من تأصيل لهذه الهوية وذلك بتشبيه البحر بالجواد الذي هو أحد رموز الأصالة العربية .

بالإضافة إلى أن الصور الفنية كان لها دور بارز في تحديد المشهد المكاني ، وتحويله إلى لقطة تصويرية نراها ونسمع امتزاج الأصوات فيها :

" جفت لهات الشارع وبقايا نعراف المطر على الإسفلت اللماع. وهجم فرس الليل الشتوي على أزقة المدينة المتعانقة فازدادت انكماشاً وتظاهرت بأنها تحلم "[١]

لقد ضجت الصورة السابقة بعناصر الحركة في الصوت واللون. تلك الصورة التي لم تكن لتتجسد إلا بالتصوير الفني الذي جسّده النص فظهر في لهات الشارع الذي بدا كإنسان تعب من السير في ليلة ماطرة، وبدا كذلك في المدينة التي تعانقت أزقتها وتضامت خوفاً من فرس الليل، وتظاهرت بأنها تحلم تخلصاً من كابوس الليل المخيف

وكانت الصور الفنية في بعض النماذج تستمد عناصرها من البيئة المكانية التي تصورها وتعكس جمالياتها " بدت الصحراء لعينيه متاهة رمادية واسعة من الأرض الخراب. تنبت فوقها أعشاب شوكية متباعدة تتخذ شكل رؤوس شيطانية منحفزة "[٢].

كان لتشبيه أعشاب الصحراء بالرؤوس الشيطانية المتحفزة للهجوم على الشخصية السائرة في متاهة الصحراء دور في إضفاء الواقعية والمصداقية على الصورة التي استمدت عناصرها من

---

[١] موسوعة القصة القصيرة في سوريا ، ص ٧٠

[٢] المطر لونها الوحيد الباقي ، ص ٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البنة الصحراوية .فارتباط الصحراء بعالم الجن والشياطين جعل الكاتب يستمد من هذه الكائنات صورها لتشكيل صورته المرتبطة بالصحراء.

وفي بعض النماذج القصصية كان للمكان في الوقت الحاضر دور في استدعاء أمكنة من الماضي مثل القرية والصحراء فهي أشياء مفتقدة في الوقت الحالي لكن استدعاء صورها له معان ودلالات عميقة:

" اليوم يبدو طويلاً دائماً لأنه يبدأ مبكراً لن يأتي أحد رغما ستمر بها جارتها أم إلياس بعد ساعة كعادتها. وستخبرها كم تتعبها تربية أحفادها بعد وفاة ابنهم ستبكي ..ستلعن الأيام وستنظر إلى البعد وتتحدث عن جيتهم الطويل الحلو ومتتبع في عينيها تتمس حقوقهم [٢١].

إن قسوة الحياة في الزمن والمكان الحاضرين كانت داقعاً لاستدعاء صور البيت القديم في الجبل، الذي هو مكان مفتقد وتقيا لكل [illegible] وكان هذا الاستدعاء دلالته على تجذر البيت المفتقد وصراعه مع البيت الحالي .

مركز ايداع الرسائل الجامعية
مكتبة الجامعة الأردنية

٢-الألفاظ :

والألفاظ هي مادة اللغة التي بها تصاغ الصور. وتتحدد الأمكنة التي يشعر بقربها أو عداوتها ، ذلك أنه من الملامح اللغوية المتصلة بوصف المكان وصفاً سردياً أو تحدده عبر الصور الفنية ،تفاوت الألفاظ الموظفة في تشكيل المكان بين القوة و الرقة .

لقد كانت بعض المشاهد المكانية أشبه بلوحة تشافة الألوان والخطوط وذلك لتلونها بالألفاظ الرقيقة التي اختارها الكاتب لإحداث الأثر التواصلي بيننا وبين المكان فلننظر إلى هذا النموذج

---

[٢١] الأفعى ديوان الجوع ، قسم القصة القصيرة ، ص ٢٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" أنقش حكايتنا على أوراق الورد..أعزف قصائدنا على آلات ناي مبحوح..أسافر على أجنحة الحلم إلى كوخ أقصاه على رابي الشفق..يصبغ أفراحنا بلون الأفق الفيروزي..أزهرت أحلامنا تعريشة ياسمينة حلوة..عبق أزاهير الحناء كان يعطر جوا [١] ".

كانت الألفاظ الموظفة في وصف الكوخ من الرفة ، والخفة حتى تحول المشهد المكاني إلى قصيدة شعرية ، متناسقة المقاطع، مكتفة المشاعر ، وما كان الراوي يختار هذه الألفاظ الرقيقة إلا لعمق ما يربطه بالمكان .

وعلى النقيض من تلك الصورة المكانية ورقة ألفاظها الموظفة في صياغتها وتشكيلها، نجد صورة المكان ذاته(البيت) تتجسد ولكن بألفاظ لا تخلو من القوة التي تنم عن القسوة والخشونة حتى لكأن المكان لوحة مكتوبة بألفاظ مقطوعة لا تعتني عليها القتامة والعشوائية:

" لم يكن البيت الذي أحلم به أحلى البيوت..بل كان أقرب ما يكون لي فرصة لاختيار لون الستائر، وطقم الفرش..كل شيء معد والبيت جاهز للسكنى . واصلت صمتي وحددت واجباتي الزوجية بتلك التي أوصتني بها أمي فقط ، إعداد الطعام ، غسل الثياب ، ترتيب البيت، تربية الأولاد ..لبقى حزني قابعاً في أعماقي . ينتهز أي فرصة متاحة ليتسرب غضبان فينتقم ممن احتل مكاناً ليس له، و أسكنني بيتاً ليس لي بل أضفى على اسمي كنية لا أحبها [٢] ".

لقد نجح الكاتب في تشكيل صورة قاتمة للمكان ، أشعرتنا كمتلقين بالنفور منه ولم يكن ذلك يتأتى إلا بما وظفه من ألفاظ تمثلي حزناً وقسوة مثل (حزني-غضبان- لينتقم-صمتي).

---

[١] القصة بعنوان الغربة ضمن المجموعة "السقوط في بئر" ص ٢٥

[٢] المصدر نفسه ، ضمن المجموعة السابقة ، ص ٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما سبق نتبين أن الألفاظ تساهم في نقل حالة الكراهية أو الحميمية التي يتصف بها المكان إلى المتلقي وهذا يدل على دور الكاتب في التحكم بألفاظه لتنسجم مع ما يعبر عنه.

وفي بعض النماذج القصصية وجدنا الألفاظ الموظفة في تجسيد المكان والتعبير عن دلالاته ضاجة بالحركة للإيحاء بقدرة المكان على التفاعل فلنستمع إلى هذا النموذج الضاج بالحركة والصوت:

" الضجيج والغبار يلف الشوارع . والعابرون في الطرقات يخبئون الجمر تحت أحشادهم ، بئر العرق شلال ماء، وأنا غائب عن المدينة "[1].

(الضجيج– الغبار – العابرون– شلال ماء – الجمر ..) ألفاظ وظفت في وصف المكان (الشارع) الذي بدت صورته بجوار خوف الشوارع وأحشاءهم

أجواؤه صاخبة بفعل الغبار ، وتكاد تسمع هدير شلال العرق النهمر من أجساد المارة كل هذه العناصر الموحية بالحركة والمعبرة عن دلالات الصورة المكانية كانت لتتشكل على هذا النحو إلا بالألفاظ التي عبرت أعمق التعبير عن حالة البؤس والشقاء التي استشعرناها وتأثرنا بها.

وفي بعض النماذج وجدنا الألفاظ هادئة توحي بهدوء المكان وبحالة السكينة والطمأنينة التي يشيعها المكان في الشخصيات ذاتها .

" خرجوا إلى الشوارع التي أرقها التشقق، رأوا الرذاذ قطرات ضوء تتقافز حول المصابيح برشاقة ، وأقواس قزح تتسلقي على الشوارع و الأرصفة بارتخاء "[2].

---

[1] القصة وديوان الغرب ، قصر القصة الأردنية ، ص ٢٢٨.

[2] نماذج من القصة القصيرة في الأردن ، ص ص ٧٠-٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ساهمت الألفاظ الموظفة في تجسيد المشهد المكاني مثل:" الرداذ ، أقواس قزح، تستلقي بارتخاء..الخ) في إشاعة جو من الهدوء والصمت المطبق على المكان تعبيراً عن حالة الخور التي شاعت في المكان(الشارع)بسبب سقوط المطر بعد انقطاع أشعرنا بالجفاف الذي عبر عنه بتشقق الشوارع . من هنا نتبين أن الألفاظ تلونت بطبيعة المكان صخباً أو هدوءاً . فقد ساهمت الألفاظ في تحول المكان إلى صورة شاعرية هادئة

٣-مستويات اللغة الموظفة في وصف المكان :

وفيما يتعلق بمستويات اللغة فقد كانت الظاهرة البارزة في الصياغة القصصية اعتماد الفصحى سواء في السرد أو الحوار والأمثلة على ذلك كثيرة لا يمكن حصرها ولا داعي لتكرار هذه الأمثلة التي وردت في متن الدراسة لا سيما في الفصلين الأول والثاني .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لكن هذا الالتزام بالفصحى لم يمنع من استخدام اللهجة العامية في بعض النماذج التي سنورد أمثلة عليها وذلك لا يعني اقتناعنا بالمزج بين الفصحى والعامية في القصة العربية القصيرة ومما عمق هذه القناعة أننا تعاملنا مع أعداد كبيرة من القصص التي صيغ معظمها بالعربية الفصحى وهذه لا ضير فيها ،لكن المشكلة تحلت في القصص التي وظفت فيها اللهجة العامية مما كان سبباً في عدم حصول التواصل المطلوب لا سيما في اللهجات المغربية مما يؤكد أن الفصحى هي المستوى الاعتيادي ، والموحد للفهم والادراك ، وبالتالي التواصل بين أبناء هذا الوطن .

وسأورد فيما يلي بعض النماذج أمثلة لاستخدام اللهجة العامية وما شكلته من إبهام في معنى الكلمات ، وبالتالي ما أحدثته من خلل في تشييد صورة المكان في خيال القارئ:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" مرة حشتني أختي - جانوا - راحيين للسما وهي وحدها باليت .. خشتني بالمطبخ.. اشلون مطبخ عدهم عالك مصبوغ باللبن.. وكعدت على الكاشي المنقش وحابتلي بداية ما عون عمي ومرك .. وصلخمه كله [١] ".

وهذا مثال على استخدام اللهجة العراقية في وصف المكان مما جعل بعض الكلمات مبهمة، وبعضها الآخر مفسّر من خلال السياق العام للنص.

والمثال التالي من اللهجة المصرية التي يستطيع فهمها لطول قربها منا. وتعاملنا معها بوساطة أجهزة الإعلام : " خرج من هذا البيت ، من البيوت المتضامة الكثيفة إلى الكورنيش، وتسرام الأنفوشي بأي مصلحة من بعيد كله لعلمه وعقله مضيء إلى الصباح في نهاية المدينة [٢].

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن اللهجات العربية الأخرى اللهجة المغربية سواء المغرب أو تونس..الخ وهي لهجة صعبة على فهمنا نظراً للبعد الجغرافي لهذه البلاد ، وتأثرها بعلاقات الجوار مع الدول الأجنبية.

ومن الأمثلة عليها : " لقد لفظوا عني أوساخهم أعواماً طويلة ورأسي معباة بقاذورات المدينة والقرية وهم يسألوني (يمنه وقماش؟ أنسيك ؟! آش نسمي [٣] ".

ولكننا نعتقد أن لجوء الكتاب إلى توظيف اللهجة الدارجة في تجسيد المشهد المكاني لم يكن اعتباطياً ، فلو تعمقنا في الأثر الذي أحدثه استخدام الدارجة لوجدنا أنها ساهمت إلى حد ما في إبراز اللون المحلي والشعبي والطابع البيئي المميز لكل بلد فكانت هذه الكلمات الدارجة تفصح أكثر من غيرها -إذا جاز التعبير- عن خصوصية المكان ، فمن خلال هذه اللهجات

---

[١] في القصص العراقي المعاصر ، ص ١٠٠.

[٢] القصة ديوان العرب ، قسم القصة المصرية ، ص ١٠٠.

[٣] الحارات قصة لكتاب بوسيف ، ص ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استطعنا أن نبين المكان والبيئة التي تنتمي إليها القصة ونعبر عنها حتى لو لم تكن لدينا معرفة مسبقة . ولكن هذا لا يمنع أن القصحى أقدر على التعبير والتجسيد المكاني .

٤-السرد والحوار :

أما السرد والحوار فهما من الأساليب القصصية التي لا يمكن الاستغناء عنها لا سيما السرد في بناء المكان القصصي ، وشحنه بالرؤى والأفكار ،وجعله نابضا بالحركة والفعالية ومعظم النماذج القصصة كانت تعتمد السرد في وصف المكان وتقديمه لمساعدة المتلقي في الوقوف على طبيعة علاقته بالمرتبطين به

" كان المشلمون [redacted] فضائلهم بعض الكلمة و والصحي كلمة يقولونها للرجال ، وسنة أشهر ١٢(...) تمر وكأنها سنة أيام. وحين يخرج من السجن فتوقف تمشي أمام الناس مرفوع الرأس يرم شنبه مثل (أبو زيد الهلالي) وكأنه (بجانب رأس تقيب) الرجال يوقرونه. مهنئين على جدعنته وتسوة الحي يسهرن ثلاث أو اربع ليال يغنين ويرقصن له[١]".

فالسرد يعتمد على تقديم الأفعال ، ويرتبط غالبا بالجمل الفعلية التي تساهم في تحريك المكان والكشف عن جمالياته فالأعمال الواردة في النموذج السابق تتمثل في اعتقال الشخصية واعتبارها للمكان (السجن) بأنه مكان تختبر فيه صلابة الرجال ولا سيما أنه سجن الاحتلال . ثم مرور فترة الحكم والخروج من السجن الذي له تأثيره الإيجابي في الشخصية فتخرج منه مرفوعة الرأس ، مستحقة تهنئة الرجال وأغاني النساء إشادة بشجاعتها .

وفي بعض النماذج القصصية وجدنا السرد وبوجود ألفاظ معينة توحي بتحرك المشهد أو الصورة ،يشي بحدوث اضطراب ما في المكان أو يساهم في الإيحاء بأن شيئا ما سيقع : " ثمة

---

[١] القصة دوائر الغرب، قسم القصة المصرية ، ص ٤٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيوت ترقي على سفح منحدر جبلي تلفح روادها نسمة لطيفة نشطة ما لبث أن تصير إلى عصف ريح عنيف[١]".

كان السرد موحياً بأن المكان يتسم بالهدوء وتلفه نسمات هادئة لكن استخدام كلمات (تصير إلى عصف ريح عنيف) حركت المشهد، وأوحت بحدوث اضطراب ما سيحرم المكان هدوءه وسكينته.

والحوار من التقنيات التي اعتمدت عليها بعض الأمثلة في بناء المكان فالحوار تقنية تسلهم في إضفاء عنصر التشويق، وتقوم بمهمة التفسير والكشف عن طبيعة علاقة الشخصية بالمكان بالإضافة إلى أن من خصائصه [illegible] في القصة يمكن أن يمثل كل منها رؤية خاصة مداورها قضايا مختلفة يعبر عنها بعبارات وأساليب متباينة هي في الحقيقة وجوه من إمكانيات اللغة وطاقات اللسان[٢]" ومن الرؤى التي يكشف عنها الحوار اختلاف وجهات النظر حول المكان وبالتالي اختلاف طبيعة العلاقة به من شخصية لأخرى :

"- منذ متى جئت إلى المدينة ؟

- منذ سنة .لكن لقمة العيش تخرج الإنسان من بلاد إلى بلاد.

- ولماذا تركت البلاد ؟

- البلاد تركها صغار الملاك وتركوا أرضهم وراحوا يبحثون عن أعمال في المدن[٣]".

لقد كشف الحوار عن طبيعة علاقة الشخصية بالمكان وهي علاقة طارئة قائمة على ترك المكان (مسقط الرأس) الذي قد يكون قرية أو صحراء ، والقدوم إلى المدينة التي تمثل مصدر

---

[١] موسم الهجرة إلى الشمال ص ٨٧

[٢] الصادق قسومة. طرائق تحليل القصة ص ٢١٩

[٣] الوان من القصة السورية ص ٢٦٤

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت المقاطع الحوارية مختلفة الأطوال فمنها ما يتسم بالاختزال ومنها ما يمتاز بـــالطول. وهذا الطول في بعض المقاطع الحوارية كان يحول الموقف إلى مجرد جدل فلسفي لا يخدم الفكرة:

"– ما الذي أتى بك إلى هنا؟

- أتعنيني؟

- نعم أنت ...

- جئت لأتنعش بحمام البخار

- أقصد المدينة

- لا أعرف، شيء يطلق عليه "التيه"

- لماذا لا تعرف؟ في وطنك هناك فجر الحضارة لا يدرك

- لأنه الفجر فهو لي بالليل ولا بالنهار، أضاء وأشعل

- أنت مخبول بلا شك ..كفى استخفافاً بالأرواح النبيلة ..ألا تراني ؟

- عفواً من أنت ؟

- أنا ؟ هو أنت

- كلا شتان بيني وبينك [٢٠]"

كان الحوار السابق يعبر عن فكرة عميقة تتمثل في حالة التيه والاغـــتراب الـــتي يعيشـــها الإنسان العربي والتي تتمثل في الشعور بالانفصال عن المكان، لكن طول المقطع الحواري حولـه إلى ما يشبه الجدل الفلسفي أو الثرثرة الوجدانية.

---

[٢٠] الأفعى تبوء العرش ، قسم القصة القصيرة ، ص ٤٧١.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أشكال الحوار الموظفة في القصة العربية القصيرة ولا سيما في تشكيل المكان ما يعرف بالحوار الباطني (المونولوج) وهو من تقنيات الشفافية النفسية الداخلية ،فهو يساهم في كشف خلجات النفس ومشاعرها ، ويساعد القارئ على فهم الوظيفة الفنية للمكان ولا سيما المشاعر التي تربطها بالمكان.

" أيتها الروح اطمئني .

ويا أيها القلب خفف قليلاً من هيجان نبضك

- غرفة صغيرة ..ولما؟ من يصدق خرافة كهذه ؟

- كنت قد تعذبت كثيراً في الحصول عليها تهرب طويلاً كنت ملاذاً

- يعني مشرد؟"

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كشف الحوار الذي أجراه الشخصية مع ذاتها عما تعانيه من عزلة وتشتت مما جعل المكان بالنسبة إليها حلماً بعيد المنال وعندما تحقق كان بمثابة الخرافة التي لم يتحملها عقلها .

والمونولوج يكشف عن طبيعة العلاقة التي تربط الشخصية بالمكان من حيث كونه مكاناً معادياً أو أليفاً وبوساطة هذا الحوار الداخلي نقف على الدلالات والرؤى التي أراد الكاتب بثها عبر هذه التقنية . فالسجن على سبيل المثال مكان مليء بالقسوة والوحدة مما يدفع الشخصية (السجين) إلى محاورة نفسها لتبديد هذه الوحدة و الوحشة .

" كان الحذر يقتات أطرافه حتى يكاد يغشاها تماماً. حدق في سقف الزنزانة فطالعه وجه (هركافي) المختفي النئيم وتذكر كل ما حدث له .

" والله ما عاد لي اي أمل بالخروج"

---

[١١٤] موضوعه القصة القصيرة في سورية ، ص ١٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" ولكن ماذا أفعل ؟!"

" لم يبق لديك أي قدرة على الاحتمال ، إن قمت فأنت مضروب، أو نمت فأنت مضروب، وإن سكت أو نطقت فأنت مضروب، تأكل هذا الضرب وتبقى ساكتاً[١]".

بدا وكأن الشخصية تحاور سقف الزنزانة الذي هو الشيء الوحيد الذي يصل إليه بصر السجين ، ولكن ما سبق لم يكن إلا حواراً داخلياً كشف عن العلاقة المعادية التي تربط الشخصية بالمكان(السجن) كما عبر عن احتقار الشخصية للسجان ، وقسوته وما يمثله من احتلال وهذا السجان (هركافي) كان استدعاء صورته سلفاً في إجراء الحوار السابق.

وكان لظاهرة المونولوج في القصة العربية الحديثة دور في تعبير هذه التقنية عن حالة الوحدة والإحباط التي يعيشها الإنسان العربي فقد وردت إحدى القصص : " لا أعرف هذا المكان ، ولا أعرف من أوصلني إليه ، ولا كيف جئت إلى هنا؟ نفسي متعبة ومحبطة وبائسة وغير راغبة في شيء[٢]".

لم يكن حديث الشخصية هذا لنفسها تعبيراً عن حالة مفردة لا يمكن تعميمها ، ولكنه يعبر عن حالة عامة يعيشها الإنسان العربي الذي لم تعد لديه القدرة على تبين طريقه وسط غابة من التشعبات والطرق. وهذا يؤكد أن شيوع المونولوج يقودنا إلى الاعتقاد بأنه ما وظف إلا للتعبير عن هذه الحالة العربية .

---

[١] الضفة مواد الغد ، قسم القدس الفلسطينية ، ص ٢٨.

[٢] اختارات من الإمارات ، ص ٤٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥-تيار الوعي:

والاسترجاع عبر الذاكرة أو ما يسمى بـ(تيار الوعي) تقنية هامة جداً لا تكاد تخلو منها القصة والرواية على حد سواء لأنها تعمق إحساس الشخصية بالمكان لا سيما أمكنة الذكريات.فالشخصية وإن كانت ترتبط بالمكان الحاضر الذي يمثل الزمن الحالي فإنها لا تنفك تسترجع ذكرياتها عن الأمكنة القديمة سواءً الأليفة منها أو المعادية .

وتساهم هذه التقنية في سبر أغوار الشخصية وتوضيح علاقتها بالمكان . وكنا قد تناولناها عند الحديث عن علاقة المكان بالزمان، إذ تبين أن المكان الحاضر الذي يمثل فعلاً حاضراً يثير مكامن الذاكرة التي تمثل الماضي فيعم [illegible] تساهم في تصعيد التأزم النفسي لدى الشخصية، والمكان هو ميدان هذا الامتزاج وهذا التأزم" تقدم على مهل نحو الشاطئ حريصاً على ألا يقطع حبل الذكرى الكثيرة التي تذكره بحياة طويلة قضاها هناك بالجبل وبالضلال كان يخرج منه دائماً فائزاً..ولم تلحق به الهزيمة إلا هنا بالمدينة منذ خمسة أعوام ..هزيمة مذلة لنفسه ولمعتقداته ولإيمانه وعاداته وتربيته"[1].

لقد بدت عملية الاسترجاع عبر الذاكرة كشريط سينمائي أسهم في شحن الحركة النفسية الداخلية . كما أنه في عملية الاسترجاع يتكثف الزمان في المكان حيث يمكن وصف حركة الأزمنة الماضي والحاضر بأنها حركة متوازية لا متعاقبة.والأمثلة على تيار الوعي كثيرة حتى لتكاد تشكل ظاهرة في القصة العربية القصيرة لا سيما ما يتعلق منها بالمكان والمجال لا يسمح بذكر هذه الأمثلة لأنه ورد العديد منها في متن هذه الرسالة حتى لا تتحول هذه الدراسة إلى مجرد تجميع وحصر للأمثلة .

---

(1) قصص جزائرية ، ص ١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي بعض النماذج القصصية وجدنا المزج بين المونولوج والاسترجاع (التيار الوعي) اللذيـــن عمقا جانباً من الشخصية وهو الذي يربطها بالمكان. بالإضافة إلى تعميق الوعي بدور المكـــان في تشكيل الشخصية وتجسيد انفعالاتها، وتوجيه سلوكها وهذا كله لا يتأتى إلا باللغة التي تشـــكل اللوحة المكانية الخاصة للشخصية:

" بقيت وحدي أدخن آلامي، وأمضغ عذاباتي، وبعد لحظات رأيت تحليلات الأرصاد الجوية لأحوال البحر تتجسد حقيقة إذ بدأت الموجات الرقراقة الصغيرة تنمـــو فتتحـــول بـــالتدريج السريع إلى موجات هوجاء عاصفة وشعرت بالسفينة تتارجح بدلال وهدأت أعصابي لتـــارجح السفينة الهادئ وبدأت آلامي الخوالي ترتسم أمامي من جديد وعاد شريط الطفولة يطاردني [١]".

بدت العلاقة وثيقة بين المونولوج والتيار الوعي، إذ كشف لنا المونولـــوج عـــن هواجـــس الشخصية وهمومها، وما تعانيه من عذابات ووحدة، وهو بعد داخلي رافقه وصـــف للبعـــد الخارجي الذي يشكله المكان المتجسد بالبحر، وحركة امواجه التي بدأت رقراقة ثم تحولـــت إلى هوجاء عاصفة منسجمة مع توغل الشخصية في البوح لذاتها ومعها، وكان هذا المونولوج دافعـــاً لعملية الاسترجاع والارتداد عبر الذاكرة مما عمق إحساس الشـــخصية بـــالوحدة، وبالتـــالي التوحد مع البحر والسفينة وأمواجه. وكان المكان هو البطل الحقيقي الذي شكل البؤرة الـــتي تجسدت فيها هذه المعاناة وتلك الذكريات.

كما نلاحظ في هذا النموذج الأثر العميق الذي أحدثته الانزياحات التركيبـــة المتمثلـــة في قوله(أدخن آلامي وأمضغ عذاباتي)، فقد أحدثت لنا هذه الاختيارات مفاجأة عمقت إحساســـنا

---

[١] الوقائع من القصة الأردنية، ص ١٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالمكان الممتلئ ألماً وإحباطاً ووحدة فالمضع على سبيل المثال عملية بطيئة وصعبة توحي بمرارة الآلام التي يتم مضغها .

٦-الضمائر :

على الرغم من أن الضمائر " قضية لغوية في الأصل . لكن ما يفيده الضمير في المعنى قد يكون مختلفا عما يفهم منه عادة في النحو "[١] عندما تتكلم الشخصية باستخدام ضمير الغائب على سبيل المثال فقد لا يكون المقصود شخصية أخرى غير ذاتها فضمير الغائب في هذه الحالة مرجعيته المتكلم .

وكان للضمائر باعتبارها تتجلى باختلاف تحضر المكان . والكشف عما يربط الشخصيات به بالإضافة إلى استكناه ما يحمله المكان من دلالات عبر هذه الضمائر .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تعددت الضمائر التي تم توظيفها في النماذج القصصية الخاصة بالمكان إلا أن ضمير الغائب كان الأكثر شيوعاً وتوظيفاً في القصص المختارة وهذا النوع من الضمائر يتيح فرصة أمام القارئ ليؤدي دوراً في فهم المكان ومشاركة الشخصيات حيواتها فيه إذ تتجسد " أهمية ضمير الغائب في وضع القارئ في لحظة " الحضور" إذ إن الأسلوب الملحمي أقدر على تجسيد لحظة الحضور من ضمير المتكلم "[٢] " هي امرأة تستغيث في واد أصم قاي الدروب تقود إليك وقد تحال الرسالة إلى وزارة الصحة أو الشؤون البلدية أو الثقافة لدراسة الطلب فهل يكتبون عليها " تحفظ" لأنني امرأة مشلولة لا تملك إلا نافذة للذاكرة وسريراً واغطية في غرفة بعيدة مكتوب على بابها" غرفة العناية الحثيثة "[٣] .

---

[١] الصادق قسومة . طرائق تحليل القصة . ص ١٧٠

[٢] إبراهيم السعافين : الأقنعة والمرايا . ص ٧٧

[٣] الحوارات من القصة القصيرة في الأردن . ص ٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان لضمير الغائب الذي يدين به النموذج دوره في شد انتباه القارئ لمتابعة ما يلي من سرد يكشف عن طبيعة الشخصية صاحبة الضمير(هي) التي كانت امرأة تعاني من الوحدة والضيق وتحاول التعبير عن ذاتها فيرتد إليها صوتها بعد أن اصطدم بصلابة المكان وصممه وهذا أتاح لنا مشاركة هذه المرأة حياتها المرتبطة بهذا المكان . بالإضافة إلى أن التحول من ضمير الغائب إلى المخاطب (فأي الدروب تقود إليك) ساهم في تفسير استغاثة الشخصية التي عبر عنها ضمير الغائب وجاء ضمير المتكلم (لأنني امرأة متشظية) لتعميق الإحساس بهذه اللوحة المكانية التي تضج بالهم والوحدة لأن ضمير المتكلم يعمق السمة الوجدانية والنفسية التي تتحول إلى ما يشبه البوح والشكوى.

جميع الحقوق محفوظة

بالإضافة إلى وجود بعض المقاطع التي امتزج فيها ضمير المتكلم مع المونولوج مما أتاح للقصة صدقاً وشفافية وعمق وكشف الخراب لتصوير المكان والكشف عن مشاعر الشخصية الحقيقية نحوه .

" اغتسلت وغيرت ثيابي وخرجت . في الشارع عاد الهدوء إلى نفسي وشعرت بأنني أنطلق من سجن معلق ،واخذت أتجول في الشوارع على غير هدى وأنا أسائل نفسي: عجيب أن يكون الشخص منا في بيته فيحس بالوحشة وخارج بيته يحس بالطمأنينة "[١].

ساهم ضمير المتكلم في تصوير الحالة النفسية والمتمثلة بالضيق الذي دفعها إلى التحول في الشوارع مما هيأنا لنتلقى تفسيراً لهذه الحالة التي كان سببها العلاقة الكارهة للمكان (البيت)، وهذا التفسير جاء عبر التحول من ضمير المتكلم إلى المونولوج فكان لتداخلهما في النص دور في الكشف عن طبيعة ما يربط الشخصية بمكانين مختلفين (الشارع والبيت).

---

[١] الثوب من المجموعة القصصية ، ص ٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي بعض النماذج كان القصد من ضمير المتكلم أو الغائب شحن المكان بالدلالات والرموز إلا أن التحول من ضمير (المفرد) إلى ضمير الجمع أدى إلى إفشال عملية الترميز لأنها تخضع إلى تقريرات فلسفية مكشوفة :

" عندما أكون جالسا وحدي في المقهى مساء الاثنين أو الثلاثاء أكاد أفهقه أمام الناس ها أنذ أعيش في العاصمة منذ مدة طويلة وها أنت في قاعدة " سيدي أحمد" لكن الأحوال بقيت كما هي . الأشياء المحروقة بقيت محروقة والأشياء المعفنة بقيت متعفنة ...وبقينا نتحدث عن المستقبل [1] ".

لو التزمت الشخصية من بداية النص إلى نهايته بالتحول إلى ضمير الجمع لكانت الفكرة أكثر عمقا من ناحية التلوين لأن ضمير المفرد لو تم استغلاله ورمز إلى المجموع دون التصريح بذلك " بقينا نتحدث عن المستقبل "

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[1] المختارات قصصية لكاتب تونسي ، ص ٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧-الرمز .

ولئن كانت اللغة الأدبية تعبر عن اللغة الحكية فيما تحمله من مفارقة وانزياح عن المألوف، فإنها تلجأ إلى شتى الأساليب التي توفر لها في سبل تجسيد الأفكار والتعبير عنها ، لأن هدف الأدب الجوهري الإيصال والتعبير الذي أداته اللغة .

ويقع الرمز في عمق اللغة الأدبية وعليه يعتمد في التعبير والتشكيل الأدبي، لأن الرمز لغة إيحائية مكثفة توحي ولا تفصح ، تختزل ولا تفصل. مما يتيح للمتلقي فرصة سبر أغوار النص للوقوف على ما تحمله من أفكار وليشارك الكاتب في الرؤيا والموقف .

والرمز من جوانب اللغة التي تعبر [illegible] طاقات هائلة من القدرة التعبيرية بالإضافة إلى أن اللغة الرمزية يمكن وصفها بأنها لغة إنسانية تتجاوز حدود الزمان والمكان ، إذ إن الرمز له الدلالة نفسها في أي ثقافة مع اختلافات بسيطة تفرضها البيئة والمعتقدات .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والمكان في القصة العربية القصيرة حظي باهتمام بالغ من قبل بعض الكتاب الذين بنوا أمكنتهم معتمدين على شحنها بالرموز التي ساهمت في تكثيف دلالات هذه الأمكنة ، ولا سيما لتعبيرها عن أفكار سياسية وأيديولوجية بطريقة غير مباشرة .

وقد لاحظنا كيف أن المكان سواء المغلق أو المفتوح حمل دلالات رمزية منها الوطن الذي كان البحر والبيت والمقهى والمدينة وحتى السجن...الخ فقد ورد في إحدى القصص الإماراتية: " ولم تصدق مسحوقة أن أبا جائع يأكل لحماً، إذ دخل عليها البيت في المساء فمدت إليه خفيفة كعبرة جبلية ، قالت له :

- أحلم أم حقيقة ؟

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسألها :

- أين جائع ، وأين مقهورة ، وأين مقموع ؟

- ناموا جميعهم .

وأضافت : يا حسرتي مثل كل ليلة [١]"

مما دلنا على أن البيت وظف توظيفاً رمزيا الأسماء التي أطلقت على ساكنيه "مقهورة ومقموع وجائع ..." وهنا لا بد من الإشارة إلى أن التقريرية والاقتراب من المباشرة في الرمز يؤدي إلى ضعف الإيحاء وإفساد الرمز وهذا ينطبق على الكثير من النماذج.

ومن الألفاظ والتراكيب الموظفة رمزيا في قصص الكاتب نجد وشحه بروزى الكاتب الألفاظ الدالة على الألوان ، فالأبيض ومقابله الظلام رمزاً للاستبداد وانعدام الحرية وكان اللون الأصفر ... الخ فقد ورد في إحدى القصص الفلسطينية :

" انتصب واقفاً ، وبسرعة حرك مزلاج باب الغرفة ، فتحت به ، وحاولت أن تثنيه عن الخروج ، لكنه لم يعبأ بتوسلاتها ..تلفته ساحة الدار الغامضة في حضن الظلام . أطل برأسه من فوق السور الطيني ..امتدت نظراته يميناً ويساراً لم ير أحداً لكنه رأى حيطاً من النار يشق العتمة العيدة [٢]"

الظلام كان معادلاً رمزياً للاحتلال ومصادرة الحرية ، والدار الغافية في الظلام تعبر عن الاحتلال كما أن النار والماء بوظائف باعتبارهما معادلاً رمزياً للتطهير والقضاء على الشر فكان

---

[١] انتزاعات من الإعدامات ، ص ٣٨.

[٢] المقولوجيا أقصة الفلسطيني ، ص ٣٨١

خيط النار هو بداية تطهير الوطن من العتمة (المحتل) وتبديدها وربما بارقة أمل تلـــوح في آخـــر النفق .

وكان ارتباط المكان بالحيوانات والطيور المختلفة له دلالاته الرمزية . وعلى ســـبيل المثـــال وجدنا تكرار ذكر بعض الحيوانات تأكيداً على أبعادها الرمزيـــة مثـــل : الكلـــب والبومـــة والغراب...الخ والتي تجموعها تثير في النفس مكامن الخوف والتشاؤم والتوجس من المجهول:

" تزاحمت الحشرات والزواحف في الكوخ المهجور المتآكل الجدران ولا أحد في كل الـــلان سوى بوم ينعق على خراب .كل ذلك ولم أكن أعلم ان هذا الكوخ المهجور هو نفسي[1]".

ولا يختلف الثاني — من وجهة نظر الباحث الكوخ المهجور وظائفه توظيفاً رمزياً فكان تعبـــيراً غـــير مباشر عن الإنسان الذي يعاني الخواء النفسي والضياع والشتات . وكأنه رمز للإنسان العـــربي أو لفئة معينة من الناس — الإحباط على أن الخلاص (البوم) الذي يثير في النفس التشـــاؤم والخوف كان رمزاً لفئة من المخربين الذي يعيثون في أوطانهم خراباً وفساداً. وهذه الحشـــرات والكائنات مثل البوم وغيرها تلمس " وتراً حساساً في الوجدان الاجتماعي العام الـــذي يجعـــل للتفاؤل والتشاؤم مهمة في قياس الأمور والنظر اليها [2]".

كما أن آلات الهدم والحفر أو البناء لها دلالات رمزية اجتماعية وسياسية وقـــد وردت في غير نموذج قصصي يتعلق بالمكان : " خرجت من القبو لأتبوه قليلاً في الشوارع . وكانت حالـــة

---

[1] الموسوعة القصصية الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٢٢٣

[2] الخليلي، الفاكهة والرماد، مرجع سابق، ص ٢٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقريباً إلا من قامات تعبر بسرعة نحو منازلها ..وكان دهي محتشداً بصور غريبة لمعول يحفر ولجنة تدفن . لتاريخ بدونه المعول وتقرؤه الديدان[١]".

فالمعول الذي يحفر ويهدم معادل رمزي لانهيار ماض معين وبدء حاضر جديد . و الجثة كذلك رمز لفئة أو طبقة ما تشكل حقبة أو عهداً زال ودفن تحت التراب لتقرأه الديدان .

والحركات والالتواءات في المكان قد توظف رمزيا للدلالة على تعبيرات أو مؤامرات تحاك ضد المكان والمرتبطين به . ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في إحدى القصص السورية:"مرت سيارة أمريكية مسرعة ، قفز المطعون والحذر من على معطفه ، احتفت السيارة في شارع فرعي..ازداد نشيج العريف غيضان

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كان وصف السيارة بأنها أمريكية وإحالتها إلى الدولة التي تعتمد التسلط والتدخل في شؤون غ السيارة في شارع فرعي معادل رمزي إلى الالتواء والانحراف وعدم المصداقية والوضوح في سياسة هذا البلد ولا سيما مع الوطن العربي.

والشخصية التي تجهل هويتها ، وتجعل من المكان مبدأ لبحثها المستمر عن هذه الهوية ، وعن ملامح شخصيتها ووجودها ، هي معادل رمزي للبشرية التي باتت تعيش عصر العولمة والتقدم المتسارع . فلا تجد قدرة على مواكبة هذا السير المتسارع والمتلاحق الذي من مقتضاته تراجع الجوانب الإنسانية والأخلاقية ، وطغيان الحياة المادية حتى ليكاد الإنسان لا يدرك هدفه وذاته :" لملمت جراحي وأوجاعي المتناثرة وقمطتها بملابسي حتى اعتدل تكويني وقررت أن

---

[١] موسوعة القصة القصيرة في سورية ص ٢٠٢

[٢] المصدر نفسه ص ٢٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أجول في الشوارع ولا أعود حتى أتعب الحراس والشرطة صمتاً وصراخاً وسؤالاً عن اسمي وبطاقتي ومن أين أتيت؟ وما مقصدي ؟ "[١]"

فيما سبق نجد أن الرمز كان وسيلة الكاتب في تحديد المكان وشحنه بمواقفه وأفكاره التي لا يستطيع التصريح بها مباشرة . فكان ذكر المكان بأبعاده الفيزيقية المادية الواقعية لا يعني البعد المادي الظاهر له . بل تجاوزه الى التعبير عن أفكار سياسية واجتماعية وهذا يتكل ظاهرة بارزة في القصة العربية القصيرة .

٨-الأسطورة :

والأسطورة من العناصر التي جميع الحقوق محفوظة بأبعادها وأحوالها التي تتمحور -غالباً- حول الصراع بين الخير والشر ، والحياة والموت ، والرحلة والقوى الخفية وغير ذلك من هذه الملامح والأحواء . وينظر إلى الأسطورة باعتبارها إشارة لغوية ذات معنى .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والرواية لا سيما الحديثة منها تعتمد بدرجة كبيرة على توظيف الأساطير القديمة لشحنها على الحاضر وذلك لشحنها بالمواقف والأفكار . أما القصة ومن خلال دراسة المختارات موضوع هذه الدراسة لم نجد فيها توظيفا لاسطورة معينة بكل عناصرها واسماء أبطالها إلا أننا وجدنا بعض القصص لا سيما النماذج المتعلقة بالمكان تشع بملامح الأساطير . وتعبق بأجوائها التي ساهمت اللغة بتطعيمها بهذه الاجواء .

وكانت الصحراء من أكثر الأماكن عبقاً بالأجواء الأسطورية لما تتميز به من الاتساع اللامحدود . والغموض ، والعطش للمطر . كذلك الرحلة المستمرة التي يعيشها الإنسان المرتبط بهذا المكان الأسطوري :

---

[١] الوان من القصة السعودية ... ٤٥

" على الرغم من ذلك الغموض الموحش كانت الصحراء مفتوحة على المدى البعيد لا تحدها جهات متوحدة مع حرارة الشمس اللاهبة .. كانت تلك الوجوه المتعبة تترقب الوصول بصبر نافد[١]".

اتساع الصحراء وشمسها اللاهبة وما يشكلانه من أجواء سرابية أسطورية تجعل الشخصية بمثابة بطل أسطوري يسافر في رحلة البحث عن مفقود وسط غابة المجاهيل هذه .

" بدا وكأن لحظة شاردة تأخذه بعيدا فوق رمضاء حارقة ، حافي القدمين يقطع مسافات في حلم لا تأتي له نهاية .. تداهمه رؤى ضبابية ، حيث يبدو غائبا عن الحضور[٢]" لقد كان للألفاظ الموظفة في تجسيد المكان مثل [illegible] لحظة شاردة إساهمت في الكشف عن الأجواء الأسطورية التي اتسم بها المكان

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومما يؤكد الشاح الصحراء بالأجواء الأسطورية ربطها بالعوالم الخفية وبالوحوش والشياطين ذات الأشكال المخيفة " والده أكد لأسماء القربة بانه حارب الجن في نومه ويقطته قرونهم معقوفة وحادة ، الشيخ لم يكذب هذه المرة ، هذا صحيح ، لا ريب أنه سيصادفهم في هذه الصحراء الموحشة . ماذا سيفعل ؟ اين يهرب[٣]".

ولعل اتساع الصحراء وغموضها هما الدافع وراء ربط الصحراء بهذه الكائنات التي تبيح للعقل أن يطلق العنان للخيال بلا حدود وهذا الربط لم يخل من أجواء أسطورية تتمثل في الصراع بين الشخصية وهذه المخلوقات

---

[١] الصلوات من الإسلانات ، ص ١٤٠

[٢] الأقنعة ، ص ٦٠

[٣] و المنصور الذاكر المعاصر ، ص ٢٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبما أننا في أجواء الصحراء التي شكلت فضاء اسطوريا ناد فيه الفلسطيني الـذي أسبغت عليه بعض النماذج القصصية بعض صفات ابطال الأساطير في صراعهم المرير مع القوى الخفية التي تمثل الشر الإسرائيلي ورحلته الطويلة في البحث عن الوطن المفقود

" وإذا انبثق عواء حيوان صحراوي جائع من مكان ما في الصحراء تصاعفت الرعشة في جسده . فجعل يتحسس حديد بندقية الصواري خلف ظهره . كانت الصحراء خلاء موحشا شاسعا لا نهاية له تضرب الريح جنباتها بعوضوبه وشراسة . شعر حامد الذيب بشيء ما حاد يهطل داخل صدره ، وراح قلبه يخفق بشدة فيما جعل هتاف حار يندفع من أعماقه . كانت طريق المنفى تمر عبر هذه الصحراء الطويلة الواسعة"[1]

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لقد شكلت الصحراء دورة الرحلة الطويلة للبحث عن الهوية والوطن المفقود بالنسبة للإنسان الفلسطيني

وصراع الأحمال يحمل في طياته ملامح الصراع الأسطوري بين الخير والشر، الحياة والموت :" بأتي فيسمع له دوي يملأ أرجاء الليل والنفوس ..ويقتلع أعمدة النور فيغرق المدينة في الظلام فتجتمع في غرف الضياء بسرج تكاد تضيء ..ترسل أنوارها الضريلة فترتعش على الجدران، وتلقي ظلالا غريبة على الوجوه، فتذكر أهوال الحربين العالميتين ، وتنقسم في الحجرة الواحدة إلى شقين شق ساخر يرون أن التغلب على النهر ميسور بفضل جسر عظيم أو سدود بعيدة عن المدينة توزع مياه النهر على الأراضي الجدبة العطشى وهم الفتيان أما الشق الثاني فهم الكهول الذين اكتسبوا تجربة فهم يرون أن النهر قوة لا تقهر ، لا يحدها جسر ولا سد[2]".

---

[1] اسطورة في القصة الفلسطينية ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠-٢١

[2] عرار في قصص الكاتب نفسه ، مرجع سابق ، ص ٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد جسد النهر وحشا أسطوريا يهدد المدينة بالغرق والفناء ،فيحدث صراع بينه وبين سكان المدينة من جهة (الخير والشر) وصراع آخر بين سكان المدينة أنفسهم الذين بدوا منقسمين حول وسيلة مواجهته ، وصد شره عن المدينة . فكان صراعا بين فئتين احداهما تمثل فئة الشباب (الأفكار الثورة) والأخرى تمثل فئة الكهول ، وهم رمز للحكومات وقوانينها المتوهلة العقيمة المتهرمة المستسلمة للأمر الواقع . فالشباب "يرون الثورة على القديم بكل ما يحمله من قيم بالية ، وكذلك الثورة على الحكومة ممثلة بجل الكبار. فكان الحكومة هنا تمثل الشر من الناحية الأسطورية وإن لم يكن بالصورة التي نعرفها عن الشر في الأسطورة ، لكنه رمز لتلك القوة التي تفرضها الطبيعة على الانسان فطالما كان الأوان لقوى الخير أن تحارب وتنتصر [1] .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

مما سبق نتبين أن الأحداث الأسطورية التي اتسم بها المكان كان لها دورها في إكسابه عمقا دلاليا وجماليا.

ج – التضمين :

ومن التقنيات الموظفة في تجسيد المكان القصصي التضمين الذي يقوم على تمثل التراث بكل عناصره ولا سيما اللغوي في النص القصصي ، مما يضفي عليه عمقا ، وقدرة أكثر على أداء الوظيفة المنوطة به بالإضافة إلى إيصال الفكرة التي شحن بها

ولا يمكننا القول بأن التضمين ظاهرة بارزة في القصة العربية القصيرة ولكنه ملمح وارد على الأقل في المختارات التي اتخذت محورا لهذه الدراسة .

---

[1] أسماء شاهين ، جماليات المكان في روايات حنا مينا ص ١٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أهم العناصر المضمنة في تصوير المشهد المكاني استلهام التصوير القرآني الذي هو نبع الحكمة والبلاغة الذي لا تنتهي عجائبه ، ولا تنقضي معجزاته ، فقد وظفت العديد من الآيات الكريمة ، ليس بنصها وإنما بالإحالة إليها ، وإلى بعض القصص القرآني الذي تعبر عنه لتسحبه على الواقع لمنح المكان عمقا دلاليا.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في إحدى القصص على لسان إحدى الشخصيات واصفة حالها التي تعيشها في المكان :

" أعوي هنا في الفيافي ، أبحث عن عنب ضل من المطر والغيم، أمضغ التراب البارد وأنام مع أعجاز النخل الخاوية "[1]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لقد أراد الكاتب التعبير عن الحياة في الصحراء وهي حياة ملأى بالقسوة ، وشظف العيش، ويرافقها ذلك الإحساس بالوحدة القاتلة التي ما كنا لنستشعرها في هذا المكان لولا استلهامها للتصوير القرآني عندما وصف وحدة الشخصية بأنها تعيش مع أعجاز النخل الخاوية ، كدليل على تلك الوحدة التي تعيشها ، وكأنها تأثرت بقوله تعالى:" وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية[2]"صدق الله العظيم لقد ارتبطت أعجاز النخل الخاوية في الآية الكريمة بالعذاب الذي سخره الله - تعالى - على قوم نوح عليه السلام وكان من نتائجه خلاء المكان منهم ، وكأن الكاتب أراد تعميق إحساسنا بوحشة المكان وخلوه إلا من أعجاز النخل الخاوية .

---

[1] الأعمال الروائية الكاملة ، مجموعة القصة القصيرة ، ص ٢٦٦

[2] سورة الحاقة ، الآية ٦-٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي بعض النماذج القصصية وجدنا الاتكاء على التضمين بالشعر والأمثال العربية وغيرهـا من عناصر التراث العربي .

ومن النماذج التي تدل على توظيف الأمثال العربية في تشكيل المكان و في منحـه القـدرة على التعبير عن الفكرة والموقف اللذين يعبر عنهما ما جاء في إحدى القصص :

" تموت الحرة ولا تأكل بثديها . هكذا قالت العرب العاربة، ليذهب ما قالته إلى الجحـيم كما ذهبوا هم . هل تعلق هذه اللافتة على صدورنا ،ونظل طوال حياتنا نحوس بيـت الظـباء وبيت الخباء[1]".

وعلى الرغم من أن المثل العربي الوارد لم يكن من العناصر المشكلة لبنية المشـهد المكاني إلا أنه ساهم في تعميق فهمنا للفكرة التي حملها المكان (بيت الظباء...) لإبراز المفارقـة الممثلة في التناقض بين ما تعتقده العرب وتدعي به وبين ما تمارسه من سـلوك . فكـانت الشخصية ساخطة رافضة هذه الهوة بين العبارات والشعارات الجوفاء وبـين الواقـع العملـي لذلك.

أما الشعر الذي هو ديوان العرب والذي حفظ تاريخهم وساهم في إبراز شخصيتهم ما زالت له كلمته التي يقولها في هذا السياق ، وتأكيدا على الفكرة السابقة التي خدمها المثـل العـربي للدلالة على الترابط الوثيق بين عناصر التراث :

" والبيت الذي تخفق الأرياح فيه لم يعد أحب إليا من قصر منيف ، لا لبس العباءة نجـدي ولا لبس الشفوف . أين نرحل؟[2]".

---

[1] حارتنا في الإعلانات، ص ١٧٥

[2] المصدر نفسه ، ص ١٧٧

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد تم تمثل قوة الفكرة التي نادت بها (ميسون بنت بحدل الكلبيه) في هذا النموذج والمتمثلة بالدعوة إلى الارتباط بالهوية العربية ورفض الواقع الغربي المشهر بالعرب تلك الهويه التي كان رمزها (البيت الذي تحقق الأرياح فيه)فقد استمد الكاتب عناصر بنائه المكاني من أبيات الشاعرة التي منها :

ليت تحقق الأرياح فيه احب إلي من قصر منيف

وليس عباءة و تقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف

ولم يعب التاريخ وقصصه ومواقفه عن القصة ولا سيما في تشكيل المكان القصصي الذي أعادت صورته الحالية إلى الأذهان صورته الماضي ومواقفه

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" تحول البيت العربي إلى حركة تحاكي حياتها الأرستقراطية بالطبع الجديد.. تراءى طيف أمه يأتي من وراء الغيب ويتطلع إليه في أسى وحسرة :

- لا تبك مثل النساء على بيت ..لم تحافظ عليه محافظة الرجال [1]

إن استهانة الشخصية في الدفاع عن البيت أمام اللصوص الذين حاولوا سرقته ، كما تبين من أحداث القصة كان أشبه باستهانة (أبي عبد الله الصغير) الذي خرج من الأندلس بعدما تنازل عنها ولم يقاوم أعداءه ، وكانت تلهبه سياط كلمات أمه وتقريعها له فكان لتوظيف هذه العبارة على لسان أم الشخصية الرئيسة دوره في تعميق مفهوم المكان الذي كان رمزا للوطن فحمل دلالة أعمق وأبعد من دلالة البيت بالمفهوم العادي

مما سبق تتبين أهمية التضمين في تحديد المكان القصصي وتطعيمه بالأفكار والرؤى المستلهمة من الماضي، وهذا الارتباط بالتراث والحرص على توظيفه "يعني أن التراث بألوانه المتعددة

---

[1] القصة نيوز، الموقع الرسمي لأمسية القصة، ص ٢٥٥

حاضر في الذاكرة العربية حضوراً قوياً وفعالاً. وبني بأن أمتنا ما زالت - بحمد الله - بخير ، وأنها لن تنسى تاريخها ، ولن تقطع عنه أبداً[1]" وهذا كله يصب في الدعوة إلى عدم الابتعاد عن الماضي وإلى استلهام دروسه وعبره

كانت اللغة كما مر بنا سابقاً تمثل المحرك الرئيس في العمل الأدبي لا سيما في القصة القصيرة . فقد ساهمت عناصرها وتقنياتها المتعددة في تشكيل المكان القصصي ، وتحريكه ، ومنحه القدرة على الوعي والتفاعل. كما أسهمت في الكشف عن علاقة الشخصية بالمكان، هذه العلاقة التي بدت من خلال تقنيات اللغة المتعددة ولا سيما الوصف والمونولوج وتيار الوعي . كذلك السرد والحوار بمكانهما لتطورهما في الكشف عن علاقات المكان المتعددة سواء بالشخصيات المرتبطة به أو الزمان ، بالإضافة إلى تعميق إحساس المتلقي بالمشهد المكاني والتفاعل به ومعه .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[1] حلمي قاعود حوار مع الروائية المقابلة ، ص ١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

لبين لنا في نهاية هذه الدراسة أن للمكان في القصة العربية القصيرة حضوراً متميزاً يتجاوز بعده الجغرافي الى بعد آخر دلالي وجمالي يظهر أثره في كثير من القصص. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها:

١- تعددت الأمكنة الموظفة جمالياً في القصة العربية القصيرة فوجدنا الأمكنة المغلقة لا سيما البيت ، والمقهى ، والسجن ،والمكان الديني والأمكنة المفتوحة ولا سيما المدينة ، والشارع ، والصحراء ، والبحر .

٢- وقد تم استغلال بعض الانغلاق والانفتاح وما يتفرع عنهما من سمات لتلك الأمكنة لنقلها من واقعها المادي الجغرافي الى الواقع الفني الذي جعل هذه الأمكنة مفاتيح تكشف لنا واقعاً كتب ابداعاً واجتماعاً وثقافياً إذ حولت الأمكنة إلى أفكار تعبر عن مواقف الكتاب واتجاهاتهم التي لا يستطيعون التعبير عنها صراحة .

جميع الحقوق محفوظة
All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- ارتباط المكان بالعناصر الفنية للقصة ولا سيما الشخصية والزمان واللغة ارتباطاً وثيقاً يؤكد متانة البناء القصصي ، ومما كشفت عنه هذه الدراسة من جوانب هذا الارتباط

أ- قيام علاقة الشخصية بالمكان على مبدأ الفعل ورد الفعل ، فكان المكان ذا تأثير مباشر في تشكيل سلوك الشخصية واتجاهاتها . كما أن طبيعته كان تكشف عن طبيعة الشخصية وانفعالاتها وعلى الرغم من هيمنة المكان على الشخصية إلا أن الشخصية كان لها دور في إحداث التغيير في المكان وتطويعه في بعض الأحيان وفقاً لاتجاهاتها وسماتها ، وقد وظفت هذه العلاقة بين الشخصية والمكان توظيفاً جمالياً.

ب- علاقة المكان بالزمان علاقة جدلية تتسم في أغلب الأحيان بالتجانس والتلازم، فلا مكان دون زمان والعكس صحيح وعبر عن هذه العلاقة بمفهوم (الزمكان) وقد ظهر لنا من خلال النماذج المدروسة سطوة الزمان على المكان إذ يمتلك قوة إحداث التغيير فيه ، يتجلى ذلك فيما يحدثه من تغيير في حياة الشخصيات المرتبطة بالمكان فكان المكان مساحة ثابتة مكانياً (جغرافيا) متحركة زمنياً تتأثر بحركة الزمن .

ج- اللغة هي وسيلة الكُتاب في بناء مكانهم القصصي وتشكيله وذلك بتوظيف عناصرها وتقنياتها المتعددة التي تفاوتت من كاتب إلى آخر ، فمنهم من اعتمد السرد ، ومنهم من اعتمد الحوار . والبعض الآخر مزج بينهما وكان لتقنية الوصف كان لها حضورها ودورها المتفاوت بينما نجد بعض الأماكن تتجسد عبر الصور الفنية وتكتسب دلالاتها بالصور أو الموتيف أو رمز الوهمي وغيره من التقنيات التي تؤدي دوراً جمالياً وتساهم بمجموعها في تجسيد المشهد المكاني وشحنه بالرؤى والأفكار .بالإضافة إلى دورها في الكشف عن براعة الكتاب وتفاوتهم في إبداع المكان القصصي .

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٤- تشابه الأبعاد الجمالية للمكان في القصة العربية القصيرة اجتماعياً وسياسياً وفكرياً الأمر الذي يكشف عن تقارب في الرأي والرؤية بين الكتاب في الوطن العربي .

٥- تميز المكان في القصة الفلسطينية بطابع خاص إذ كان له حضوره المختلف بسبب ما يعانيه الفلسطينيون من الاحتلال

ما سبق كان جملة من النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة بعد البحث والتحليل لنماذج من القصة العربية القصيرة التي هي في حاجة لمزيد من الدراسة والنقد ، ومن زوايا نظر أخرى لتوضيح قيمتها الفنية ومكانتها بين الأجناس الأدبية الأخرى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

- المصادر

- إبراهيم محمد وآخرون ، مختارات من الإمارات ، ط١، الاتحاد العام للأدبـــاء والكتـــاب العرب ، عمان ،ص١٩٩٤

- اسكندر سليمان ، موسوعة القصة الجديدة في سورية " الكتـــاب الأول " ،ط١،المرســـاة للطباعة والنشر والتوزيع ، اللاذقية ،١٩٩٦.

- دار التحرير،حـــ عشرة قصة سورية ، دار التحرير للطبع والنشر ،ابريل ١٩٥٨

- دار الكرمل– الـ ر الكرمل،عمان ،١٩٩٠.

- رابطة الكتاب الأردنيين ، مختارات من القصة القصيرة في الأردن ،ط١،منشـــورات وزارة الثقافة ،عمان ،١٩٩٢.

- طه وادي ،القصة ديوان العرب (قضايا ونماذج) ،ط١،الشركة المصرية العالميـــة للنشـــر لونجمان ،٢٠٠١

- عبد الحميد إبراهيم ،ألوان من القصة اليمنية المعاصرة ،ط١،دار العودة ،بيروت،١٩٨١.

- عبد الله مازوني ، قصص جزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،١٩٨٦

- علي جواد الطاهر،في القصص العراقي المعاصر (نقد ومختارات)،دار المكتبة العصرية ،صيدا – بيروت ،(د.ت)

- علي الملك ، مختارات من الأدب السوداني ،ط٢، دار الخرطوم للنشر ،١٩٨٠

- عمر بن سالم ، مختارات قصصية لكتاب تونسيين ، الدار العربية للكتاب ،(د.ت).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- محمد برادة ، لغة الطفولة والحلم (قراءة في ذاكرة القصة المغربية)- تحليل نماذج قصصية ، ط١، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، الرباط، ١٩٨٦.

- محمد عبيد الله ، القصة القصيرة في فلسطين والأردن منذ نشأتها حتى حلم " الأفق الجديد" – قسم المنتخبات القصصية ،وزارة الثقافة ، عمان /الأردن ،٢٠٠١.

- مركز الأهرام للترجمة والنشر ، مختارات من القصص القصيرة في ثمانية عشر بلدا عربيا، ط١، مركز الأهرام للترجمة والنشر – مؤسسة الأهرام ، القاهرة ،١٩٩٣.

- منصور إبراهيم الحازمي ، فن القصة في الأدب السعودي الحديث ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ،١٩٨٢.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

• المراجع .

- إبراهيم خليفة ... الجامعي الحديث، الاسكندرية،١٩٨٣

- إبراهيم خليل جبرا إبراهيم جبرا(الأديب الناقد) ،ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠١.

- إبراهيم خليل الرواية في الأردن في ربع قرن (١٩٦٨-١٩٩٣)،ط١،دار الكرمل للنشر بدعم من وزارة الثقافة ،عمان ١٩٩٤.

- إبراهيم السعافين الأقنعة والمرايا، دار الشروق ، عمان ،١٩٩٦.

- ابن منظور لسان العرب ،ط١، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت- لبنان،١٩٩٧.

٥٦٣١٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-أحمد خلف -عائد خصباك دراسات في القصة القصيرة والرواية (١٩٨٠-١٩٨٥)،كتاب الأقلام،دار الشؤون الثقافية العامة ،(د.ت).

- إدوار الخراط الحساسية الجديدة (مقالات من الظاهرة القصصية)،ط١، دار الآداب ، بيروت،١٩٩٣.

- أسماء شاهين جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا،ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت،٢٠٠١.

- اعتدال عثمان إضاءة النص (قراءة في الشعر العربي الحديث)،ط١،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ١٩٩٨.

- آلان روب جرييه نحو رواية جديدة،ترجمة: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف،مصر ،(د.ت).

-ب.س.ديفيز المفهوم الحديث للمكان والزمان ، ترجمة السيد عطا، الهيئة المصرية العامة للكتاب.١٩٩٦

- جاستون باشلار جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا، دار الحاحظ، بغداد،١٩٨٠

-جميل صليبا المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ،ج٢،دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة ،بيروت، لبنان ،١٩٩٨.

- حسن بحراوي بنية الشكل الروائي ،ط١،المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء ،١٩٩٠.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حسن نجمي شعرية الفضاء ل (المتخيّل والهوية في الرواية العربية)، ط١، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.

- حسين رضوان المدينة (دراسة في علم الاجتماع الحضري)، ط٢، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٨٤.

- حلمي قاعود حوار مع الرواية المعاصرة في مصر وسورية، ط١، اشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق- سورية، ١٩٩٩.

- رمضان بسطاويسي ثقافة المكان : الصمت والألم (قراءة نصية في نماذج قصصية)، دائرة الثقافة والاعلام،

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية
الشارقة ١٩٩٦م

- زكريا إبراهيم دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر ،القاهرة ١٩٦٨،

- سعدي ضناوي اثر الصحراء في الشعر الجاهلي ،ط١،دار الفكر اللبناني ،بيروت ،١٩٩٣.

- سيزا القاسم بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

-السيد عبدالعاطي علم اجتماع المعرفة ،دار المعرفة الجامعية ،١٩٩٨

- الصادق قسومة طرائق تحليل القصة ، دار الجنوب للنشر ،تونس، ٢٠٠٠.

- صلاح صالح الرواية العربية والصحراء،منشورات وزارة الثقافة ،الجمهورية العربية السورية ، دمشق،١٩٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عبدالحميد الحادبن — التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف،ط١،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت ،١٩٩٩.

- عبدالحميد الحادبن — جدلية المكان والزمان والانسان في الرواية الخليجية ،ط١،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،٢٠٠١.

- عبد الرحمن بدوي — مدخل جديد الى الفلسفة ،وكالة المطبوعات ،الكويت ،(د.ت)

- عبد الرحمن بدوي — موسوعة الفلسفة ،ج٢،ط١،المؤسسة العربية للدراسات

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- عبد الرحمن منيف — مدن الملح(باديد الظلمات)،ط٤،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،١٩٩٢.

- علوي الهاشمي — ما قالته النحلة للنحر (دراسة فنية في شعر النحرين المعاصر ، ١٩٢٥-١٩٧٥)،دار الحرية للطباعة،بغداد،١٩٨١.

- علي عبد المعطي — قضايا الفلسفة العامة ومباحثها،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية ،١٩٨٣.

- فؤاد نصر الدين حسين — السهم والمسار(دراسة تطبيقية في قصص محمد الشقحاء)،ط١،١٩٩٠.

- فياري محمد — علم الاجتماع والفلسفة ،ج٢،ط٢،دار الطليعة العرب،بيروت،١٩٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- محمد عاطف — علم الاجتماع الحضري(مدخل نظري)،دار المعرفه الجامعيـــة ،الاسكندريه،١٩٨٢.

- محمد عزام — فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينيـــة في أدب نبـــل سليمان) ، ط١،الحوار للنشر والتوزيع ،سورية،١٩٩٦.

- محمد غنيم — المدينة دراسة في الانثروبولوجيا الحضرية،دار المعرفة الجامعيـة، الاسكندرية ،١٩٨٧.

- مراد وهبه — المعجم الفلسفي،ط٤،دار قباء للطباعة والنشـــر والتوزيـــع

- منصور الدليمي — المكـان في النـص المسـرحي،ط١،دار الكنـــدي للنشـــر والتوزيع،اربد، الاردن ،١٩٩٩.

- ميخائيل باختين — أشـكال الزمـان والمكـان في الروايـة ،ترجمـة يوسـف حلاق،منشورات وزارة الثقافة،سورية، ١٩٩٠.

- محمد الشطي — القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية(دراســة نقدية)،دار المريخ للنشر ،الرياض،١٩٨٧.

- نبيلة إبراهيم — نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة،مكتبـــة غريب ،القاهرة،١٩٩٧.

- هانز ميرهوف — الزمـن في الأدب،ترجمـة أسـعد رزوق،مؤسســة سـجل العرب،القاهرة،١٩٧٢.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ياسين النصير — إشكالية المكان في النص الأدبي (دراسات نقدية)، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٦.

• الدوريات :

- حسني محمود — المكان في رواية "زينب" الواقع والدلالات - علامات - جدة - مج٧ - ج٢٨ - يونيه ١٩٩٨

- رفقة دودين — المكان المفتقد في الرواية "هو يستحم في البحيرة ليحيى يخلف - أفكار - عمان - ع ١٥٩ -

- صبري حافظ — حول " محطة السكة الحديد "لإدوار الخراط - الحساسية الجديدة واستخدامات المكان الأدبية - الأقلام - بغداد - ع١١ - ١٢ تشرين الثاني - كانون الأول ١٩٨٦.

- صلاح صالح — مشوبة الطهور والسواري في المكان الروائي العربي - علامات - جده - مج٥ - ج٢ - يونيو ١٩٩٦.

- نادر العظمة — تحولات البصري إلى سمعي - القصيدة والإزميل - علامات - جدة - مج١٠ - ج٣٩ - مارس ٢٠٠١.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ناصر يعقوب — البنية المكانية ودلالاتها في القصة القصيرة الأردنية " أيوب الفلسطيني"لفخري قعوار نموذجاً-ورقة قدمت في ملتقى جامعة آل البيت الثقافي الخامس "القصة القصيرة في الأردن ٢٠٠٢"[غير منشورة] .

• الرسائل الجامعية :-

- خالد حسين — المكان في الرواية الجديدة (الخطاب الروائي،الأدوار الخرائط نموذجاً (١٩٨٠-١٩٩٧)،رسالة ماجستير،جامعة دمشق-

- غدير الخروبي — المكان في رواية "مدن الملح" لعبد الرحمن منيف ،رسالة ماجستير،الجامعة الأردنية – عمان ،١٩٩٣.

- مرشد احمد — جماليات المكان في روايات عبد الرحمن منيف،رسالة ماجستير،جامعة حلب –سورية ،١٩٩٢.

- مها حسن — المكان في الرواية الفلسطينية (١٩٤٨-١٩٨٨) ،رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ،اربد ،١٩٩١.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit